

إريك هوبسبروم

# القرن الجديد

(محاورات مع أنطونيو بولينو)



ترجمة: وجيه سمعان عبد المسيح



المشروع القومي للترجمة



المشروع القومى للترجمة

# القرن الجديد

[محاورات مع أنطونيو بوليتو]

تأليف : إريك هويسبروم

ترجمة : وجيه سمعان عبد المسيح





المشروع القومي للترجمة  
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٩٤٢ -

- القرن الجديد ( إريك هوبسبيوم محاورات مع أنطونيو بوليفتو )

- إريك هوبسبيوم

- وجيه سمعان عبد المسيح

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كاملة لكتاب :

*The New Century*

**Eric Hobsbawm**

**In conversation with**

**Antonio Polito**

Translated from the Italian by Allan Cameron

Copyright © Gius. Laterza & Figli SpA, 1999

Translation © Editori Laterza 2000

---

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 E-Mail : asfour @ onebox. com

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجهادات أصحابها في ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

## المحتويات

7	تعريف
11	مقدمة
17	<b>الفصل الأول</b> : الحرب والسلام
39	<b>الفصل الثاني</b> : انحطاط الإمبراطورية الغربية
65	<b>الفصل الثالث</b> : القرية الكونية
93	<b>الفصل الرابع</b> : ماذا بقى من اليسار
113	<b>الفصل الخامس</b> : الإنسان الكوني
135	<b>الفصل السادس</b> : ١٢ أكتوبر ١٩٩٩
149	<b>خاتمة</b> : آمال المستقبل



## تعريف

إريك هويسبيوم مولود في الإسكندرية عام ١٩١٧ ، وتعلم في ثينينا وبرلين ولندن وكامبردج، وهو زميل بالأكاديمية البريطانية والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم. ظل يتنقل في جامعات عديدة معلمًا ودارسًا للتاريخ الحديث حتى تقاعده.

وقد كان العضو الوحيد من بين مجموعة المؤرخين البريطانيين المنتسبين للحزب الشيوعي البريطاني الذي لم يقدم استقالته من الحزب في عام ١٩٥٦ عقب أحداث المجر؛ إيماناً منه بضرورة وجود حزب قوى لإحداث التغيير الاجتماعي من ناحية، ولنراهته الفكرية وعمق إيمانه وتمسكه بقضايا العدل الاجتماعي وتحرير الإنسان من الاستغلال الرأسمالي على نحو ما يوضحه خلال حواراته الخصبة الخلاقة في ثانياً هذا الكتيب الوجيز من جهة أخرى، ومع ذلك فهو لم يكن عقائدياً متذمتاً.

يعد هويسبيوم من أشهر وألمع المؤرخين الأوروبيين المعاصرين تخصصاً في تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، له إسهامات المهمة في التاريخ العمالى البريطاني وفي دراسة التمردات الفلاحية وهبات المزارعين في الفترة السابقة على العصر الصناعي، وهو من الرواد الذين درسوا التاريخ في حركته بين الجماهير العادلة وعامة الناس الصانعة لأحداث التاريخ وهو ما يعبر عنه بدراسة التاريخ "من القاع".

كاتب غزير الإنتاج، خصب القريبة، رفيع الثقافة، تصفه المراجع العلمية بالصانع الماهر. وقد أكسبته ثلاثيته الشهيرة التي قدمت صورة بانورامية ممتدة الآفاق بعيدة الأغوار للأحداث التي هزت أوروبا وبريطانيا في القرن التاسع عشر مكانة علمية مرموقة جعلته يتربع على عرش التاريخ الأوروبي، وقد شملت هذه الثلاثية :

- عصر الثورة ١٧٨٩ - ١٨٤٨

- عصر رأس المال ١٨٤٨ - ١٨٧٥

- عصر الإمبراطورية ١٨٧٥ - ١٩١٤

وقد أكملها برائعته الأخيرة عصر التطرف - القرن العشرين القصير ١٩١٤ - ١٩٩١، حيث يحدد أن انهيار الاتحاد السوفياتي وضع نهاية مأساوية للقرن العشرين الذي بدأ - في تقديره - بانفجار مروع تمثل في الحرب العالمية الأولى التي يعتبرها البداية الحقيقة لما أسماه القرن القصير، وما بين البداية المروعة والدامية والنهاية المأساوية غاص المؤرخ في أعماق القرن لسبر أغوار ما اعتمل فيه من تيارات متباينة على كافة الأصعدة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد أثار الكثير من الجدل والنقاش ولاسيما تحديده بأن الانتصار في الحرب العالمية الثانية تحقق بفضل التحالف الذي نشأ بين الرأسمالية الليبرالية والشيوعية السوفياتية وبأن المفارقة الأساسية في القرن القصير تمثلت في أن الثورة الروسية التي استهدفت إلغاء النظام الرأسمالي هي التي أنقذت خصمها العيني وعدها اللبود الذي حاول تحطيمها وأدّها في مهدها قبل أن يتدعم كيانها، ومن جهة أخرى فإن هذه الثورة حفزت الرأسمالية بسبب المخاوف التي أثارتها على اتخاذ العديد من الإجراءات والتدابير الإصلاحية التي أفضت إلى تحقيق العصر الذهبي الذي بلغ نهايته مع الأزمة العالمية الشاملة التي بدأت طلائعها تخيم على العالم مع مطلع سبعينيات القرن الماضي.

وفضلاً عن هذا، ثابر على تحرير المقالات والتواصل مع عصره وأحداثه عبر ما كتبه عن نضالات العاديين من البشر - رجالاً ونساءً - الذين يطلق عليهم اسم "الأناس غير العاديين"، وقد جمع تلك المقالات في كتابين مهمين أولهما "الثوار" الذي يغطي جميع جوانب الثورة التي يعتبرها وسيلة للتغيير الاجتماعي، وثانيهما "الأناس غير العاديين المقاومة والتمرد والجاز".

وفي هذا الذي نقدمه للقارئ العربي، يجب المؤرخ الكبير في إيجاز بالغ وتركيز شديد على الأسئلة المطروحة عن القرن الجديد متعرضاً لمختلف القضايا وشتى

المعضلات فى جميع مجالات الحياة، والتى تواجه إنسان هذا القرن سواء أكانت على الصعيد الدولى وتداعياته وتطوراته وصولاً إلى العولمة وتوابعها ومؤثراتها أو اقتصرت على الصعيد القومى، وما يعتمل فى داخله من نزاعات قومية متغصبة ومتطرف عنصري أفضى إلى عمليات تطهير عرقى إثنى، وجاء كل ذلك من خلال تفاعل فكري وحوار مبدع وخلق وخصب مع مراىسل صحيفة لاريبابليكا الإيطالية فى لندن : أنطونيو بوليتتو.

## وجيه سمعان عبد المسيح



## مقدمة

يعد التساؤل الذي نطرحه على أنفسنا عما يفضى إليه المستقبل جزءاً من الحياة والعمل، ونحاول جميعاً القيام بذلك حيثما أمكن. بيد أن التنبؤ بالمستقبل لا بد وأن ينهض بالضرورة على معرفة الماضي، فأخذاث المستقبل يجب أن تكون ذات صلة ما بأحداث الماضي، وهنا يأتي دور المؤرخين الذين لا ينشدون تحقيق ربع ما، بمعنى أنهم لا يستغلون معارفهم لضمان الحصول على مكسب، ويستطيع المؤرخون أن يكشفوا عن العناصر ذات الأهمية التي ينطوى عليها الماضي وأن يحدوا الاتجاهات والمشاكل.

وهكذا يتعمّن علينا أن نحاول القيام بعمليات تنبؤية - وإن يكن مع بعض التحفظات - ويتعمّن علينا أن نعي خطر تقليد العراف، ويجب أن نفهم أن الكثير من المستقبل لا يمكن التنبؤ به تماماً سواء من الناحية العملية أو من حيث المبدأ، ومع ذلك فإنّي أعتقد أن أحداً منفردة أو معينة هي تلك التي لا يمكن التنبؤ بها، بينما المشكلة الحقيقة بالنسبة للمؤرخين تتمثل في فهم مدى أهميتها أو إمكان أن تكون كذلك، ويمكن أن يبيّن التحليل في بعض الأحيان أنها ذات شأن وفي أوقات أخرى أنها ليست كذلك.

وعلى سبيل المثال، من غير المهم بالنسبة لشركة تأمين أن تعرف ما إذا كان هذا المنزل الذي نجلس فيه ونتحادث سوف يحترق تماماً الأسبوع القادم، وكل ما يلزم للمؤمنين أن يعرفوه لكي يمارسوا مهنتهم على نحو مريح هو الاحتمال العام لحرائق المنازل. ومن الناحية الأخرى فمن الأكثر أهمية بالنسبة لي بكل وضوح وجلاء أن أعرف بصفتي مالكاً للمنزل ما إذا كان سوف يحترق في غضون الأيام القليلة القادمة، وفوق ذلك فإذا ما ذهب عشرون شاباً وعشرون فتاة إلى معسكر تصييف، فمن المرجع

للغایة أن تنشأ صداقات وعلاقات فيما بينهم، وما قد يهم الشباب والشابات هو معرفة من سيذهب مع من، غير أن ذلك قد لا يكون له أهمية على الإطلاق عند المؤرخ أو عالم الاجتماع؛ لأن ما يتعين أن يؤخذ بعين الاعتبار هو احتمالية حدوثه، وثمة أحداث قد لا تكون لها أهميتها أحياناً في عملية التنبؤ بالنسبة للمؤرخ، ولكن قد تكون في أحيان أخرى لها أهميتها وعلى نحو متير للغایة، وتلك هي حدود عملية التنبؤ.

وما نستطيع أن نفعله في هذه المحادثة هو أن نناقش المشاكل كما تتبدي اليوم وأن نحدد بعض الاحتمالات، وستكون هذه الاحتمالات قوية حيناً بينما يمكن أن تتلاشى وتذروها الرياح بفعل أحداث غير متوقعة على الإطلاق، وإذا أخذنا ضرب السفارة الصينية بالقناصل في بلجراد فمن المؤكد أن ذلك الحدث له أهمية من الناحية التاريخية ، حتى ولو لم نعرف بعد مدى هذه الأهمية، لكن مما لا ريب فيه - أيضاً - أنه لم يكن متوقعاً البتة.

لقد اشتهرت بتعريفك للقرن العشرين بأنه "القرن القصير" بحيث بدأ متأخراً في ١٩١٤ مع الحرب العالمية الأولى وانتهى مقدماً في ١٩٩١ مع انهيار الاتحاد السوفيتي، فإذا كان تحديد الزمني سليماً فإننا نعيش بالفعل في القرن الجديد منذ عقد، فهل يتتوفر لدينا ما يكفي من الآلات لكي نحاول تخطيط معالله ؟ وهل القسمات المميزة للحقبة الجديدة يمكن تحديدها ، أو ما زلنا نعيش في مرحلة انتقالية ذات نتائج غير مزكدة؟

إن تحديدي لعام ١٩٩١ كنهاية للقرن القصير هو اختيار قمت به (وعلى أي حال كان من الأيسر تحديد بدايته في عام ١٩١٤) ولم يكن ذلك هو الإمكانية الوحيدة عندما قمت بتأليف الكتاب في ١٩٩٤<sup>(١)</sup>، وقد اخترت هذا التاريخ لأسباب تتعلق بمدى الملائمة والتوافق، ودائماً ما تكون التوارييخ الدقيقة مسائل متصلة بمدى الملائمة من

(١) إشارة كتاب المرجعى المهم عن تاريخ القرن العشرين : The short Twentieth century 1914-1991

الناحية التاريخية أو التعليمية أو الصحفية ومثال ذلك الحرب في كوسوفا، فمن الممكن بكل تأكيد تحديد بدايتها مع مساء أول يوم قام فيه الناتو بالقاء القنابل - ومع ذلك - فنحن نعلم أن أزمة كوسوفا ترجع إلى سنوات عديدة، وفي ١٩٩٢ علمنا بالفعل أنها ستغدو خطيرة وسوف تؤثر على مصالح الولايات المتحدة.

وأخذت واشنطن يوغوسلافيا رسمياً بهذه المصالح، وإضفاء المزيد من الوضوح فإنها أرسلت قواتها إلى مقدونيا، وعندئذ فإن أزمة البوسنة ألت بظلالها على كل شيء، ولكن - مرة أخرى ، ومع نهاية تلك الأزمة - فإننا نستطيع إذن تحديد موعد انطلاق الحرب مع بدء " التطهير العرقي " الصربي ونشوب الثورة المسلحة بقيادة جيش تحرير كوسوفا.

ويقول آخر فإن تمييز أو اختيار موعد معين هو مسألة اصطلاحية وليس أمراً يكون المؤرخون على أهبة الاستعداد لخوض معركة من أجله.

وهناك مؤشر واضح وواحد فقط على نهاية النهاية للقرن القصير، فنحن نعلم أن الاقتصاد العالمي دخل منذ ١٩٧٣ مرحلة جديدة، وإذا كنت تومن - كما أنتي تومن - بنظرية كوندراتيف <sup>(١)</sup> Kondratieff عن الموجات الطويلة التي كان من المُقدر أن تنتهي في وقت ما من التسعينيات، لكن متى على وجه الدقة ؟ ذلك لم يكن جلياً تماماً، وأعتقد أنه عند مستهل العقد فإن انهيار الاتحاد السوفيتي، الذي تزامن مع أزمة خطيرة تتمثل في الكساد الذي خيم على اقتصاد البلدان الغربية، شكل تاريخاً معقولاً لحدث تغير في الحقبة، بيد أنه قد يكون من الجلي - أيضاً - أن الأزمة الاقتصادية اللاحقة التي سادت عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨ هي التي ميزت نهاية القرن، فمن الممكن - فقط - أن تعرف متى انتهت فترة ما ومتى قد انتهت لفترة طويلة من الزمن.

وعلى سبيل المثال، يمكن القول إنه طرأ على الاقتصاد العالمي فيما بين ١٩٤٥ وأوائل سبعينيات القرن تقلبات ضئيلة نسبياً، بينما وجدنا أنفسنا ثانية منذ ١٩٧٣

(١) كوندراتيف ( ١٨٩٢ - ١٩٣٠ ) اقتصادي روسي أبرزت أعماله وجود دورات طويلة الأجل (٢٥ سنة) تشهد فيها البلدان الرأسمالية فترات تتلوب فيها الأسعار بين الارتفاع والانخفاض وذلك منذ القرن الثامن عشر. (م).

في فترة اتسمت بصدمات وضريبات قوية للغاية : أزمات (١٩٨٢ - ١٩٨٠) و (١٩٩٠ - ١٩٩٧) و (١٩٩٨ - ١٩٩١). ومن الممكن أن يدخل لنا المستقبل اتجاهًا مماثلاً : مما يجعل من الشاق تحديد تاريخ دقيق للانتقال من حقبة إلى تلك التي تليها، ومن الجلى كذلك أن آثار انهيار الاتحاد السوفيتي قد ثبت أنها خطيرة ودائمة.

وقد اعتدت وكتبت أنها ستكون مشكلة ذات شأن بالغ، غير أننى - أيضًا - هونت من جسامتها وإذا كان على أن أعيد كتابة "the age of extremes" حالياً فسوف أكون أكثر حنراً وحرصاً في التنبؤ بتوسيع عالمي مفاجئ للاقتصاد الرأسمالي في المستقبل القريب، ونتيجة لانهيار الاتحاد السوفيتي، فإن هذا التطور يمكن أن يتواتى بأكثر مما تنبأت به في كتابي، وكل هذا يجعل من الشاق للغاية معرفة ما إذا كان قد خرجنا بعد من القرن العشرين "القصير".

وعلى الرغم من هذا ففي ظني أنتا نعرف بالفعل شيئاً ما عما سوف تشبهه الحقبة الجديدة؛ لأن بعض قسماتها السياسية والاقتصادية جلية حقاً، ومن مناح عديدة نستطيع أن نزعم بلا أننى ريب أنتا نعيش فعلًا في القرن الجديد، ومن حيث السياسة الدولية والإيديولوجيات فمن الواضح تماماً أن زوال النظم الشيوعية في الشرق شكلَ انكساراً تاريخياً، وعالم اليوم تتحكم فيه آثار تلك الأحداث، ومن ثم فإنه في وسعنا أن نحاول قول شيء ما عن هذه الحقبة الجديدة.

- من أين يأتي هذا الاعتقاد في التاريخ ؟ هذا البطموح في أن تكون قادرًا على قراءة المستقبل المتبنّى به من الماضي.

لقد جذبني التاريخ - في المقام الأول - من واقع قراءة كارل ماركس، وأعني أن ماركس قد زويني بالوعي بأنه أداة لا تستطيع بدونها أن تفهم ماذا يحدث في العالم؛ لقد اقتنعت بفكرةه القائلة إن التاريخ يمكن روئيته وتحليله ككل ، قوله.... لا أود أن أقول قوانين؛ لأن ذلك يذكرنا بالوضعيّة قديمة الطراز إنما له بنية ونمط ، وذلك قصة تطور المجتمع الإنساني عبر فترة طويلة من الزمن.

ويستعين على القول إن التعليمين في فترة شيابي لم يكن لديهم الاهتمام بهذا النوع من التاريخ. غير أنني يدأت دراسة هنا الفرق العلمي الذي ثبت أنه ملائم على تحويله إلى مقول، في حد ذاته، ومن ثم فقد أحاطت به.

كما استطاعت دراسة السوسيولوجيا والأنثربولوجيا – موضوعان يرتبطان كذلك بتطور المجتمعات – .

وأزعم أنتي تعلمت الكثير من ميكائيل بيوستان Michael postan ، مدرس، في كلية درج هاجر من أوروبا الشرقية؛ لأنه كان الوحيد الذي ألم ببعض الشيء عن النقاش، الذي كان يدور عن القارة والأنس الأوروبى القارىء كما كان على دراية بتعاليم أفلانس مثل ماركس والتورخين وعلماء الاجتماع الروس، وبطبيعة الحال – ولله من الالهاجرين الروس – فقد كان معادياً للشيوعية بشراسة ولكنه كان يعرف حاليه . وفي السنوات العشر التي أعقبت الحرب قبلت جيلتنا درس تاريخه في حلقات دراسية منتظمة أدارها مؤرخون أصليون وأعضاء في الحزب الشيوعي البريطاني أو ما يسمى بمجموعة المؤرخين الشيوعيين : كريستوفر هل Christopher Webb وموريس سب m. Webb وثومبسون Thompson ومورخ العصر الوسطى روني هيلتون R. Hilton وأنا ولآخرين، وفي أعقاب الحرب – أيضاً – دارت مناقشات مع مؤرخين كثيراً منهم من الفرنسيين ومن غيرهم، وقد تعاطفت كثيراً مع مدرسة الغوليات<sup>(١)</sup> وإن اختلفت معها في أمر واحد إذ لعنت هذه المدرسة بالتاريخ الذي لن يتغير أبداً وبالهياكل والبني الدائمة للتاريخ بينما أؤمن أنا من التاحية الأخرى بالتأريخ الذي يتغير.

لم تكُن البتة عن الاعتراف بفضل ماركس. فهم ينكرون في نهاية الأمر التفسير الماركسي للتاريخ ؟

(١) فريق من المؤرخين الفرنسيين تجمع حول مجلة حواليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، أسسها في كل من Bloch و Febvre . وقد رفعت هذه المدرسة للتغيير للساند للتاريخ باعتماده سرد الواقع والأحداث التاريخية وفضلت النظر على الماضي الذي البعيد والافتتاح على العلوم الإنسانية الأخرى كالجغرافيا والاقتصاد ثم الأنثربولوجيا والسوسيولوجيا ووضعها في الاعتبار عند كتابة التاريخ. وقد اهتمت في مرحلة لاحقة بتاريخ العقليات (م).-

قبل كل شيء فإن التفسير الماركسي يفترض أن المجتمع البشري ، وعلى أساس إبراك أن مرحلة تاريخية معينة ليست دائمة ، هو بمثابة بنية ناجحة: لأنه قادر على التغيير، ومن ثم فإن الحاضر ليس هو محطة وصوله النهائية، وثانياً فإنه يمكن للمرء أن يدرس طريقة عمل المجتمع *modus operationis* أي سبل عمل نظام اجتماعي معين ، ولماذا ينتج أو يتحقق في إنتاج قوى التغيير. وعلى سبيل المثال، ولكن يمكن تحليل الاقتصاد الصيني عبر عدة قرون فالمرء يحتاج إلى فهم ما الذي حال في هذا البلد دون التغيير أو بإعاقته، وما الذي عمل على استقرار المجتمع بدلاً من زعزعة هذا الاستقرار، وذلك بالرغم العديد من عناصر التقدم الاقتصادي والتكنولوجي. بينما في الغرب فإن المشكلة تتمثل في أن تفهم عكس ذلك تماماً، وذلك هو السبب في أن التاريخ الذي يهمني هو تاريخ تحليلي، أي التاريخ الذي يشيد تحليل ما حدث بدلاً من إزاحة الستار عنه وكشفه، ولا أعني بذلك أنه يمكن استخدامه لكن يفهم المرء تماماً لماذا تطور العالم بطريقة معينة، بل يستطيع إخبارنا كيف تجمعت واحتشدت عناصر شتى داخل مجتمع ما لكي تخلق بنياميكية تاريخية أو تتحقق - على العكس - في أن يحدث ذلك.

## الفصل الأول

### الحرب و السلام

- لقد انتهى القرن العشرون بحرب ، تماماً كما أن القرن القصير بدأ بكارثة الحرب، وكما لو أن الزمن لم يتغير فقد انفجرت المسألة القومية ثانية ووضعت القوى العظمى على المحك . وهكذا، فهل التاريخ يكرر نفسه ؟ وكيف انتقلنا من نهاية الحرب الباردة إلى عودة "الحرب الساخنة" وكيف يمكن أن يوجد الآن عدد من اللاجئين أكثر مما وجد في نهاية الحرب العالمية الثانية.

- من الحقيقي ومن بعض التواحي فإن الحرب في البلقان كانت حقاً وفعلاً حرباً بكل ألمارات حقبة مضت وانقضت فهي استمرار لحروب البلقان - وبوجه أعم - فهي استمرار للحروب التي أفرزها نظام الدول في القرن العشرين ، وقبل ذلك في القرن التاسع عشر. ويمكن القول - إن أردت - إن حرب البلقان هي النتيجة الأخيرة والحاصلة الثانية الأخيرة للحرب العظمى، حيث شهد هذا الصراع انهيار الإمبراطوريات السابقة على البورجوازية والمتعددة القوميات، وأفرزت نهاية إمبراطورية هابسبورج والإمبراطورية العثمانية الخريطة القومية لجنوب شرق أوروبا ، بينما حافظت ثورة أكتوبر على الوحدة التي كانت تمثلها إمبراطورية القياصرة .

ومع انهيار ذلك النظام أيضاً فإننا نشهد حالياً بروز نتائج مماثلة في تلك البقعة من العالم.

وأعتقد أنه من الأكثر أهمية أن نحلل الكيفية التي تغيرت بها الطبيعة العامة للحرب والسلام مع انقضاء القرن العشرين، وتعد الطبيعة العامة للحرب مشكلة أكثر

دلالة ومقرئى من أسبابها المحددة، وتلك - مثلاً - أكثر أهمية من التساؤل عما إذا كانت - أو لم تكن - حرب كوسوفا حرباً عادلة حيث تبيّنت بوضوح كمشكلة ملحة وجسيمة بينما كانت أوار الحرب مشتعلة في ربيع ١٩٩٩ . غير أنه بالتسبيه ل المؤرخ المستقبل الذين سيدرسون الحرب قابن أسلمة أخرى سوق ثور أكثر أهمية بكثير. لأنها تحديد القسمات المميزة ل نهاية هذا القرن، وتدل بقدر ما على القرن المقبل.

إن ما يهمتى أكثر من غيره هو كيف تغيرت الحرب بالمعنى السياسي والتكنولوجى على السواء؟ وهل مازال من الممكن أن تتشعب حرب بين القوى الكبرى في العالم؟ والإجابة بلا ماءامت أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة . ومن الممكن - إن عاجلاً أو آجلاً - أن تبلغ الصين القوة العسكرية التي تؤهلها لكي تقاس الولايات المتحدة الأمريكية على نحو فعال، ولا أريد القول ما إذا كان ذلك سوف يحدث أو لن يحدث، غير أن ما يلوح مؤكداً هو أن نشوب حرب عالمية جديدة أمر غير محتمل إلى أن يحدث ذلك.

وثانياً: هل اندلاع حرب نووية ممكن ؟ من ناحية إن عدم احتمال قيام حرب عالمية يجعل نشوب حرب نووية غير مرجح الحدوث، بيد أن استخدام الأسلحة النووية في الحرب ما يبعدها ممكناً وغير مستبعد لأن التكنولوجيا قد زادت باطراد من إمكانية الحصول عليها ، وجعلت من الممكن إنتاجها على نطاق أوسع ونقلها على نحو أسرع، ومن ثم فإن استبعاد خطر نشوب حرب عالمية لا يستبعد مخاطر الحروب التي قد تستخدم فيها أسلحة نووية.

وثالثاً: هل مازال ممكناً قيام حروب أكثر تقليدية بين الدول مثل تلك التي اعتدنا عليها ؟ والجواب هو أن هذه الحروب لم تتوقف أبداً، إلا في المناطق التي حدثت فيها مواجهة مباشرة بين القوتين العظيمتين، حيث كانتا حريصتين للغاية على تفادي خطر وقوع كارثة نووية . لقد وجدت صراعات في جنوب آسيا بين الهند وباكستان ونشبت حروب في الشرق الأوسط بين إيران والعراق، ومن ثم فإن الحروب استمرت حتى إبان فترة الكابوس النووي، ولذلك فإن إمكانية قيام حروب أخرى ليست بعيدة، ولكن هناك مناطق معينة في العالم من غير المرجح إلى حد بعيد للغاية أن يحدث فيها ذلك.

ونميل إلى أن ننسى أنه توجد مناطق مثل أمريكا اللاتينية، حيث لم يعبر فيها أبداً أي جيش حدود بوليفيا وباراجواي على مدار القرن العشرين - اللهم - باستثناء الحرب التي دارت بين بوليفيا وباراجواي (١٩٣٥-١٩٣٢) وعرفت باسم حرب الشاكو chaco<sup>(١)</sup> لقد حدثت كثرة من المذابح والحروب الأهلية لكن لم تنشب حروب بين هذه الدول، ولا نعلم إلى أي مدى سوف يصدق ذلك - أيضاً - على أوروبا في القرن الحادى والعشرين . وعلى أي حال فإن هذا النوع من الحروب لا يمكن أن يكون وارداً في عالم المستقبل ومع ذلك ربما لن تكون مهمة كما كانت في القرن العشرين.

وأعتقد أن ما هو جديد فيما يتعلق بالوضع في البلقان، هو أن الخط الفاصل الذي يميز بين الصراعات الداخلية والصراعات الدولية قد اختفى أو في سبيله إلى الاختفاء، مما يعني أن الفرق بين الحرب والسلام - بين حالة الحرب و حالة السلام - قد تقلص أيضاً. والوضع اليوغوسلافي حالة نموذجية. وعلى الرغم من أنه ينبع من خصومة وعداء ، وهو ما يعتبره الصرب مسألة داخلية، فقد حدث أيضاً تدخل خارجي، وهو أمر كان مستحيلاً تماماً في القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب الباردة، وأعني عبر الجيوش الأجنبية الحدود لكي تحل صراعاً داخلياً في نطاق بوله ذات سيادة، وفي هذه الحالة فإن أحد طرفي النزاع رفض حتى الاعتراف بنشوب حرب ما .

ويلوح من المتعذر إنكار أن ضرب بوله أخرى بالقناص يشكل عملاً حربياً، ومع ذلك لم يعلن رسميًا اندلاع حرب، ولذلك يزعم بعض الناس أنه لم توجد حالة حرب، وتلك هي الجدة المذهلة لهذا الوضع .

ومن الجلى أننا نتعامل مع إحدى نتائج نهاية الحرب الباردة وإبان تلك الفترة، فإن الاستقرار النسبي الذي شهدته العالم نهض أساساً على القاعدة الذهبية للنظام العالمي، لا أحد يعبر حدود بوله أخرى ذات سيادة ، لأن النتيجة ستكون احتلال التوازن، ومنذ نهاية الحرب الباردة فقد شهدنا نهاية التحديد الذاتي.

(١) نسبة إلى السهل المنخفض المتعد على حدود كل من الأرجنتين وبوليفيا وباراجواي في أمريكا اللاتينية .(م.)

ومن غير الواضح تماماً ما إذا كانت الحروب التي دارت في كل من وسط إفريقيا ويوغوسلافيا وكوسوفا وال العراق هي حروب أم غير حروب، وفي الواقع فإن وجود نقاش واسع النطاق عما إذا كانت هذه الحروب عادلة أم غير عادلة، إنما يعبر بطريقة أخرى عن حيرتنا وارتباكنا في مواجهة ظاهرة جديدة كليّة، وكان الفيلسوف الإيطالي بوببيو Bobbio منطقياً تماماً بقوله إنه لا يريد حتى طرح هذا السؤال؛ لأن السؤال الحقيقي الذي ينبغي طرحه هو ما إذا كانت حرب كوسوفا قانونية طبقاً لقواعد الماضي والجواب بلا، فالقواعد القديمة للحرب والسلام التي ميزت بين الصراعات الداخلية والصراعات الدولية تأكّلت، ولا يبدو من المحتمل على الإطلاق أنه سوف تتم استعادتها في المستقبل القريب.

كما أنه ثمة اختلافات في الطريقة التي تجري بها الحرب، وتلك اختلافات جسيمة يمكن التبؤ ببعضها ، ويصعب ذلك بالنسبة للبعض الآخر، وأولها تحول الحرب الذي أحدثته التكنولوجيا المتقدمة، وقد خشينا في البداية من أن تكون سبباً في نزاعات أكثر دموية وتدمريراً.

ولكن علمنا - منذ حرب الخليج - أن التكنولوجيا المتقدمة تحدث قوة تدميرية أكثر بقاً و تعبيراً، فالقنابل الذكية قادرة على انتقاء أهداف معينة وتفادي أخرى، وإذا نحنينا جانبًا الحوادث المرتبطة بالعمليات الحربية ومخاطر نيران الأسلحة التي تطلق خطأً، فإن هذه الحقيقة الجديدة لها أهميتها لأنها تستعيد التمييز بين المحاربين وغير المحاربين ، الذي اختفى في القرن العشرين عندما كانت الحروب توجه باطراد صوب المدنيين ، مما أتاح لحلف الناتو القول إنه لم يكن يستهدف المدنيين في حرب كوسوفا على سبيل المثال ، ولكنه يستهدف القوات المسلحة و مشانتها من حيث المبدأ على الأقل.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الوضع يجعل من الممكن الاتجاه الأرعن المتكرر على نحو متزايد إلى التدمير، وإذا كنت تعتقد أنك قويًا بما يكفي لكي تستطيع أن تختر بذلة ما تبغي تدميره ، فقد يعززك ذلك على حل مشاكلك باستخدام القنابل كما حدث في العراق .

وبهذا المعنى فإن التكنولوجيا المتقدمة تزيد من مخاطر النزاعات المسلحة - على الأقل من قبل الدول المتوفرة لها - وفضلاً عن هذا فإنها تخس قدر مخاطر ما يسمى بـ "الضرر الملائم أو المصاحب" ولا أعني الأفراد الذين يقتلون عن طريق الخطأ ، وإنما ذلك الضرر الجسيم الذي يصيب المرافق والبنى الأساسية التي تعتمد عليها جماعة معينة في معيشتها وإنتاجها. و بالنظر إلى عدم وجود خطر بقتل أعداد كبيرة للغاية من البشر فقد يتبارى إلى ذهنك أن تلك طريقة متحضره للغاية في شن حرب ما، ييد أنه ثمة تقديرات بأن الاقتصاد الصربي عانى خلال أسبوعين قليلة تدميراً أكبر مما عاناه طوال الفترة التي استغرقتها الحرب العالمية الثانية، ولم تقتصر الآثار على الاقتصاد الصربي وحده : فتدمر الجسور الواقعة فوق نهر الدانوب - مثلًا - أضر ضرراً بالغاً باقتصاد المنطقة باكملها، والتي تمتد من جنوب ألمانيا إلى البحر الأسود وما وراءه.

وأخيرًا، فقد نشأ تباين جسيم - على مستوى أنني - بالنسبة لأولئك الذين لا يستطيعون الحصول على التكنولوجيا المتقدمة بين الحرب التي تشنه الطائرات على ارتفاع خمسة عشر ألف قدم مستخدمة قنابل متطرفة للغاية وبين الحرب البرية، حيث يقتل الناس بعضهم بعضاً باستخدام المدى والسكاكين ، كما حدث في إفريقيا الوسطى وهو ما اتضح بجلاء في كوسوفا حيث دارت الحربان المختلفةان في وقت متزامن دون أن يوجد أى تلامح بينهما. وفي الماضي كان يتسلح رجال "حرب المصابات" بالبنادق والرشاشات ، أما الآن فلديهم قاذفات الصواريخ والأسلحة المحمولة المضادة للطائرات، وذلك إفراز آخر من إفرازات الحرب الباردة ، التي غمرت العالم بقدراتها على إنتاج الأسلحة. وبرغم أنه لم تتشب حروب فعلية بين الدول في تلك الفترة ، فإن صناعة الأسلحة كانت تعمل بكامل طاقتها، كما لو كانت هناك حالة تعبئة فعلية. ومن الواضح أن نهاية الحرب الباردة أتاحت على الفور تلك الترسانة المهولة وجعلتها في المتناول وعلى سبيل المثال، فإن انتهاء الحرب الأهلية في السلفادور طرحت فجأة كميات ضخمة من البنادق الأوتوماتيكية في الأسواق والتي كان يمكن شراؤها على الحدود بحوالى مائة دولار لكل قطعة سلاح، ثم تنقل إلى كولومبيا لإعادة بيعها .. بخمسة مائة دولار، وكانت تلك تجارة رابحة لبعض الناس. والعالم الآن مليء بالأسلحة؛ مما يخلق وضعًا جديداً

تظهر فيه جماعات مسلحة حرة طليقة أو "مرتزقة" لا تكون مرتبطة بالضرورة بحكومة ما، لكنها على أتم الاستعداد للقتال.

واعتبر ذلك علامة تغير أخرى : أي العلاقة الناشئة التي تربط الحروب بين الدول أو الحركات المنظمة بالحروب الخاصة بين الأفراد أو المنظمات الخاصة، وينطوي ذلك على إمكانية حدوث تغير أساسي وجوهري، وقد افترض إبان القرن الذي انقضى أن النزاعات المسلحة - مع استثناءات قليلة - جرت بين دول أو من قبل منظمات شبه حكومية (حركات المقومة في إيطاليا أو يوغوسلافيا) المؤتمر القومي الإفريقي ، حركات التحرر القومي وهي لم تنظمها هيئات أو مؤسسات خاصة ، كما حدث في إيطاليا (خلال القرنين الرابع عشر وال السادس عشر) إبان عصر *condottieri* (قادة المرتزقة)<sup>(١)</sup> أو بمعرفة قادة جيوش المرتزقة. وكان في استطاعة الدول الأوروبية حتى القرن السابع عشر أن تستأجر الجيوش، وفي حرب السنوات الثلاثين كان والنشتين *wallenstein* آخر المقاولين الذي أجر جيشه للدول المتصارعة<sup>(٢)</sup>.

ونشهد اليوم عودة إلى المشروع الخاص في الحرب، وذلك جلياً تماماً في بقاع العالم التي تتحلل فيها الدول - كما في إفريقيا - وحيث تستخدم عصابات المرتزقة حيناً من قبل الفصائل المتحاربة وحيثاً آخر بمعرفة الحكومات.

(١) قادة المرتزقة الذين كانت تستخدمهم المدن الإيطالية أو الأمراء فيما بين القرنين ١٤ و ١٦ ثم بدأوا يعملون لحسابهم حالاً قوية شوكتهم وشرعوا يستولون على الأراضي. وقد شرع هذا النظام في الاختفاء مع بدء القوات الأجنبية واستخدام أساليب جديدة في الحرب في أواخر القرن ١٥ (م) (١)

(٢) حرب الثلاثين عاماً دارت رحاها فيما بين ١٦١٨ - ١٦٤٨ وشملت عدّة دول أوروبية، السويد وفرنسا ثم هولندا وإيطاليا وشبه جزيرة إيرانيا. وكان مسرحها الرئيسي ألمانيا، ويدأت بالصراع الذي نشب بين الأمراء الألمان البروتستكانت الذين شكلوا الاتحاد الإنجليزي في ١٦٠٨ من جهة والسلطة الإمبراطورية الكاثوليكية ممثلة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأل هابسبورج من جهة أخرى، وانتهت بعقد صلح وستفاليا وأسفرت عن تجزيء ألمانيا وضم حلال الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأل هابسبورج. وخرجت فرنسا أقوى دولة في أوروبا وكان والنشتين (١٥٨٣ - ١٦٢٤) رجل أعمال واحد من كبار القادة العسكريين في تلك الحرب. جند جيشاً ووضعه في خدمة الإمبراطور فريديريش الثاني، وقد جعل من الحرب شبه مشروع خاص، وانتقل من معسكر لأخر مغيراً تحالفاته. وقد اتهم بالخيانة العظمى ومات مقتولاً بأيدي أحد ضباطه، ويأمر من الإمبراطور الذي تخلص منه خوفاً من طموحة. (المترجم).

وفضلاً عن هذا ، علينا أن نضيف الاتجاهات الأخيرة فيما يتعلق بالحروب ذات صلة مباشرة بالحكومات ، مثل تلك النزعة الدامية إلى إلغاء التجنيد الإلزامي العام حتى في بلدان يعتمد جيشها حتى الآن على الخدمة الوطنية، ويرمي الاتجاه العام إلى التركيز على استخدام عسكريين محترفين مؤهلين للغاية، وما لا ريب فيه أن هذه العملية تفسح المجال أمام المشروعات الخاصة، وحتى في أكثر البلدان تقدماً هناك الآن منطقة رمادية حيث يعمل جنباً إلى جنب عسكريون متخصصون للغاية وشركات أعمال خاصة توفر خدمات الأمن. وفي بريطانيا العظمى يحصل الجنود من وحدات الكوماندو<sup>(1)</sup> عند تقاعدهم على وظائف مماثلة في الشركات التي توفر الخدمات الاستشارية والعملية للحكومات فيما يتصل بالنزاعات المسلحة ومقاومة الإرهاب .

وهناك بالفعل دراسات عديدة عن الاحتمالات المتوقعة للقوات المسلحة الخاصة في حروب المستقبل ، مثل تلك التي أصدرها معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ، ويعتقد البعض أن هذه الاحتمالات ليست كبيرة خاصة ، وإن تلك الخدمات لا يمكن التعويل والاعتماد عليها. ولكننا لاحظنا - من ناحية أخرى - في حالة حرب الخليج ، الاستخدام الواسع النطاق للمشروع الخاص في تقديم الدعم اللوجستي اللازم للنزاع العربي.

وهو ما يشبه - إلى حد ما - ما حدث في القطاع المنفى إبان الفترة التي حكمت فيها تاتشر، حيث خضعت الخدمات التي كانت تقدمها الحكومة من قبل لعطاءات خارجية، وأعتقد أن النخادر والأعدنة الحربية والمفن والملايس الازمة للقوات الغربية سوف تعرض أكثر فأكثر على الشركات الخاصة لكي تقوم بتوفيرها.

- كما حدث في مقدونيا حيث تأسى شركة أمريكية في أعقاب قوات الناتو لكي تقدم الخدمات اللوجستية.

- تماماً. وتلك ظاهرة جديدة تتعلق بالقرن العشرين، وهي حالة نموذجية لحقبة جديدة نشأت من التفكك النسبي لقوة الدولة في بعض بقاع العالم، وقد بعثت من الرقاد

(1) القوات الجوية الخاصة البريطانية.

شخصية "لوردات الحر" التي لم توجد في أوروبا منذ القرنين الخامس عشر وال السادس عشر. وقد كان لدى هؤلاء الأشخاص القدرة على التأثير على الأحداث السياسية؛ لأنهم قاموا بإنشاء وتنظيم الجيوش الخاصة بهم.

وهو ما يذكرني بالوضع في الصين لمدة خمسين عاماً خلال الفترة الواقعة بين انهيار الإمبراطورية وقيام الثورة ، حيث لم توجد حكومة فعلية وإنما هناك سلطان أو نفوذ كفلته جيوش لوردات الحرب، وكان بعضهم من قطاع الطرق السابقين مثل شان تسولن chan tso lin الذي حكم منشوريا وحول نفسه إلى قائد عسكري (جنرال). إنتيأشعر أن الوضع الراهن - وهو مزيج من الحرب الخاصة والحروب بين الدول - يعني أن هذه الظاهرة ستكون محتملة أيضاً في المناطق التي تتفاوت فيها الدولة على نحو ملحوظ .

ويتعدم ذلك بعامل جديد آخر: الثروة الهائلة المتاحة حالياً للكيانات الخاصة. ويستطيع اليوم الأفراد أو الشركات امتلاك أقوال كثيرة مثل تلك التي تمتلكها الدول، ويرجع ذلك جزئياً إلى نمو التجارة غير المشروعة مثل الاتجار في المخدرات وتهريبها. وفي حدود علمي فإن جيش تحرير كوسوفا لم تموله أي حكومة، وهو ما يرجع في اعتقادى إلى آخر ما تريده الحكومات الغربية هو إنشاء دولة مستقلة في كوسوفا، ولا أعتقد أن الحكومة الألبانية قد ساعدت في ذلك على نحو مهم؛ لأنها ليست في مركز يتيح لها منح أي مساعدة مالية لأحد، ولذلك فمن المؤكد - تقريباً - أن جيش تحرير كوسوفا جرى تمويله من جانب التجارة غير المشروعة التي تمارسها المافيا الألبانية والكوسوفية، كما حدث في الشيشان، ولا أقول إن هذه الأموال أنفقت على قضية غير عادلة، غير أنتي أود أن أقول إن هذه الجماعات - التي ما كان يمكن لها أهمية سياسية بخلاف ذلك - قد اكتسبت هذه الأهمية باللجوء إلى موارد لم تكن متاحة في الماضي ، وهو ما يتضح بجلاء في كولومبيا؛ حيث فقدت الحكومة عملياً السيطرة على مناطق شاسعة من البلاد؛ لأن الجماعات التي تهيمن على هذه المناطق لديها التمويل الكافي للقتال والمقاومة، ولا يوجد فعلاً نقص في الموارد في العالم في الوقت الراهن.

وإننى أرى أن هذه القسمات سوف تتزايد أهميتها فى حروب المستقبل ومن اليسير ليليشيا جيدة التسلیح مكونة من ثلاثة فرد ، ولا تخضع نظریاً لأى حکومة أو دولة أن تسیطر على مساحات شاسعة تهب ما فيها وتطهرها من "الأعداء". وكما رأينا في كوسوفا فلن تحتاج إلى كثير من الرجال لحرق المنازل والقرى وإجبار سكانها على الفرار، وكلما كانت النزاعات المسلحة أقل تنظيماً وخضوعاً للدولة كلما أصبحت أكثر خطورة على السكان المدنيين، ومن هنا العدد الهائل من اللاجئين في عالم اليوم.

وقد اخترتني سيدة من بين أولئك الذين عملوا لسنوات مع الأمم المتحدة في السودان ، الذي تمزقه حرب أهلية منذ أمد طويلاً إنه كان يتعين عليهم في البداية أن يمتنعوا لأوامر قادة حركة التحرر : ليتمكنوا من القيام بالأعمال الإنسانية في مناطق الجنوب، ولكن بعد برهة من الزمن فإن الأرضي التي كانوا يسيطرون عليها تفتت إلى ولايات أو إمارات يحكمها جنرالات أفراد أصبحوا - أيضاً - سادة يتحكمون في مصير اللاجئين، ويتعين على الأمم المتحدة الآن أن تتفاوض مع كل واحد منهم على حدة لتتمكن من مساعدة اللاجئين.

ولحسن الطالع - آنذاك - كان لدينا التليفزيون : لكي يطلعنا على معاناة اللاجئين.

لا يمكن أن يكون هناك أدنى ريب في أن التور الجديد للرأي العام يعد حاسماً في تغيير طبيعة الحرب، وهو ما يمكن أن نحدده أو نسميه بـ "تأثير (القناة الإخبارية) cnn" حيث تصبح الأخبار المختارة مما حدث وقع متاحة على الفور ومبشرة، وتلك نتيجة أخرى من نتائج انتهاء الحرب الباردة ، الآن السيطرة الحكومية ورقبتها على المعلومات أقل بكثير مما كانت في الماضي بل مستحيلة أحياناً، ولم يكن الأمر كذلك أثناء حرب فيتنام ، وظل أقل إبان السنوات التي أعقبتها مباشرة . إن السيطرة الهائلة للتليفزيون قد جعلت من المستحيل في الوقت الحالى على الحكومات إدارة الأزمات الدولية بالطريقة التي كانت معتادة عليها، غير أنه أداة - أيضاً - تحت تصرفها تستخدمنه في تعبيء الرأى العام بسرعة لم تكن تخطر على البال في غابر الأيام.

ولننظر في كمية الوقت التي استغرقها حادث مثل غرق الباخرة *Iusitania* أو حادثة خليج تونكن<sup>(١)</sup> لكي يكون ذلك داعياً إلى إغلاق الحرب.

ويمكن رؤية ذلك في الطريقة التي سمح بها كل من صدام وميلوسيفيتسن لفرق التلفزيون المنتمية إلى البلدين التي كانا في حرب معها أن تقيم وتصور ما أراد أن يطلع عليه ويشاهده الرأي العالمي الغربي ، بينما كان رد الفعل الطبيعي من قبل هو التعنيف بالطريقة السтаلينية المعهودة وهو ما ترك آثاره المهمة على سياسة الحرب.

- لقد وصفت الخصائص الجديدة التي تنزع الحرب إلى أن تسمّ بها في نهاية القرن القصير، بيد أن هذه الخصائص تشمل بروز مفهوم "الحرب العادلة" و"الحرب غير العادلة" ، فهل من العدل في رأيك أن تشن الدول الديمقراطية الحرب على الديكتاتوريين باسم حقوق الإنسان العالمية ؟

تنتابنى هنا بعض الشكوك . إذ لا يبدو لي أن الحكومات تخوض حرباً؛ لأنها عادلة أو غير عادلة، ومن الطبيعي أنها تحاول تبرير ذلك بفرض حشد مساندة عامة بزعمها أنها عادلة، ومن الأهمية إقناع الرأي العام، ومن الأمور الحاسمة تقديم الحرب بطريقة يتصور بها الناس أنها مشروعة وعادلة، غير أنه من العسير للغاية أن نجد أمثلة تاريخية لحكومات شنت حرباً لسبب آخر غير مصالحها القومية.

ومن الجلى أنه ثمة استثناءات لذلك ، ومنها النظم الثورية أى تلك التي جاءت تعبيراً عن ثورة والتي قد تخوض - أحياناً - حرباً لأسباب أخرى قوامها المثل الأخلاقية أو الأيديولوجية أو التحرر الوطني، لكن حتى هذه النظم ما أن تحقق الاستقرار حتى

(١) *Luai tarmia* سفينة بريطانية أغرقتها غواصة ألمانية قبلة سواحل إيرلندا في ٧ مايو ١٩١٥ وكان على متنها ١٢٠ جندى من بينهم ١٢٠ من الأمريكان، واكتفى ويلسون بتوجيه احتجاجات إلى ألمانيا. واقتضى الأمر وقوع أحداث مماثلة واحتلال حرب الغواصات وما استتبع ذلك من مضاعفات اقتصادية لكي تدخل الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى، أما حادث خليج تونكن فقد تمثل في هجوم السفن الحرية الفيتنامية على الدمرات الأمريكية الموجودة في الخليج، وكان ذلك في عام ١٩٦٤ أى قبل أن تبدأ الولايات المتحدة حربها في فيتنام (المترجم).

تبني سياسات خارجية مماثلة تماماً لسياسات الدول وتشريع في العمل على أساس من المصالح القومية.

وفي هذا الصدد علينا أن نذكر دائماً أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل - إلى حد ما - قوة إيدиولوجية نشأت - مثالها مثل الاتحاد السوفيتي - من ثورة وهذا تشعر بالحاجة إلى أن تقود العالم بما يتمشى مع مبادئها، كجزء رئيسي من سياستها الخارجية.

ويمكن أن يكون ذلك بالغ الخطورة . ولا ينتابني أدنى شك في أن الولايات المتحدة تود أن تغير العالم وإن حماية حقوق الإنسان جزء من طموحاتها، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن أن يتبارى إلى ذهني - ولو لمرة واحدة - أن - الولايات المتحدة ذهبت إلى الحرب مدفوعة فقط بفعل الخير دون أن يكون ذلك منطويًا على مصالح قومية مهمة.

واليوم يدور جدل أصيل - بلا أدنى ريب - حول أهمية حقوق الإنسان من أجل تأكيد إلى أي مدى يمكن ضمان الدفاع عنها باستخدام القوة المسلحة، لكنني مازلت مقتنعاً بأنه لا الولايات المتحدة ولا حلف الأطلنطي (الثانو) فكرا جدياً في خوض الحرب كلية على أساس من المبادئ والقيم الأخلاقية، بل إنه حتى الحرب العالمية الثانية لم يتم خوضها من أجل هذه المبادئ . وحقاً كان الحلفاء على صواب وأنقذ انتصارهم العالم من النازية، ولكن هتلر هو الذي جر الديمقراطيات الغربية والاتحاد السوفيتي إلى هذه الحرب كما جرت اليابان الولايات المتحدة.

لقد مررت بتجربة معاداة السامية في ألمانيا، بسبب أصلك اليهودي، وبالنسبة لك لم يكن يوم ٣٠ يناير ١٩٩٢ هو - فقط - اليوم الذي أصبح فيه هتلر مستشار الرايخستاج ؛ لأنك تتذكره أيضاً بوصفه أصيل شتاء في برلينـ عندما كنت في سن الخامسة عشرة عائداً إلى المنزل مع شقيقتك الصغرى من المدرسة في *wilmersdorf* ، وشاهدت أثناء سيرك في الطريق عنواين الصحف، وأنت مازلت تستطيع قراءة هذه العنواين ، كما لو كانت حلمًا تقريباًـ فهل تشعر أيضاً مثل *Elie wiesel*<sup>(١)</sup> أنه لابد من وقف الكراهية

(١) كاتب أمريكي معاصر حاصل على جائزة نوبل للسلام ومن أشد الانصار المتحمسين لدولة إسرائيل - المترجم.

العنصرية (الإثنية) حتى ولو اقتضى ذلك استخدام القوة ، قبل أن يستفحـل ضررها ؟ هل تعتقد أن " التطهير العرقي " ميلوسيفيتـن يشكل جريمة إبادة جماعية ، تقارن بالحرقة (الاهلوكتـ) ؟

لا أظن ذلك، فقد أقرـت في استعمال تعبير " الإبادة الجماعية " ولذلك فقد بعضـاً من معناه، كما حدث شيء مماثـل لكلـمة " الفاشية "، فالإبادة الجماعية عبارة عن خطة لاستئصال جماعة إثنية (عرقية) بـكاملـها وعلى نحو ما فـهي امتداد منطقـي ومتـطرف للتطهـير العـرقي، وعلى سبيل المـثال، بـرـزت مـعلومات - حالـياً - تـشير إلى أن التطـهـير العـرقي في سـرـيـبرـينـتشـيا قـارـب الإـبـادـة الجـمـاعـية. ومع ذلك، فـثـمة خـلـاف جـوـهـرـي بين إـقصـاء النـاس وإـبعـادـهم عن أـرضـهم وأنـتـخبرـهم : " اـذـهـبـوا بـعـيـداً إـلـى مـكـانـ آخرـ " وبين مـمارـسة القـضـاء التـامـ عليهمـ، لقد قـتـلـ النـازـيـ الرـجـالـ والنـسـاءـ والأـطـفـالـ اليـهـودـ وماـ حدـثـ فيـ التـطـهـيرـ العـرـقـيـ هوـ تـرحـيلـ النـسـاءـ وـكـبارـ السـنـ منـ الرـجـالـ والأـطـفـالـ وـاتـفاءـ منـ هـمـ فيـ سنـ القـتـالـ منـ أـجـلـ سـجـنـهـمـ وـالـقـضـاءـ عـلـيـهـمـ جـسـديـاًـ، وـهـذاـ لاـ يـقـلـ بـأـنـ حـالـ منـ الـأـحـوـالـ الـخـطـورـةـ الـأـخـلـقـيـةـ لـالـتـطـهـيرـ العـرـقـيـ، غـيرـ أـنـتـىـ أـعـتـقـدـ أـنـ يـتـعـيـنـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـكـونـ قـادـرـينـ عـلـىـ إـجـرـاءـ هـذـاـ التـماـيـزـ فـيـ التـحـلـيلـ، فـالـتـطـهـيرـ العـرـقـيـ ظـاهـرـةـ تـحدـثـ بـدـرـجـاتـ مـسـتـفـاوـيـةـ مـنـ الـخـطـورـةـ وـيمـكـنـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ حدـ الإـبـادـةـ الجـمـاعـيةـ، وـهـوـ عـمـلـ خـسـيـسـ وـحـقـيرـ فـيـ حـدـ ذاتـهـ بـحـيثـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ جـعلـهـ أـسـوـاـ عـنـ طـرـيقـ اـعـتـبارـهـ مـمـاثـلـاًـ أـوـ مـطـابـقـاًـ لـالـإـبـادـةـ الجـمـاعـيةـ، وـالـحـقـ أـنـ الجـزـرـاتـ وـالـسـيـاسـيـينـ - وـإـنـ كـانـ لـاـ يـوـدـ أـحـدـ مـنـاقـشـهـ ذـكـرـ عـلـنـاـ - لـاـ يـرـدـدـوـنـ فـيـ أـحـادـيـثـهـمـ الـخـاصـةـ أـنـ التـطـهـيرـ العـرـقـيـ قدـ سـاعـدـ تـارـيـخـياًـ - فـيـ أـحـيـانـ كـثـيرـةـ - عـلـىـ تـبـسيـطـ المشـاـكـلـ، وـهـذـاـ سـبـبـ آخـرـ يـجـعـلـنـيـ أـتـشـكـ فيـ الـبـوـاعـثـ الـأـخـلـقـيـةـ لـالـحـربـ فـيـ كـوـسـوـفاـ، وـإـذـاـ لمـ يـكـنـ الـأـلـانـ قدـ طـرـبـواـ مـنـ سـلـوـفيـنـاـ فـهـلـ كـانـ مـنـ الـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ الـبـلـدـ هـوـ الـمـكـانـ الـهـادـيـ الـمـسـالـمـ الـذـيـ نـعـرـفـهـ الـيـوـمـ ؟ـ وـفـيـ النـهـاـيـةـ فـيـ النـزـاعـ فـيـ الـبـوـسـنـةـ اـنـتـهـيـ إـلـىـ فـصـلـ السـكـانـ الـمـخـتـلـفـينـ الـذـينـ عـاـشـواـ فـيـ بـقـاعـ مـخـلـفـةـ مـنـ هـذـاـ الـبـلـدـ، وـأـعـتـقـدـ - مـنـ النـاحـيـةـ الـشـخـصـيـةـ - أـنـ كـانـ مـنـ الـخـطـلـ السـمـاـحـ بـحـلوـثـ هـذـاـ ،ـ حتـىـ وـلـوـ كـانـ الـأـمـرـ مـسـأـلـةـ مـبـدـأـ،ـ وـلـاـ يـنـبـغـيـ حتـىـ مـنـاقـشـهـ باـعـتـبارـهـ حـلـاـ نـظـرـيـاـ أـوـ مـمـكـنـاـ،ـ وـلـكـنـاـ نـعـيـشـ فـيـ عـالـمـ عـنـيفـ لـلـغاـيـةـ ،ـ وـقـدـ يـحـدـثـ.

وإذا لم يكن يوجد واجب أخلاقي يدفع حلف الأطلنطي للقيام بذلك فما هي المصلحة  
- إنن - التي دفعت البلدان الأعضاء في الحلف إلى ضرب صربيا بالقناص؟

لقد كان الهدف بالنسبة لبعض بلدان الحلف عدم فقد المصلحة مع الولايات  
المتحدة.. وكان ذلك وضع بلدان مثل بولندا التي ليس لها أى مصلحة محددة في  
كوسوفا، ومن المؤكد أنها لم تفكر أن عليها أن تشارك في حرب بعد أن انضمت إلى  
الحلف، وبليدان أخرى كثيرة كانت لديها جداول أعمال (برامج) معينة مثل إيطاليا  
وفرنسا. وبالنسبة لبريطانيا العظمى فإن المبدأ التقليدي لسياساتها الخارجية الذي  
تنسرك به وتفكر بمقتضاه، هو أن عليها أن تظل منحازة مائة في المائة إلى الولايات  
المتحدة، ولم أقل أن الباقي كان رباءً ونفاقاً؛ لأن هناك من يعتقدون بأخلاص  
فيما يقولون، لكن من المؤكد أنه ليس دافعاً جدياً للحرب.

وفيما يتعلق بالأمريكيين فإن الحرب في كوسوفا مسألة أكثر تعقيداً بكثير، وبداية  
فيما الأمريكية اهتموا بالبلقان ، لأن أوروبا أخفقته على نحو دراماتيكي في جلب  
الاستقرار إلى المنطقة في مستهل تسعينيات القرن الماضي، ولذا تعين على الأمريكيين  
أن يتذلّوا؛ لأنهم فهموا في ذلك الوقت - بوصفهم القوة العظمى الوحيدة - أنه لا يمكنهم  
أن يظلو بعيداً عن تطورات الأحداث وذلك لأن جزءاً - على الأقل - من البلقان بعد منطقة  
استراتيجية لها أهمية بالغة من الناحية الجغرافية لبنية حلف الأطلنطي بحيث لا يمكن  
تجاهلها، وفي الحقيقة كان الأمريكيون أول من أرسل قوات مسلحة إلى مقدونيا  
منذ عام ١٩٩٢ ، وأعربوا صراحة في عهد بوش (الاب) عن مصلحتهم الاستراتيجية  
في يوغسلافيا بما في ذلك مصير كوسوفا، وفعلوا ذلك لأسباب عديدة ليس أقلها إبرار  
أن الأمم المتحدة لن تكون قادرة على مجابهة أزمة البوسنة وإيجاد حلّ لها، بما أنها  
ليست قوة مستقلة وإنما تتضمن على أساس السلطة التي تخولها إليها القوى العظمى،  
وهكذا وجدت الولايات المتحدة نفسها بعد انتهاء حرب البوسنة في وضع لا تستطيع  
أن تتحلل منه ، وإن كان لا يمكنها أن تتصرف بمفردها دون مساندة الحلف. وفي رأيي  
أن الولايات المتحدة رأت - أيضاً - في أزمة البوسنة فرصة متاحة؛ لكي تخلع على حلف  
الأطلنطي نوراً جديداً ، وتمنحه غاية ومفرزى جديدين عقب انتهاء الحرب الباردة ،

وهو طموح لم أفهمه وأتبينه تماماً بعد، واليوم تعتبر الولايات المتحدة نفسها قوة تقع عليها مهمة تحقيق استقرار العالم وأن تلجم - عند الضرورة - إلى عمليات الشرطة الدولية وبذلك عليها أن تثبت أن قوتها تستطيع - إذا لزم الأمر - التدخل في أي بقعة على الكره الأرضية؛ لكن تفه الأعداء المحتملين خارج منطقة الناتو.

إن مستقبل حلف الأطلنطي هو السبب الحقيقي لتدخل الحلف في الحرب، ولا يجب أن يغرب عن البال أنه عندما عدّ كلينتون الأسباب التي دعت إلى اتخاذ قرار حرب صربيا بالقنابل، كان أولها هو الدفاع عن مصداقية الحلف والوثوق به وبالتالي بالولايات المتحدة، ولا أعتقد أنه تصرف تصرفاً حسناً للغاية وحقق نتائج باهرة ، غير أنه من الجلي أن الحلف شعر بضرورة أن يعمل شيئاً ما، ولكن يمكن حل الأزمة الإنسانية فقد كانت توجد أفعال أخرى كثيرة كان يمكن القيام بها.

- وما الذي يمكن عمله لوقف ديكتاتور يستطيع أن يأتي ما يشاء بشعبه  
هل يستبعد مسبقاً التدخل العسكري ؟

- هناك استثناءات بطبيعة الحال، ومن الواضح أن البوسنة تمثل حالة وثيقة الصلة بالموضوع، ومن الناحية الأخرى ثمة عدة معايير يتعين اتباعها، وهناك مثالان مهمان على التدخل العسكري الذي أوقف بنجاح جرائم ضد الإنسان ، وطرد حكامًا ديكتاتوريين متواشين، المثال الأول هو غزو فيتنام لكمبوديا للإطاحة بنظام بول بوت ، والمثال الثاني هو تدخل تزانيا في أوغندا عندما كان يحكمها عيدى أمين، وأعتقد أن هذين التدخلين كان لهما ما يبرهما، لكن السبب الحقيقي الذي لا يجعلني أبدى أية تحفظات على هذين الحربين هو نجاحهما وفعاليتهما في تحقيق أهدافهما وفي فترة وجيزة نسبياً، وأحد التحفظات لدى على التدخل في كوسوفا، هو أنه لم يتم بهذه الطريقة؛ لأنه كان واضحًا منذ البداية أن إسقاط عدة قنابل على صربيا سوف يعمل على أن تسوء أوضاع اللاجئين وتتفاقم أحوالهم، وعلى أن أضيف أن الولايات المتحدة والصين استمرتا لسنوات - بعد قضاء فيتنام على نظام حكم بول بوت - في تقديم مساعدة لقوات الديكتاتور، مما يبين بوضوح أيضاً أن سياسات الدول والقوى لا تحددها

في المقام الأول الاعتبارات الأخلاقية ، وبالطريقة نفسها فإنتي أرى أن التدخل الإنساني في البيوستة لم يتم تصوره وإدارته بالفعل على هذا النحو، وبذلك لم يكن فعالاً، فقد أعلنا أنهم سوف يحمون المقاطعات أو الأقاليم المحصورة ، لكنهم لم يتخلوا أى إجراء يمكن أن يكفل تحقيق هذا الهدف.

إنتي أعتقد أن التدخل في الشؤون الداخلية لدولة ما ، وعلى وجه التحديد لسبب الاندماج الجديد بين السياسة الداخلية والسياسة الدولية، يجب أن يستجيب لقواعد ومعايير محددة بوضوح تام، ويستلزم الأمر إجراء نقاشين حول هذا الموضوع، وما هي القواعد الجديدة لنظام القوى الدولي؟ ونحتاج إلى العودة إلى وضع لا يستطيع فيه أحد أن يقوم بعمل عسكري دون وجود تفاوت واسع النطاق دون أن يستند إلى مبررات جادة ولا يستطيع العالم أن يسير ويعمل إذا ما كان في وسع أحد أن يقول فقط : إنتي قوى بما فيه الكفاية لكي أفعل ما أريد ، ولذلك سوف أقوم به .

- لقد حارب الصرب دفاعاً عن سيادة الدولة القومية (الأمة - الدولة) وتمرد ألبان كوسوفا؛ لأنهم ينتمون من الناحية العرقية (الإثنية) إلى أمة أخرى، ومن المفترض أن العولمة بشّرت بنهاية الدولة القومية ، ومع ذلك فهي موجودة - أيضاً - تلتها على نحو متزايد كذلك غلالة من التبريرات العرقية والدينية ، ترجع جذورها التاريخية إلى العصور الوسطى. فماذا يحدث ؟

- يتبعنا علينا أن نميز بين معندين لمصطلح الدولة القومية (الأمة - الدولة) وهي تعنى في التعريف التقليدي دولة ذات أراضي إقليمية يتمتع الشعب الذي يعيش فيها - الأمة - بسلطة سيادته، ذلك هو معنى القومية (الأمة - الدولة) الذي انبثق من الثورة الفرنسية وجزئياً من الثورة الأمريكية، وذلك تعريف سياسي للدولة ولا يعد تعريفاً عرقياً أو لغوياً :

فالشعب هو الذي يختار حكومته ويقرر العيش بدسّتور معين وقوانين معينة، وبالمقارنة فإن المعنى الآخر الذي اتخذه هذا المصطلح أكثر حداثة، ويكون من الفكرة القائلة: إن كل دولة إقليمية تتبع إلى شعب معين ، تحدده خصائص وسمات معينة

عرقية ولغوية وثقافية وهو ما يشكل الأمة، ووفقاً لهذه الفكرة فإن أمة واحدة - فقط - هي التي تعيش في الدولة القومية ويعتبر الآخرون أقلية تعيش في المكان نفسه لكنهم لا يشكلون جزءاً من الأمة، ويعيش كلا النوعين من الدولة القومية في أزمة ، غير أنه يتغير علينا أن نميز بينهما، وما نجده في يوغوسلافيا هو انهيار دولة تعاملت فيها أمة شتى بالمعنى الإثني للكلمة، حيث نشهد تحولها إلى دول عديدة تعمل كل منها على إقصاء الأمم الأخرى وحرمانها التمتع بحق المواطنة.

ويقتصر ما أستطيع أن أرى هناك إمارات ضئيلة للغاية فعلاً من الضغط الجماهيري من أسفل؛ لكي يتحقق انتهاء الدول المتعددة القوميات - على الأقل - في ظروف عادية، وقد رأينا ذلك مؤخراً في حالة إسكتلندا وويلز، فهذا الشعبان يشعران بوضوح بعدم انتمائهما إلى الإنجليز ولن يجبنا اعتبارهما كذلك ، لكن حتى الآن ومع وجود حركات قومية الطابع وقوية وحتى مع وجود انفصاليين في هذين البلدين ، فما زالت هذه الحركات منتشرة بين أقلية من سكانها، وحتى اليوم لا أعتقد أنه يوجد مثال واحد على انفصال تقرر بموجب تصويت ديمقراطي أصيل، ولا أقول إن ذلك من المستحيل ألا يحدث، وإنما أقول إنه برغم كثرة الحديث عن حق تقرير المصير فلم يحدث في الواقع أبداً، وعندما نتحدث عن حق الشعوب في تقرير مصيرها علينا أن ندرك حقيقة أننا لا نتحدث عن حركة قوية من أسفل (شعبية). ومن الطبيعي أنه حالاً يحدث انفصال في الواقع ومهما كانت أسبابه التاريخية فمن اليسير أن تجد أغلبية مناصرة له ، بل أغلبية كبيرة أحياناً، وحالاً تقسم الدول متعددة القوميات وتتحطم فعندئذ - وعندئذ فقط - تضطر الجماعات الإقليمية إلى أن تجد ارتباطات جديدة وتحتار للاءات جديدة.

ويوغلافيا خير مثال على ذلك فقد كانت دولة متعددة القوميات، ولم يوجد أى مبرر معمول - في رأيي - يدعو إلى الاعتقاد بأنها كانت سوف تتفتت نتيجة للضغط السياسي الذي تمارسه مكوناتها القومية ، كما لم يوجد أى مبرر للاعتقاد بأن الاتحاد السوفيتي كان سوف ينفجر بسبب الضغوط الداخلية للقوميات، وحتى في حالة إمبراطورية هابسبورج لم يوجد خطر حقيقي للتفتت التام، على الأقل ليس قبل اندلاع الحرب نفسها.

وإن أكثر ما يمكن قوله إنه وجدت ضغوط تحررية وجذوبية<sup>(١)</sup> للانفصال والانضمام إلى أمة أخرى بالنسبة لبعض قوميات كانت تضمها الإمبراطورية، وعلى سبيل المثال فيما بين الأقلية الإيطالية والرومانية التي شجعها القرب الجغرافي من التولى التي تنتمي إليها قوميتها، والحقيقة إنه عندما تزول الإمبراطوريات - لأى سبب كان - فإن القوميات تضطر إلى أن تتبع الحقول البديلة ، لمجرد أن تجد تبريراً لما حصل.

كيف اخترع التاريخ مبررات قومية ، لكن يخلق توافقاً وإجماعاً من حول نظام معين ؟ وكيف يمكن لهزيمة عسكرية في القرن الرابع عشر أن تحول إلى أسطورة مؤسسة لقومية حربية جديدة بعد ستة قرون؟

تعد الأساطير القومية مجالاً آخر يتبعين عليك أن تميز فيه بين ما يأتي من أسفل وبين ما يفرض من أعلى، فالأساطير القومية لا تنشأ عفوياً من الخبرات والتجارب الفعلية للشعب ولكنه يكتسبها من أشياء أخرى أو أشخاص آخرين: من الكتب ومن المؤرخين ومن الأفلام وحالياً من أولئك الذين يصنفون التليفزيون، وهي لا تشكل بوجه عام جزءاً من الذاكرة التاريخية أو الموروث الحى ، باستثناء بعض الحالات الخاصة ، حيث يكون ما قد يصبح في نهاية الأمر أسطورة قومية هو ثمرة من ثمار الدين، وهناك حالة اليهود ، حيث يشكل الطرد من أرض إسرائيل والعودة المؤكدة إليها جزءاً من الممارسة الدينية والأدب، وضمن حدود معينة فإن هذا يصدق - أيضاً - على الصرب لأن خسران الدولة الصربية في العصور الوسطى أصبح جزءاً من الطقوس الدينية الأرثوذكسيّة وأضحى جميع أمراء الصرب - تقريباً - رموز الإيمان الأرثوذكسي، وتلك حالة خاصة، ولكن هنا أيضاً فإن الأمر لا يتعلّق بشعب يتذكر دائماً، فهو يتذكر لأن هناك من ينكره باستمرار.

والمثال المتطرف - وهو تصوير بارع لهذه العملية - هو حالة إسرائيل ولا يمكن أن يوجد أدنى شك في أن الأسطورة التاريخية للطرد من فلسطين وحلم العودة إليها

(١) إشارة إلى مبدأ سياسي ينادي بتحرر المقاطعات المتصلة تاريخياً أو عرقياً بوحدة سياسية ما (والتي تخضع في حينها لوحدة أخرى) وجمعها في نطاق هذه الوحدة الطبيعية (م).

لم يتم تصورها كبرنامج سياسي قبل نهاية القرن التاسع عشر، والحق أنها تأسست بمعزل عن المصادر التاريخية للشعب اليهودي، ولم تعتبر العودة إلى إسرائيل - يقرون - هدفاً عملياً ، لأن اليهود اعتنقو أنهم لن يعودوا إلى القدس قبل أن يأتي المسيح وبطبيعة الحال فإن اليهود اعتنقو ومازالوا يعتقدون أن المسيح لم يأتي بعد، والحق أنه في ١٩٦٧ فقط - وللمرة الأولى - وجد اتجاه داخل الديانة اليهودية لقبول دولة إسرائيل ، على أساس أن الانتصارات التي تحققت في حرب الأيام الستة تتسم بطابع إعجازي للغاية ، بحيث تشير إلى أننا ندخل فعلاً في الفترة التي سيأتي فيها المسيح، وقد كانت أحداث التاريخ التي جاءت مصادفة هي التي جعلت من الممكن للإيمان التقليدي (الأرثوذكسي) أن يتقبل ما كان يرفضه كلياً حتى ذلك الوقت.

وفي الواقع أن الصهيونية قد عارضتها دائمًا وبشراسة الديانة اليهودية التقليدية (الأرثوذكسيّة). وعلى أي حال فإن إسرائيل وجد اليوم، وإن إسرائيل ليس لها أي أساس تاريخي، وعلى النقيض تماماً فهى تتعارض مع مجلّم تاريخ الشعب اليهودي ، بدءاً من الإمبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وإن التاريخ الوحيد الذى تستطيع إسرائيل أن تستخدمه لتبرير نفسها هو التاريخ الذى يبلغ عمره ألفى عام على الأقل، وكل شيء آخر حدث فى غضون ذلك يجرى حجبه والتغطى عنه؛ لأنه لا يبرر الأساس الذى تقوم عليه إسرائيل والحروب التى خاضتها تلك الدولة. وحقيقة أن المعبد أقيم فى القدس قد تحولت إلى حقيقة سياسية حديثة؛ لكن يمكن زعم أن القدس كانت دوماً مركز الديانة اليهودية وبالتالي عاصمة الشعب اليهودي (وفوق ذلك لا معنى للحديث عن العاصم فى فترة سابقة على الإمبراطورية الرومانية ، لكن تلك مسألة أخرى) وعلى أي حال فقد استخدم اليهود حجة المعبد؛ لكن يبرروا ليس فقط الأساس الذى تقوم عليه دولتهم ، بل قيام القدس كعاصمة لهم.

إن هذه الحجة تماثل بدرجة أو أخرى تلك التى استخدمنا الصرب فى كوسوفا، وبهذه الطريقة يتم تبرير وضع سياسى راهن بما لا علاقة له بالحاضر، لكنه كان حقيقةً منذ ستة قرون أو ألفى عام، ويستخدم لإعادة ترتيب كل ما حدث فى الفترة

المتخلاة بينهما، وبذا يخلق تاريخ مناضل وبطولي على نحو كاف، وهو ما كان مناسباً لإسرائيل في ١٩٤٥ أو لصريبيا اليوم، وأفضل مثال على ذلك هو ما أصبح نوعاً من الشعيرة أو الاحتفال التاريخي ومحوره صخرة أو قلعة المسادا (مسدة) <sup>(١)</sup> masada ووفقاً لعلماء الآثار القوميين فإن مسدة هي المكان الذي قاوم فيه تسعمائة يهودي الحصار الروماني حتى النهاية، مفضلين الانتحار الجماعي، وقد تحولت هذه الحادثة إلى شعيرة قومية يشارك فيها كل شاب إسرائيلي في مكان يزوره السياح الأجانب، وقد أنجزت هذه العملية عبر الزمن وعلى وجه الإجمال مع إخفاء تلك الجوانب من القصة التي لا تلائم الهدف القومي، وإسرائيل مجرد مثال واحد ، وإن يكن مثالاً دالاً، إن علم الآثار الإسرائيلي الذي اصطحب بصبغة سياسية بالغة منذ البداية ، قد أهمل - تقريباً - جميع الجوانب الأخرى المتعلقة بالآثار المحلية بغرض التركيز على تبرير الأساس والدعائم التي تنهض عليها إيديولوجية وطنية قومية.

ويصدق الشيء نفسه على اليونان القديمة، وعندما أصبحت مستقلة فلم تكن أثينا عاصمتها بئي حال من الأحوال، ولم تصبح في الواقع الأمر عاصمة لليونان على الإطلاق، وقد كانت مدينة مهمة للغاية في العصور الوسطى القديمة الكلاسيكية، بيد أنها اختيرت كعاصمة من قبل أولئك الذين احتاجوا - كما حدث في إسرائيل - العودة إلى ماضٍ جديد له صلة محددة بالواقع التاريخي، وفضلاً عن هذا فإن ٥٠٪ من سكان أثينا كانوا من الألبان، وقد غدت ما قد أصبحت عليه عندما أعاد تشييدها الملك البافاري الجديد في أسلوب نيو كلاسيكي ، بحيث يمكنها البداية في التشبيه بما زعموا أنها كانت عليه يوماً : عاصمة اليونان قديماً الموحدة، ويقول آخر فإن الماضي أعيد تصميمه ، على نحو يشبه قليلاً تصميم الأزياء الفاخرة؛ لكن يمكن إضفاء هدف سياسي معين

(١) قلعة المسادا تقع في فلسطين بالقرب من البحر الميت لجأت إليها طائفة يهودية بعد استيلاء الرومان على أورشليم، وقد حاصرها الرومان لمدة عامين. وفضل سكانها الانتحار الجماعي على الاستسلام، وعندما دخلها الرومان وجدوا سبعة أحياء فقط، وقد أصبح هذا المكان مراراً سياحياً. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هذه المجموعة عبارة عن عصابة من القتلة عرفت بلجوئها إلى الاغتيال السياسي وقد تتم طردهم على أيدي اليهود أنفسهم وهلكوا في أعلى المسادا. (٢) عام ١٨٣٠ م.

في ملمس أنيق بحيث تستطيع الصفوّات والأقليات المثقفة التي تحكم فرص رؤيتها للتاريخ والأدب على بقية الشعب.

ووقت الاستقلال (١٨٢٠) لم يفكر اليوناني العارى البتة في فكرة اليونان الحديثة كوريث لليونان القديمة وأثينا وبيركليس، ولم يشترك اليونان في القتال لاستعادة العصور القديمة الكلاسيكية وإنما على الأرجح: لأنهم شعروا أنهم كانوا يقاتلون دفاعاً عن العقيدة الأرثوذكسية ضد الأتراك ومن أجل الإمبراطورية البيزنطية ضد من أوقعوا بها الهزيمة، وكانت بيزنطة والعقيدة الأرثوذكسية هما الموروث الحى الحقيقي لليونان.

وبطبيعة الحال عندما تنشأ دولة جديدة بنظام تعليمي جديد فإن الشعب يتعلم إن عاجلاً أو آجلاً، ويتأثر إلى حد ما بعملية الاستعادة والتعمير التاريخية هذه، وفي حالة اليونان فقد حاولوا إيجاد لغة أدبية جديدة أقرب إلى اللغة الكلاسيكية.

وهناك عامل آخر قوى صالح في كل مكان وليس فقط عند تأسيس الدول الجديدة ، وهو الاحتياج إلى "ال دائم" و "الأساسى" أو "الأصلى" ويكتسب ذلك أهمية سيكولوجية عظمى عند الأفراد والجماعات على السواء ، ولا سيما في النصف الأخير من القرن العشرين ، حقبة التغير وعدم الأمان المطرد وحتى في المناطق التي لا يمكن العيش فيها في انعزاز ، مثل الولايات المتحدة حيث تأتي موجة وراء موجة من القابعين الجدد بغرض الاستقرار، فإننا نستطيع أن نرى بروز الحاجة إلى أن تكون لك الأولوية أو الأسبقية ، وأن تكون قادرًا على القول "نحن هنا، وتلك أرضنا، ولا آخرين أتوا لاحقاً أو بعدها، فنحن الذين كنا هنا دائمًا وأبداً" وذلك نوع من الرواية الدينوية للأبدية.

وهو ما يذكرنى بالمثال الفريد للحركات السياسية للهنود الأمريكيين، ويتفق دارسو ما قبل التاريخ عامه على أن الجنس البشري وصل إلى أمريكا عن طريق وصول المحيط الهادئ من شمال شرق آسيا إلى الأسكا ، ثم استعمرا القارة تدريجياً، وحدث ذلك مؤخرًا نسبيًا ، أى منذ حوالي مائة ألف سنة. وبالنسبة للنشاطاء في حكومة السكان

الأمريكيين الأصليين<sup>(١)</sup> فإن هذا يعد لبعض الأسباب نظرية غير مقبولة تماماً ، لأنها تجعلهم أحدث أو أصغر سنًا أكثر مما ينبغي، وهكذا من الممكن أن تجد خبراء يقولون تحن لأنهم بما يقولوه ما قبل التاريخ، فقد كنا هنا دائمًا ونحن هنا قبل أي أحد آخر في العالم وتحوّل إلى عدم معقولية هذا الرزيم بأنه لا بد وأن تكون له جانبية عاطفة صارقة وقوية للغاية، وهو ما يصدق بصفه خاصة على أولئك الذين ليس في وسعهم - لأسباب أخرى - أن يكونوا متاكدين من فرادتهم الاستثنائية أو من بقائهم دائمًا حيث هم ، لأنهم تعرضوا لامتزاج متواصل وتحركات مستمرة حول الكره الأرضية.

ويعتبر - لبعض الأسباب - ميزة من زاوية علم النفس الاجتماعي - أن يكون في وسعي أن تتبااهى بتاريخ ممتد، ولهذا السبب فإن النزعة القومية برغم كونها ظاهرة حديثة تزعم دائمًا أنها قديمة للغاية، وذلك لأن العصر القديم المهيّب يشبع الحاجة الديمومية وحقوق التقدم والسبق على الآخرين، وبينما عليه فتاك ظاهرة بالغة التعقيد ، ولا نستطيع تفسيرها إلا من خلال عمليات التقرير ولا توجد تفسيرات وحيدة مقنعة.

(١) ابتداء من الخمسينيات استخدام مصطلح native بدلاً من الهنود الأمريكية وأصبح سائداً منذ سبعينيات القرن الماضي، ويفضل البعض باعتباره أكثر دقة للدلالة على السكان الأصليين لأمريكا وربما كان أكثر تحديدًا من مصطلح الهنود الأمريكيين (م).



## الفصل الثاني

### انحطاط الإمبراطورية الغربية

إن الانفجارات ذات الطابع القومي - التي حلتها أتفاً - رافقتها - مع ذلك - انحدار الدول في بقاع كثيرة من العالم وانهيار المؤسسات والنظم القانونية والاستعاضة عنها بحكم العصابات العنيفة والجماعات الإثنية (العرقية). وعلى النقيض - مما سبق - فإنه يمكن أن يستعاض عنها ببساطة ، كما في حالة الملاذات الضريبية بمحالس إدارية للرأسمالية الكونية. فما هو مستقبل الدولة بوصفها مؤسسة في القرن القادم؟

- أعتقد أنتا نواجه عكس العملية التي امتدت لقرنون الموجة التاريخية الطويلة التي تحركت صوب التشبيب والدعم التدريجي للدول الإقليمية أو الدول القومية (الأمة - الدولة) بالمعنى السياسي لهذا المصطلح، وهو اتجاه هيمن على العالم المتقدم على أقل تقدير منذ القرن السادس عشر إلى حوالي - فلنلقي - ستينيات القرن العشرين. والأمر المثير للاهتمام أن هذه العملية تطورت كليًّا في معزل عن الطابع الأيديولوجي للدول، خاصة منذ القرن الثامن عشر، وانطبق ذلك على جميع نظم الحكم ، بغض النظر عما إذا كانت الدولة ليبرالية أو محافظة أو فاشية أو غير ذلك، وغدت الدولة قادرة أكثر فتكًا على تحديد المنطقة التي تحكمها والسكان الذين تحكمهم، وتزودت بقدر هائل ومتزايد يومًا من المعلومات المتصلة بسيادتها ، وأصبحت أكثر فعالية في أداء واجباتها الإدارية. ويقول آخر، اكتسبت مسؤولياتها و مجالات تدخلها، وعندما بلغت هذه العملية أوجهها في منتصف "القرن القصير" ، لم يبق إلا النذر اليسير لم يكن خاضعًا لسيطرة الدولة.

ولعلك تتنكر نظرية المواطنـة التي قدمها توماس مارشـال عالم الاجتماع الإنجليـزي، إذ تأتـى في المقدمة المواطنـة المدنـية والقانونـية ومواطنـة الحقوق ، ثم المواطنـة السياسيـة التي تتطـوـي على المشاركة، وأخيراً تأتـى المواطنـة الاجتماعيـة، وبالنسبة للدولة فهـذا يعني أنها تولـت احتـكار القانونـ وحولـته إلى قانونـ دولة، ثم أصبحـت السياسـة سيـاستـة قومـية وخـضـعت لها جـمـيع الأشكـال الأخرى لـلـسيـاستـة أو غـدت تعـتمـدـ عليهاـ. وأخيراً وسـعـتـ الـولـةـ مجالـ نـشـاطـهاـ.

بدءـاً من فـرـصـ سـيـطرـتهاـ علىـ جـيشـهاـ ، مـنـذـ القرـنـ السـابـعـ عـشـرـ عـلـىـ الـأـقـلـ وـانتـهـاـ بـإـادـارـةـ الصـنـاعـاتـ ، وـتـخـطـيطـ الـاقـتصـادـيـاتـ باـكـملـهـاـ بـحـثـ لمـ يـظـلـ أـىـ شـيءـ - تـقرـيبـاـ - خـارـجـ نـطـاقـ سـيـطرـتهاـ، وـلـاـ أـشـيرـ هـنـاـ إـلـىـ نـظـامـ الحـكـمـ الشـمـولـيـ ولوـ كـانـتـ المـلـكـةـ المـتـحدـةـ أـكـثـرـ دـوـلـةـ ليـبـرـالـيـةـ فـىـ مـسـتـهـلـ القرـنـ الثـامـنـ عـشـرـ بـالـفـةـ القـوـةـ فـعـلـاـ، لـيـسـ فـقـطـ فـيمـاـ يـتـعـلـقـ بـمـعـرـفـةـ ماـذـاـ كـانـ يـحـدـثـ دـاخـلـ أـرـاضـيـهـاـ، بلـ أـيـضاـ فـىـ إـادـارـتـهاـ وـالـتـحـكـمـ فـيـهـاـ.

وـحتـىـ القرـنـ التـابـعـ عـشـرـ لـمـ يـكـنـ فـىـ اـسـتـطـاعـةـ أـىـ دـوـلـةـ أـنـ تـضـطـلـعـ بـإـجـراـءـ تـعدـادـ دـقـيقـ لـلـسـكـانـ، وـقـبـلـ ذـلـكـ كـانـ مـنـ الـمـسـتـحـيلـ فـعـلـيـاـ وـجـودـ نـظـامـ فـيـ وـسـعـهـ أـنـ يـرـاقـبـ عـمـلـيـاـ سـكـانـ الـرـيفـ. حـتـىـ أـنـهـ كـانـ مـنـ الصـعـبـ مـعـرـفـةـ الـأـوضـاعـ الـدـقـيقـةـ لـلـحـدـودـ الإـقـلـيمـيـةـ لـلـسـيـادـةـ الـقـومـيـةـ، وـبـالـرـغـمـ مـنـ وـجـودـ جـبـالـ البرـانـسـ الـتـىـ تـشـكـلـ حـدـاـ فـاصـلـاـ بـكـلـ وـضـوحـ، فـلـمـ يـتـمـ تـرسـيمـ الـحـدـودـ بـيـنـ فـرـنسـاـ وـإـسـپـانـياـ عـلـىـ نـوـتـقـصـيـلـيـ إـلـاـ بـمـوجـبـ مـعاـهـدـةـ ١٨٦٨ـمـ، وـهـذـاـ الـاتـجـاهـ لـدـىـ الـدـوـلـ الإـقـلـيمـيـةـ لـزـيـادـةـ تـدـقـيقـهـاـ وـمـعـارـفـهـاـ وـقـدـرـتـهاـ التـكـنـوـلـوـجـيـةـ وـسـلـطـتـهاـ وـطـمـوـحـهاـ اـسـتـمـرـ دـوـنـ اـنـقـطـاعـ - تـقرـيبـاـ - حـتـىـ أـشـاءـ الـفـتـرـةـ الـتـىـ سـاـيـتـ فـيـهـاـ الـاقـتصـادـيـاتـ الـحـرـةـ الـتـىـ رـفـعـتـ شـعـارـ "ـدـعـهـ يـعـمـلـ"ـ، وـتـواـصـلـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ عـقـدـ السـتـينـاتـ.

وـمـثـالـانـ عـلـىـ ذـلـكـ : أحـدـهـماـ هوـ النـجـاحـ الفـائقـ الـذـىـ حـقـقـتـ الـدـوـلـ الرـئـيـسـيـةـ فـىـ الـعـالـمـ إـبـانـ القرـنـ التـابـعـ عـشـرـ فـىـ مـجـالـ نـزـعـ سـلاـحـ شـعـوبـهـاـ، وـبـمـعـنـىـ آخـرـ منـحـتـ وـكـالـاتـهاـ وـهـيـئـاتـهاـ اـحـتـكارـ وـسـائـلـ الـقـهـرـ وـالـقـمـعـ، وـقـبـلـ ذـلـكـ كـانـ نـزـعـ سـلاـحـ الـفـلـاحـينـ أـيـسـرـ مـنـ نـزـعـ سـلاـحـ النـبـلـاءـ، وـقـدـ نـاقـشـ مـكـافـيـلـاـلـيـ هـذـهـ الـمـشـكـلةـ باـسـتـفـاضـةـ.

وفي القرن التاسع عشر، فإن مقدرة غالبية الدول على منع السكان من التجوال مسلحين جديرة باللحظة حقاً، وتعد الولايات المتحدة من الاستثناءات النادرة، حيث اختارت ألا تفعل ذلك، برغم أنها كانت تستطيع القيام به، وهو ما فعلته كندا مثلاً، والمثال الآخر هو الحفاظ على النظام العام، الذي يعد جزءاً من الظاهرة نفسها. وكان مستوى النظام العام في البلدان المتقدمة في أوروبا حدثاً تاريخياً خارقاً للعادة تماماً.

وهناك عامل آخر لم يتحقق مع مقدم الديمقراطية بقدر ما تحقق مع انغماض الناس العاديين في العملية السياسية، وهذا العامل هو الولاء التطوعي وخضوع المواطنين لحكوماتهم، وهذا الولاء ليس للنبلاء أو الأرستقراطيين وإنما للدولة والأمة، والحروب التي قامت على أساس التجنيد ما كان ممكناً أن تفضي دون هذا الولاء.

وربما تتذكر ما كتبه توماس هووز "إن الأمر الوحيد الذي لا تستطيع أى دولة، ولا حتى الطاغية الديكتاتورية، أن تقوم به هو أن يجبر الناس على القتل وأن يكونوا راغبين في أن يقتلوا" مع ذلك، فإن الدولة الحديثة تمكنت من أن تفعل هذا على وجه الدقة وأن تقوم به مراراً وتكراراً.

وعلى الرغم من أنها فعلت ذلك مراراً عن طريق التجنيد، فإنها نجحت في ذلك - أيضاً - عن طريق مناشدة المواطنين وإقناعهم بأنه إذا كان عليهم أن يتحدون مع الجماعة فعليهم أن يكونوا مستعدين للقيام بذلك الفعل السامي وهو التخلّي عن حريةهم وحياتهم.

واعتبرت الطاعة الاختيارية للدولة عنصراً أساسياً في المقدرة على تعبئة السكان، وأيضاً في تحقيق الديمقراطية. لقد تطورت هذه العملية عبر القرون وبلغت أوجهها في ستينيات القرن العشرين، حالاً جرى تنظيم جميع البلدان - بما في ذلك أكثرها رأسمالية - كدول تتمتع بسلطات ضخمة. وهو ما صدق على الولايات المتحدة أيضاً أكثر من غيرها.

ويبعد أن هذا الاتجاه بدأ يتوقف، ولست أدرى ما إذا كان قد ارتد على أعقابه وإن كان من المؤكد أنه فقد زخمه منذ ستينيات القرن العشرين. ولكن واضحين في هذا الصدد، إذ لا يعني أن سلطة الدولة غدت مقيدة محدودة نظرياً على أقل تقدير. والحق أن مقدرتها على أن تكتشف ما يحدث داخل أراضيها – وإن تراقبه – مازالت أعظم مما كانت في أي وقت مضى، فالدولة الآن قادرة على التصنت على أي محاسبة بالفعل، حتى ولو كانت على قمة جبل، ونحن نشهد نمواً هائلاً في استعمال كاميرات الفيديو التي تعمل طوال الوقت وبلا توقف، وتراقب كل مكان عام، وأصبحت درجة المراقبة الممكنة حالياً أكبر وأكثر تغللاً ونقاذاً مما كانت في أي وقت في التاريخ، ولذلك لا أستطيع القول إن الدولة فقدت سلطتها.

ومع ذلك فقدت الدولة إلى حد ما، على سبيل المثال احتكارها لوسائل القمع. وهو ما يرجع – جزئياً – إلى التيسير الهائل في بعض أنواع الأسلحة حالياً، كما يرجع أيضاً إلى تضليل عزوف المواطنين عن الاستخدام، وهو ما أعتقد أن له أهميته الخاصة. وبقول آخر، فإن التغير يتمثل في أن المواطنين أصبحوا أقل استعداداً لطاعة قوانين الدولة مما كانوا عليه في الماضي، ومن أهم الأمثلة على هذه الظاهرة أحداث ١٩٦٨ . وإذا ما تمت المقارنة بين سلوك الطلبة من اليسار الجديد والرأيكياليين في المحاكم الأمريكية وبين الموقف السابق للمدعي عليهم من الشيوعيين، فإننا نلاحظ إنه برغم أن الآخرين رفضوا تقديم معلومات عن أنفسهم استناداً إلى المادة الخامسة المعدلة من الدستور الأمريكي (التي تتبيح رفض الإدلاء بالشهادة المسيطرة إلى النفس- المترجم) فإنهم تصرفوا بما يتماشى – تقريباً – مع القوانين السائدة التي قبلوها في مآل الأمر، ولكن اليسار الجديد – من الناحية الأخرى – لم يتماش مع القوانين السائدة، رافضاً الإجراءات بكل منها، وتصرف كما لو لم يعد يعترف بالمبادئ الأساسية التي تنظم إدارة الشئون العامة، والتي اعتبرت من قبل واجباً على كل مواطن.

ومثال آخر هو النظام العام، ففي سبعينيات القرن العشرين أبلغ قادة الشرطة البريطانية الحكومة أنه لم يعد ممكناً ضمان السلم الداخلي والنظام العام اللذين جرى

الحفاظ عليهما وكفالتها حتى الآن، وكانت المظاهرات التي نظمت ضد حرب فيتنام مثلاً آخر؛ حيث غدت أشبه بالانتفاضات منها بالظاهرات السلمية، وقد بلغت قوة الدولة الحديثة ذروتها عندما كان الاحتجاج الاجتماعي يتم في نطاق مؤسسي بطريقة أو أخرى كجزء من العملية السياسية العادلة، كما لو كان شعيرة تقريباً. وقد انتهى ذلك أيضاً في أوروبا في السبعينيات من القرن العشرين.

وتمثل الدليل الواضح على هذه الظاهرة في عدم المقدرة - عبر فترات طويلة من الزمن - على التخلص من القوى المسلحة المنظمة الموجودة داخل الأراضي الإقليمية التابعة للدولة القومية حتى في ظل وجود حكومات قوية وعلى سبيل المثال فإن منظمة "IRA" الأيرلندية مثلت لمدة ثلاثين عاماً التعايش في أيرلندا الشمالية بين إدارة حكمية عادلة وعناصر لحكومة إقليمية خاضعة للسيطرة، وحدث هذا برغم حقيقة أن منظمة "IRA" يتتوفر لديها عتاد ورجال أقل إلى حد بعيد مما هو متاح للدولة، ويمكن أن يكون هذا الأمر ظاهرة مؤقتة غير أن ما هو مؤكد أنه تقوى منذ السبعينيات من جراء تشريع الحكومات بعقيدة لاهوتية تؤمن بتفوق الأسواق الحرة، التي ينصب اهتمامها بوضوح على معاداة الدولة بغض إضعافها مع العمل على عكس الاتجاه التاريخي عن عدم والمتمثل في الدور المتزايد في قوته للدول في المجال الاقتصادي ومسئوليتها الأخرى بالحاجة.

ولا يعني هذا تحلل الدول، وعلى الرغم من أنه قد تعين على بريطانيا العظمى أن تعيش في وضع يشبه - تقريباً - الحرب الأهلية بين فصائل مختلفة لدة ثلاثين عاماً فإن سلطتها لم تتحلل برغم أنها يمكن أن تكون قد ضعفت. بيد أنني أود أن أؤكد على حدوث تغير في العلاقة بين الدولة وبين الأنشطة غير الخاضعة للدولة والتي تتم داخل حدودها الإقليمية.

ويتمثل الجانب الآخر المشكلة في تلك المناطق التي تتجه فيها جميع أشكال الدولة إلى زوال وتوجد الآن (وهو أمر جديد تماماً على ما أعتقد) مناطق شاسعة في إفريقيا وأجزاء ضخمة في وسط آسيا وغربيها، حيث يتعدز من الناحية العملية الحديث عن بولة وظيفية، وربما يصدق ذلك على البلقان. ومن غير الواضح إلى أي مدى نستطيع أن

نتحدث اليوم عن دولة وظيفية في ألبانيا. والتبادر صارخ، لأنَّه وجدت دولة في ألبانيا حتى نهاية الشيوعية تماماً كما وجدت في شمال القوقاز، وإن لم يعد لها وجود، وأعتقد أنَّ هذا الانعكاس في عملية تقوية الدولة القومية (الدولة - الأمة) التي امتدت لقرون عديدة والتحلل والزوال العلني لبعض الدول إنما يرتبط بفقدان سياسة الدولة على الاحتكار الفعلى لقوة القهر والقمع، وفي بعض الأحوال لم يعد للدولة وجود كما في أفغانستان، وحل محلها العداء المستحكم بين الفصائل المسلحة بدرجات مختلفة والتي ترتبط بدرجة أو أخرى بملك الأرض والأستقراطيين، وتتفاصل هذه الفصائل بغية التوصل إلى نوع من التوازن كما حدث مع إقطاع القرن الخامس عشر. وفي أماكن أخرى، كما في إفريقيا مثلاً، لم يصل الوضع إلى هذا النحو.

وأعتقد أنَّ تحلل الدول في هذه المناطق من العالم يعد بصفة أساسية ثمرة انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية ونهاية الحقبة التي سيطرت فيها القوى الأوروبية الكبرى على قطاعات واسعة من العلم، حيث وجدت مجتمعات غير محسومة بدول عليها قدرأً من النظام الداخلي والخارجي، وهو ما يسرى - أيضاً - على الأراضي التي فتحتها روسيا بعد ١٨٠٠ م، كما في القوقاز، وقد اتضح الآن أنَّ هذه العملية لم تكن في حالات قليلة فقط أكثر من مجرد عملية فرص من الخارج، وفي ألبانيا مثلاً، حيث لم تقم دولة قبل ١٩١٢ ، بسبب عدم وجود ألبانيا، فإنه لا يمكن أن يوجد أدنى شك في أنه نهضت دولة وظيفية في ظل الحكم الشيوعي، حتى ولو كانت ثمرة حل وسط فيما بين قوى لا يضمها إطار دولة ما، لكن حالما زال هذا القطاع في الواقع، ارتدت ألبانيا إلى نظام أشبه بحرب العشائر، كما حدث في الشيشان.

ويلوح لي أنَّ ما حدث في هذه البقاع من العالم يماثل من بعض النواحي ما حدث في أوروبا عقب سقوط الإمبراطورية الرومانية، فلم تعد توجد أى سلطة مركبة وتتوفرت في بعض الأحوال سلطات محلية تمكنت من أن تمارس مهامها، وفي أحوال أخرى حدث غزو من قبل جماعات جاءت من الخارج تمكنت من ترسين وجودها، بيد أنَّ مناطق شاسعة في أوروبا افتقرت في الواقع الأمر إلى وجود هيكل دائم وعامة يستلزمها وجود الدولة، وامتد ذلك لفترة طويلة من الزمن. وأعتقد أنَّ هذا هو ما يحدث

ثانية في بعض البقاع العالمية، مما يخلق مشاكل جادة وخطيرة في قيام علاقات مع البقاع الأخرى من الكرة الأرضية التي لم يحدث فيها مثل ذلك: أوروبا وأمريكا وشرق آسيا، وهو ما يثير مسألة التفاعل بين العالم الذي توجد فيه دول والعالم الذي لا توجد فيه دول.

ويصعب القول ما إذا كان العالم سوف يغدو أكثر صعوبة في تدبير شئونه أو كذلك بسبب المشكلة المشار إليها أنتأ، أي طاعة الشعوب لحكوماتها، وقد وجد افتراض عام في معظم فترات التاريخ بأن المواطنين سوف يديرون بالطاعة لحكومة فعلية مهما كانت نوعيتها وبغض النظر مما إذا كانوا يرتضونها أم لا. والحق أنه تم قبولها في بعض الحالات بسبب قوتها، وفي حالات أخرى جرى قبولها على أساس الفكرة التي أبدتها هولندا، وفحواها إن أي حكومة فعلية أفضل من لا حكومة على الإطلاق، وعلى سبيل المثال عندما فتح البريطانيون الهند تمكنوا من حكم هذا القطر فترة طويلة للغاية بما يربو قليلاً على بضعة عشر ألف رجل بما فيهم الجنود. وإذا سلمنا بأنهم كانوا يحكمون قطرًا يتجاوز سكانه مئات الملايين، فقد كان يتعرّز تحقيق ذلك ما لم تقدر غالبية السكان الموافقة على نظام الحكم، وقد قبل الهنود الآخرين في الماضي وكانوا من الأجانب أيضاً، وارتضوا بهم هذه المرة كذلك. وذلك هو السبب في النجاح الفائق للأغلبية الدول الإفريقية في حكم إمبراطوريات استعمارية ضخمة، وفي النهاية فإن حفنة ضئيلة للغاية من البشر التي قاومت، وبكل تأكيد ليس أولئك الذين تعوّدوا بالفعل على العيش في ظل قيام حكومة من نوع آخر. وإن أولئك الذين عاشوا في مجتمعات بدون دولة هم - فقط - الذين رفضوا الخضوع، كما في حالة أفغانستان أو المجتمعات القبلية التي عاشت في غرب الولايات المتحدة الأمريكية أو الأكراد أو ببر المغرب، والشعوب التي قاومت هي أساساً الشعوب التي كان يمكن أن تقاوم أي شكل من أشكال الحكومة، سواء أكانت حكومتهم أو حكومة أجنبية، وما أعنيه أن أغلبية الشعوب في العالم ارتضت فكرة أن تكون محكومة.

والوضع الجديد في ختام القرن القصير وعقب تعبئة الشعب من أسفل (لأن هذا القرن كان قرن عامة الناس، بالنظر إلى اضطلاعهم بدور أساسى في إدارة الشئون العامة)

يتمثل في أنه لم يعد من الممكن أن يؤخذ هذا الاستعداد لقبول سلطة عليا كقضية مفروغ منها، وعلى نحوها فإن المقاومة أثناء الحرب العالمية الثانية في أوروبا تعتبر متقدمة لهذه الظاهرة، وتمثل رد الفعل التقليدي في حكومة بيتان petain أو حكومة فيشي (التي قامت بعد احتلال النازية لفرنسا) نحن خسرنا الحرب وهم كسبوها علينا أن تتقبل الوضع الجديد وربما كان هذا رد فعل عقلاني، بيد أن حركة المقاومة رفضت رفضاً تاماً أن تتوافق مع هذا الوضع الجديد وكان ذلك إيذاناً ببدء عملية التغيير.

ولهذا السبب يبدو لي أن الحل الواضح الذي طبق في القرن التاسع عشر في تلك المناطق في العالم التي شهدت تحول الدول والذى تمثل في تحويلها إلى مستعمرات، لم يعد صالحًا للتطبيق. وهو مكلف للغاية وتنتائجة غير مضمونة، ولنأخذ المثال الذي قدمته في كتابي "عصر التطرف" فيما يتعلق بالصومال وقد واجه البريطانيون والإيطاليون دائمًا مشاكل في إدارة هذا البلد، غير أنهم لم يصادفوا في أى وقت مصاعب جديدة في حكمه كمستعمرة. بل إنه لم يقترح أحد أنهم يتبعن عليهم الانسحاب. وفي تسعينيات القرن العشرين تدخلت الولايات المتحدة لأسباب إنسانية وقبل أن يتاح لها الوقت للتعرف على م الواقعها وتحديد اتجاهاتها تم طردها بالفعل، ولم تعد الشعوب في بلدان كثيرة مستعدة لقبول هذا المبدأ القائل إنه لا تجدر مقاولة جيوش الاحتلال.

ويصدق ذلك أيضًا على البلقان، وكانت الحجة السائدة في الماضي إنه عندما يواجه بلد صغير التفوق الكاسح والجليل لخصمه فلابد إنه يقول إن أجلاً أو عاجلاً: "حسناً، ليس هناك الكثير مما يمكن عمله لوقف تقدمه" وكان هذا معقولاً جزئياً، غير أنه تصادف أن ذلك لم يعدي يحدث بهذا القدر من السهولة، ولهذا سيجدون صعباً أكثر فأكثر معرفة ماذا يمكن القيام به في هذه المناطق، لأن التدخل الفعلى سيقتضي الحشد الدائم لقوات قد تكون بلدان قليلة على استعداد للبقاء عليها، أو قد تفعل ذلك في حالة ما إذا كان بقاوها عرضة للخطر. وعلى سبيل المثال، فإن بريطانيا العظمى لن تحشد الموارد اللازمة نفسها للقيام بعمل ما في كوسوفا مثل تلك المستخدمة في أيرلندا الشمالية، لأنه ليس لها الأهمية نفسها. وإذا تمت المقارنة بين تكلفة حكم البوسنة بعد الحرب وبين تكلفة حكم إحدى المستعمرات فإن الفرق يتجاوز كل الأبعاد

والنسب، وأعتقد أنه وجد ٦٤٠٠ جندى فى البوسنة الصغيرة وهو ما يضاهى - تقريباً - العدد الذى احتاجته بريطانيا لحكم شبه القارة الهندية والحفاظ على النظام العام.

تعد مشكلة وسط وشرق أوروبا التى لم تجد حلأً بعد محور الأزمة الأوروبية، والتى سرعان ما تفجرت حالاً تمزقت الغاللة الرقيقة التى كانت تغلف الإمبراطورية السوفيتية أثر سقوط حائط برلين، ولقد سبق لك القول إنه لم توجد عندما ولدت سوى ست دول من بين الثلاث والعشرين دولة التى تظهر على الخريطة حالياً فيما بين ترستا والأورال، وإذا أخذنا شخصاً ما فى مثل عمرك، حيث جاء مولده فى المدينة المعروفة حالياً باسم Lviv<sup>(١)</sup> وقد عرفت باسم Iwowa و Lemberg لكان من الممكن أن يعيش فى ظل أربع دول، دون احتساب فترة الاحتلال أثناء الحرب، فهل تحيط الشكوك إذن بمصير هذه الشعوب وهذا الجزء من أوروبا، ويظهر أن محاولة التعايش فى ما بين القوميات المتعددة التى شرع فيها ستالين فى الاتحاد السوفيتى وتتوفى فى يوغوسلافيا لم تترك أثراً واحداً فى وعي هذه الشعوب.

لا نعرف بعد ما هي الآثار بعيدة المدى لهذه النظم على الشعوب التى تحكمها، برغم أنه من الواضح أنه ستتوجد آثار طويلة الأجل، وعلى سبيل المثال، فنjen نرى أى حركة فى وسط الفلاحين الروس للعودة إلى المشروع الخاص فى الزراعة، ولو أن القطاع الخاص فى الزراعة كان يمثل الجنة للفلاحين الروس قبل تطبيق نظام الملكية الجماعية فى العشرينات من القرن العشرين، وهناك آثار أخرى امتدت لأجيال عدة، وقد قرأت مؤخرًا مقاله عن اليهود الروس فى إسرائيل تشير إلى أنهم يرثون أنهم وصلوا إلى إسرائيل - خلافاً لبقية اليهود - دون أى شعور بالنقض، ولم يتاثروا

(١) الاسم البولندي ثم الاسم الألماوى على التعاقب. وهى مركز ثقافى وصناعى مهم تقع فى أوكرانيا قرباً من الحدود البولندية. أصبحت فى ظل الحكم التصavisى ابتداء من ١٧٧٢ م عاصمة غاليسيا وتم التنازع عنها ببولندا عقب الحرب العالمية الأولى ثم الاتحاد السوفيتى فى ١٩٣٩ م وقد احتلتها الألماوى أثناء الحرب وقد قام بابا روما أثناء زيارته الأخيرة لأوكرانيا بإقامة أكبر صلاة له أجراماً أثناء زيارته لهذه المدينة (المترجم).

بالأعراض المريضة التي تزامنت مع الهولوكست، وقد عبروا عن موقفهم قائلين "لقد حاربنا هتلر وهزمناه" وذلك برغم معاناتهم "معاداة السامية" في روسيا، وفضلاً عن هذا فإن هؤلاء اليهود كانوا أكثر علمانية من غيرهم، لقد وجدت تأثيرات دائمة ومستمرة على الشعوب التي عاشت في ظل هذه الأنظمة لعقود طويلة.

بيد أنه لا تتوفر لدينا البحوث الملائمة، لكن نحدد ما هي هذه الآثار وماذا سيكون مداها الأبعد.

ولطبيعة الحال فإن عودة ظهور العادات القومية المتساوية في هذه البلدان يصعب تفسيرها من بعض النواحي، خاصة أنه يبدو أنها زالت واختفت - تقريباً - بفعل العدد الكبير من حالات الزواج المختلط، لا سيما في المدن. ومن المحرج أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في وسط الفئات المتعلمة بدرجة أكبر منها في القطاعات الأفقر في هذه المجتمعات، لكن انتشارها وحجمها كانا على درجة كبيرة إلى حد أنه لم يكن من المتوقع حدوث هذا الفصل الجديد وتلك التفرقة والتمييز بين الجماعات العرقية.

لقد تحدثت في كتابي "عصر التطرف" عن عامل قد يساعدنا على الفهم، فنظام الحكم الشيوعية كانت نظماً نخبوية عمداً وقصدأً، إن لم يكن لسبب آخر غير الإصرار على الدور القيادي للحزب. ولم يكن غرض هذه النظم هداية الشعب، إذ لم تكن عقائد دينية كما للكنائس الرسمية، ولهذا السبب فإن غالبية الشعوب التي خضعت لهذه النظم لم تكن مسيسة بصفة أساسية. ولم تدخل الشيوعية في حياتها بالمعنى الذي دخلته الكاثوليكية - مثلاً - في وعي شعوب أمريكا اللاتينية عقب الاستعمار. والشيوعية شيء تتوقع منه نتائج جديدة أو سينية ولكنها - على وجه العموم - لم تندمج في نفوس البشر بحيث تصبح مبدأ هادياً، وإن كان قد حدث استثناء واحداً، حقاً يتعلق بروسيا الكبرى أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد لا يوجد شك في أن ستالين تمكّن من تحويل نفسه إلى قائد قومي حقيقي، لأنه أدار حرباً أدركها الشعب مشاعر صادقة بوضعيتها حرباً قومية، حيث اشتراك فيها بالفعل كل روسي، ولهذا السبب فإنه ما زال يتquin إملاء قدر كبير من الاهتمام لتجربة الحرب عند طرح أسئلة عن موروث الشيوعية في روسيا.

وعلى أي حال فعندما انهارت هذه الدول - كما حدث تماماً حالاً تجزأ الإمبراطورية الأخرى عقب الحرب الأولى - تعين على كل منها إيجاد ارتباطات مختلفة وأشكال تضامنية مغایرة وحتى أولئك الذين لم يكونوا راغبين في القيام بذلك، وأينما وجدت من قبل أشكال من القومية وربما لم تكن معادية للسوفيت - بالضرورة - فإنها اضطرت بحكم التاريخ إلى الأضلاع بدور جديد أكثر قوة وأكثر بروزاً. ومن المفارقات قبول الشيوعيون للمعايير القومية المتعلقة بالأراضي والأقاليم "التي تتسم إلى" أمة محددة عرقياً ولغويًا، ومن ثم تكونت الإمبراطورية في الأراضي المتعددة القوميات - وبصفة رسمية - من اتحادات فيدرالية من مثل هذه "الأمم" وعندما تحطم فإنها تصعدت على طول الخطوط المتتصدة المكونة بالفعل، وربما كان انبعاث القوميات شيئاً قد جرى تسجيله في الشفرة الوراثية لهذه المجتمعات، ومن الممكن أن تكون التقسيمات القومية واصلت عملها في مستويات أعمق بكثير مما افترضنا، ومع ذلك فلا أستطيع أن أعتقد أن التعايش السلمي الذي ساد بين شعوب يوغسلافيا لمدة خمسين عاماً يرجع بكماله وحصرًا إلى سلطة الحزب الشيوعي اليوغسلافي.

هل علينا أن نقلق على عالم لم يعد يحکمه أي نظام يولي للدولة كما عرفناه منذ القرن الثامن عشر؟

إذا تكلمنا من الناحية المثالية فقد نفضل نظاماً مختلفاً، كما أنه من الحقيقي أن التقديرين لا يتفقون على طريقة موحدة لتنظيم الدول والوحدات السياسية، ويمكن أن توجد تنظيمات أخرى غير تلك التي تعودنا عليها بالفعل ولكن نعم يتعين علينا أن نقلق أيضاً، لأن العمولة عملية لا يمكن تطبيقها في سهولة ويسر على السياسة، ومن الممكن قيام اقتصاد معولم وقد نطلع إلى وجود ثقافة معولمة، ومن المؤكد أنه لدينا تكنولوجيا معولمة وعلم عاليٍ وحيد، ولكن إذا ما تحدثنا من الناحية السياسية فإننا نجد أن عالمنا ما زال يتسم في الواقع بالمتعددية - فضلاً - عن انقسامه إلى دول إقليمية. والحق أن جميع هذه الدول ليست سواء، ويوجد ما يقرب من مائة دولة على وجه البسيطة، وبعضها يعد ملاذات ضريبية، ولا يوجد في الواقع الأمر ما يبرر وجودها سوى فائدتها للاقتصاد العالمي، ومع ذلك فإن ثلاثة أرباع سكان العالم يعيشون في قرابة خمسة وعشرين دولة يسكن كل منها أكثر من خمسين مليون نسمة.

وبينما يمكن نظرياً وجود تشكيلة من المؤسسات العالمية، فإننى لا أعتقد أنه من الممكن للسياسة أن تعمل فى مثل هذا الفراغ، والواقع أنه لا توجد مؤسسات سياسية كونية، وربما كانت أقربها إلى ذلك هى الأمم المتحدة، التى تستمد سلطتها أو قوتها من الدول القائمة، وفي الوضع الراهن فإنه يوجد إذن تعايش بين نظامين مختلفين: نظام للاقتصاد ونظام للسياسة، وإنه فى هذا السياق عليك أن تسأل نفسك ماذا سيكون تأثير إضعاف الدولة القومية (الدولة - الأمة) وهل هو أمر جيد أم سيئ؟ - وسنرى - غير أنه من المؤكد أن الدولة - الأمة لا يمكن تجاهلها، ولا يمكن النظر إلى العلم كما لو كانت غير موجودة أو غير مهمة، لأنه فى مجال السياسة لا يوجد شيء بجانبها، وأمكانية وجود سلطة كونية وحيدة تتضطلع بدور سياسى وعسكري مؤثر وفعال غير متحدة حالياً.

هل تأسف لزوال البنية الثانية التى كانت مكونة من الدولتين العظيمتين اللتين راقبتا مجالات نفوذهما وتصرفتا كما يتصرف رجل الشرطة؟ وماذا تصورت عندما تفكك الاتحاد السوفيتى، مع تسلیمنا بأنه كان لاعباً على المسرح البولى واعتبرته دانماً عنصر تحرير واستقرار؟

لقد تمثلت مشكلة الحرب الباردة في أن العالم عاش بصفة مستمرة تحت ظلال كارثة مميتة هي اندلاع حرب نووية عالمية، وبينما ظلت الحرب الباردة قائمة، ولفتره طويلة، فإن احتمالات وقوع تلك الكارثة كانت قوية للغاية لسبب أو آخر، وليس أقلها عن طريق الصدفة (مثل وقوع حادثة ما) وأنت تعرف قانون مورفي الذى يرى أنه إذا كان من الممكن لأمر شيء أن يحدث فمن المؤكد - تقريباً - إنه سوف يحدث أجيلاً أو عاجلاً. وبرغم حقيقة التهديد بشوب حرب نووية مع استمرار الحرب الباردة فإنها لم تقع، ولا ينفي ذلك وجود لحظات كان يمكن أن تتشعب فيها هذه الحرب (أزمة الصواريخ الكوبية، ومطلع الثمانينيات فى رأى) بيد أنها تقاضينا ذلك، وعلينا أن نعترف بأن الحرب الباردة قد خلقت الاستقرار فى العالم أو على الأقل فى يقان شاسعة فيه، للأفضل أو للأسوأ حسبما ترى، إذ تعتبرها غالبية البلدان الأوروبية أمراً جيداً، ولست أدرى ما إذا كان يمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لجزاء من آسيا، وعلى سبيل المثال لست أدرى ما إذا

كان من الأمور الحسنة ذلك الاستقرار الذي شهدته أنتونيسيا لمدة ثلاثة عاماً في ظل حكم سو هارتو. ولا أحد ينكر أنها خلقت الاستقرار في العالم. ولم تجعل الحرب مستحيلة، ولكنها وكما حدث في القرن التاسع عشر على وجه الدقة، جعلت بعض أنواع الحروب ممكناً على أقل تقدير. وبما أن هذا الوضع لم يعد قائمًا فعلينا أن نسأل أنفسنا ما الذي يمكن أن يحل محله.

وفي الوقت الراهن حل محله عدم يقين تام، لأنه لم يتم تدمير الاتحاد السوفيتي تماماً فحسب، بل دمر - أيضاً - كامل نظام العلاقات الدولية الذي اعتاد عليها العالم أو أوروبا على الأقل، منذ القرن الثامن عشر. وقد نهض هذا النظام عملياً على وجود عدد معين من اللاعبين، أي وجود بلدان اضطاعت بدور رئيسى وكانت معروفة للجميع وموافقها معلومة أيضاً، وشمل ذلك روسيا التي كانت تشغله مطلع القرن الثامن عشر تقريراً حجم الأرضي نفسها. وفوق ذلك عرف الناس قواعد اللعبة التي وجدت منذ نهاية حرب الثلاثين عاماً ومعاهدة وستفاليا، التي أبرمت في 1648 أي منذ ما يزيد على ٢٥٠ عاماً، وقد جرى الاعتراف باستقلالية وسيادة الدول كل على حدة وعرف الناس متى يغدو ممكناً التدخل في شئونهم وما الذي يمكن أولاً يمكن عمله في مجال السياسة الدولية، وقد زال الآن هذان العنصران.

لقد تحدثنا آنفاً عن تأكل القواعد والمعايير، مثل الفرق بين الحرب والسلام، مبدأ عدم التدخل حظر عبور الحدود إلا في أوقات الحرب (لأن القاعدة الأساسية ليست أبداً لا تستطيع بكل بساطة أن تشن حرباً بل عليك أن تعلن الحرب).

لكن يتمثل جانب آخر للمشكلة في زوال القوى القديمة، مما ترك فراغاً هائلاً، وما زالت روسيا تواصل تحطيمها بوصفها دولة، وهو ما لم يحدث منذ منتصف القرن السابع عشر، ومنذ مستهل القرن الثامن عشر وجد كيان واحد بين بولندا والمحيط الهادئ، وربما تكون قد صادفت مشاكل كثيرة وقدر هائل من حروب عدم اليقين في مناطق آسيا الوسطى لكنه ظل وحدة واحدة يمكن تبيين معالها ولم تعد موجودة اليوم، وقد فقدنا هذه الفكرة حتى من الناحية المفهومية، ولم يعد في وسعنا أن نقول - مهما حدث

فى المستقبل خلاف لذلك - إن روسيا ستغدو أحد اللاعبين الأساسية على المسرح الدولى، وحتى بعد الهزائم المأساوية التى حذرت فى ١٩١٨ و ١٩٤٥ كان فى استطاعتنا فقط أن نقول : "حسناً، إن ألمانيا منهوبة القوى راكعة على ركبتيها غير أنه من الجلى أنها سوف تصبح إن أجالاً أو عاجلاً لاعباً رئيسياً مرة أخرى" ولا يمكن أن نقول الشيء نفسه حالياً عن روسيا ومأساتها عظيمة لدرجة أنه حتى وجودها فى المستقبل موضع تساؤل، وإن الحجم الحقيقى لهذه الكارثة تمت الاستهانة به إلى حد خطير.

لقد حذرت ثلاثة انكسارات فى تاريخ القارة الأوروبية خلال القرن العشرين: عقب الحرب العالمية الأولى وأثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى. وأعتقد أن الحدث الأخير هو الذى سيترك أعمق الآثار بعيدة المدى، ولا نعلم بعد ماذا ستكون عليه. وعلى سبيل المثال. فإن المستقبل السياسى للدول التى أعقبت الاتحاد السوفيتى مازال غير مؤكداً، وبعد حوالي عشر سنوات منذ سقوط الاتحاد السوفيتى فإن تحالها مازال مستمراً، وانقسمت إلى جماعات متاخرة على نحو متباين، كما فى آسيا الوسطى، وبينانها فيما للغاية. فما المستقبل السياسى لطاجيكستان غير واضح على الإطلاق على غرار جارتها أفغانستان التى تشتعل فيها أوار الحرب الأهلية منذ سنوات عديدة، وواصل الاتحاد الروسى التحلل نفسه إلى مناطق مستقلة عملياً أو تتمتع باستقلال ذاتى. وهكذا فإن المصير السياسى لذلك الجزء من العالم الذى تمتد حدوده من رومانيا إلى الصين غير مؤكداً إطلاقاً، وهو ما لم يحدث فى أعقاب الحربين العالميتين. والسؤال المطروح على القرن الجديد هو ماذا يمكن أن يكون البديل الفعلى لنظام الدول القديمة الذى ساد العالم من قبل.

ربما تكون أمريكا. فقد سمي القرن الذى انتهى بالقرن الأمريكى، ويظهر الآن أن الولايات المتحدة تتولى مهمة إدارة النظام العالمى على نطاق الكوكب الأرضى بأسره، حيث تستخدم حلف شمال الأطلنطي بوضعه النزاع资料 العسكري لتحقيق هذا الطموح، وفي حالة كوسوفا زعمت أنها تعمل بعيداً عن المصالح الإستراتيجية المحضة وعلى أساس الاعتبارات الإنسانية البلاغية، فهل نحن نتجه نحو قرن أمريكي آخر، سيكون هذه المرة "أخلاقياً" كذلك؟

هذا أمر ممكناً، غير أنني أشك في ذلك ويهيأ لي أن القرن الأمريكي ارتكز قبل كل شيء على التفوق الهائل لاقتصاد الولايات المتحدة وبينما يحيط به حجمه، وهو من الصخامة بحيث لا يمكن مقارنته باقتصاد الدول الرأسمالية الأخرى، علينا أن نتذكر أن الاقتصاد الأمريكي في عقد العشرينيات من القرن العشرين مثل ٤٪ من جملة الطاقة الإنتاجية الصناعية في العالم، وقد جانباً من هذه الميزة إبان فترة الكساد الكبير واستعاد عافيته عقب الحرب العالمية الثانية لدرجة أنه مثل في فترة ما نصف القوة الاقتصادية لجميع البلدان الأخرى معًا، وأعتقد أن ذلك الوضع سوف يتنهى، وإذا ما تحصلنا فإن أمريكا ستكون أصغر من الناحية الديمografية وغدت تمثل بالفعل نسبة أقل من الطاقة الإنتاجية العالمية، وسوف تستمر بطبيعة الحال مسيطرة على قدر كبير من الاقتصاد الكوني، سواء من الناحية السياسية أو من خلال هيمنة النموذج الأمريكي في مجال التجارة والأعمال وتنظيم العمل، وعلى الرغم من هذا فإنه تسارعنى بشدة الشكوك في أن تستطيع أمريكا الاستمرار من أن تكون المحرك الصناعي للعالم، على الأقل الطريقة نفسها التي كانت خلال الجزء الأكبر من القرن العشرين - تماماً - مثل بريطانيا العظمى التي كفت في فترة معينة من تاريخها عن أن تكون القوة الرأسمالية الكبرى، لأنها لم تكن كبيرة بما يكفي لتبقى كذلك. ومع انتشار التصنيع في بقاع شاسعة من العالم فإن القوة النسبية لأمريكا كنظام إنتاجي سوف تتدحر.

وتمثل السبب الثاني لسيطرة القرن الأمريكي في هيمنته الثقافية، وخاصة من حيث الثقافة الشعبية، مما أتاح لأمريكا فرصة أفضل لتخليد نفسها وقد تدعم ذلك بفضل البور المتزايد الذي تضطلع به اللغة الإنجليزية وانتشار تكنولوجيا الحاسوب مما عمل على توحيد استخدام الإنجليزية، والذي تركز على نحو مكسيح في أمريكا، وهذا سوف تنوّع لفترة بكل تأكيد. بيد أن الهيمنة الثقافية لها حدود، ولنتأمل في سيطرة إيطاليا على الموسيقى في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد كانت تامة في حين أنه لم يكن لها أي دعم سياسي أو عسكري أو اقتصادي، وقد اختفت في نهاية الأمر ويمكن أن ننظر مثلاً في الهيمنة الثقافية البريطانية في القرن التاسع، ومن الناحية العملية، فإن أي رياضة تمارس في العالم اخترعت في الأصل ومورست في بريطانيا العظمى.

ونشأت موضة الرجال في إنجلترا، وتمارس رياضة كرة القدم حالياً في جميع بقاع العالم ويرتدي الرجال الملابس بالطريقة الإنجليزية، ومع ذلك فإن بريطانيا العظمى لم تعد هي القائدة لا في مجال كرة القدم ولا في مجال الموضة، ومن ثم نستطيع تصور هذه الظاهرة كحدث تاريخي وليس كحدث جار ومتداول.

بيد أن هناك فرقاً : فأمريكا - خلافاً لبريطانيا العظمى في القرن التاسع تعد قوة ثورية - ارتكزت على إيدиولوجية ثورية، وعلى غرار فرنسا الثورية وروسيا السوفيتية فإن أمريكا ليست دولة فقط، فهي أيضاً دولة أوقفت نفسها على تحويل العالم بطريقة ما، وبهذا المعنى فإن الهيمنة الثقافية الأمريكية تنطوى على بعد سياسى لم يتوفّر أبداً للهيمنة البريطانية، ولم يحاول البريطانيون البتا حتى أوج قوتهم هداية العالم، ومن الناحية الأخرى فإن هذا الطموح - هذا الاتجاه لكي تصبح نموذجاً كونياً - متصل في النظام الأمريكي. وخلاصة القول فإن حقيقة أن أمريكا ستظل القوة العظمى بكل وضوح لا يعني في حد ذاته أن القرن الجديد سيكون قرناً أمريكياً، وإن يكون قرن أي أحد آخر، لأن الشيء الوحيد الذي يبدو شديداً الواضح هو أن العالم أصبح بالغ الضخامة والتعقيد بحيث لا تتمكن دولة واحدة من السيطرة عليه.

ولعل تتنكر الحجة التي استخدمها بوببيو في مناقشة موضوع الحرب في كوسوفا عندما زعم أنه كانت توجد دائماً قوة مهيمنة، وهي أمريكا في الوقت الراهن وذلك أمر حسن، لأن أمريكا تقف في الجانب السليم، وأنا لا أعتقد أنه وجدت دائماً قوة مهيمنة، وأولاً وقبل أي شيء فإن الهيمنة الكوكبية لم تكن واردة بكل بساطة حتى القرن الثامن عشر، وحتى بعد ذلك قلم يمارس أي بلد مثل هذا الإدعاء قبلما يفعل الأمريكيون في الجزء الأخير من القرن العشرين، والهيمنة البريطانية التي كانت في غاية القوة اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً من بعض النواحي (إذ كان أسطولها الحربي أضخم من كل الأسطولين في العالم مجتمعه) لم تكن أبداً على النحو الذي يدفع ببريطانيا العظمى لتنظيم العالم. وفعل البريطانيون ما استطاعوا لتنظيمه وفقاً لصالحهم الخاصة وليس لسيطرة عليه؛ لأنهم أدركوا أنهم ليسوا أقوياء بما يكفي للقيام بذلك، أو حتى للحفاظ على أنفس موجوداتهم: الأسطول. وقد أدركوا أنه يمكن أن توجد في نهاية الأمر بلدان أخرى ثرية

وقوية بما يكفي لكي تضمن لنفسها تحقيق سيطرة عسكرية متساوية على البحار، إن أمريكا إذن هي البلد الوحيد في التاريخ التي احتلت مركزاً يسمح لها بأن تدعى لنفسها حمل لواء الهيمنة العالمية.

وحتى الهيمنة الإقليمية نادرة للغاية، وباستثناء الصين في الشرق الأقصى فإنها لم تدم طويلاً في معظم الحالات، وقد كانت فكرة الهيمنة الأوروبية حلمًا لم يتم طويلاً في جميع الأحوال، وتادراً ما عمرت أكثر من سنوات قليلة، ولم توجد هيمنة إسبانية في القرن السادس عشر؛ لأن فرنسا كانت دائمًا منافساً محتملاً، ولم توجد هيمنة فرنسية في القرن السابع عشر برغم أن لويس الرابع عشر اقترب من ذلك. وفي عهدى نابليون وهتلر، سيطرت دولة قوية في حالة حرب على القارة لكن هذه السيطرة لم تدم أكثر من سنوات قليلة، وإنني أعتقد بصفتي مؤرخاً أن فكرة وجود دولة وحيدة - مهما كانت عظيمة وقوية - في مقدورها السيطرة على السياسية العالمية فكرة خاطئة. وقد حاولت أمريكا أن تفعل هذا وما زالت تحاول، وهو ما يرجع بادي ذي بدء إلى تطلعاتها الثورية في تغيير العالم والتي دوّنت في تاريخها منذ شائتها، كما يرجع - أيضاً - إلى صدفة تاريخية وجدت فيها نفسها في عالم ليس في وسع دولة أخرى أو تحالف ما أن يشن حرباً ضدها، وتلك مقامرة بل اعتبرها - من جانبي أنا - مقامرة خطيرة، وبكلمات أخرى هناك مخاطر تكمن وراء طموح أمريكا في أن تصبح شرطى العالم أو أن ترسى نظاماً دولياً جديداً.

هل يمكن تطبيق أخلاقيات النزعة الفردية المؤيدة لمبادئ الحرية في الفكر والعمل التي تحفز الأسواق على السياسة الخارجية؟ وقد تأسست على أولوية الأفراد على الجماعة التي ينتمون إليها. ولذلك فهي تعد ليبرالية على نحو أصيل وهل يمكن أن تمثل دواء ناجحاً لجميع الإيديولوجيات، بما في ذلك انحرافها ذات الطابع القومي والإثنى؟

أعتقد أن النزعة الفردية المؤيدة لمبادئ الحرية في الفكر والعمل لا تعد أساساً مناسباً لسياسة الدولة؛ لأنها تتعارض أساسياً مع السياسة الجماعية، ويمكن تعبئته الناس على أساس القومية أو الوطنية أو أي أرضية جماعية أخرى، لكن إذا زعمت

أن مصالح الأفراد هي الأسمى منزلة فعندئذ يصعب إقناعهم بإخضاع تلك المصالح ولو جزئياً لصالح الآخرين. ويتفق منطق النزعة الفردية الناصرة لمبادئ الحرية في الفكر والعمل تمام الاتفاق مع السوق الحرة، لكنني لا أظن أنه يتفق ومتطلبات السياسة الدولية، ولا أعتقد أن عليها هذا المثل الأعلى.

وتجسدت الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يعمل بها هذا المبدأ المغرى في الطريقة التي استعملتها أمريكا إبان الحرب الباردة، عندما زودت الحكومة شعبها برسالة فحواها إن عقيقتنا في النزعة الفردية ومذهب الحرية تهددها قوة خارجية ولذلك علينا أن نتصرف دفاعاً عن النفس، وتلك استراتيجية إضفاء المشروعية على السياسة الخارجية، لكنها ليست سياسية خارجية في حد ذاتها. وإذا سلمنا بأنها كانت سياسية ناجحة فمن الممكن أن تحاول الولايات المتحدة استخدامها مرة ثانية، وفي الواقع وبعد انتهاء الحرب الباردة التي استبعدت أكبر عدو للقيم الأمريكية، فقد يعتبر بعض الناس في أمريكا قوى ثقافية أخرى، مثل الأصولية والاستشراق، بمثابة تهديدات خارجية ينبغي العمل على مقاومتها. لكن لا يبيو أن هذه حجة مقنعة كثيراً؛ لأن قوة الحرب الباردة ومبررها تمتها في حقيقة أن المعنى المحتمل أو الممكن للمصالح والمثل العليا الأمريكية هو دولة عظمى هائلة وحقيقة.

ومن المحتمل إذا ما أصبحت الصين بالفعل قوة عظمى خطيرة فإن هذا المبدأ المغرى قد يعمل ثانية، غير أنه يتبعين على أن أقول إنني لا أستطيع أن أفهم الانبهار الشامل بهذه الحجة وهي مقصورة تماماً على البلدان الغنية، ومن الجلي إنها حجة قد لا يكون لها الأثر نفسه في معظم بلدان العالم الثالث، ولهذا فإبني لا أعتقد أن النزعة الفردية المناصرة للحرية في الفكر والعمل تعد ترياقياً سياسياً، انظر إلى حالة كوسوفا فأنت لا تستطيع بالاستناد إلى هذا المبدأ أن تطلب من أي شخص التضحية بحياته، والنظرية السائدة في الولايات المتحدة التي تقول إنك يمكن أن تفعل أي شيء فيما عدا أن تسأله جنودك أن يذهبوا لقتل أنفسهم تتفق تماماً مع الاعتقاد بأن الحقوق الفردية هي الأسمى، بيد أنه لا يمكن في الواقع شن حرب بهذه الطريقة يائى حال من الأحوال، وأنت تستطيع أن تخرب بالقنابل بهذه الطريقة لكن لا تستطيع أن تحارب، وفي بعض الأحوال فإن الضرب بالقنابل قد يكون غير كاف بالفرض.

لكن أليس من الأسلم للعالم أن توجد قوة عظمى وحيدة ؟

تتمثل المشكلة فى فهم ماهية حدود القوة العظمى الوحيدة. ما الذى تستطيع أو لا تستطيع أن تفعله، وقد قلنا آنفًا أنه ليس فى وسعها تحديد ما يحدث فى العالم، غير أنه يمكنها اتخاذ بعض التدابير لتخفيض حدة الصراعات وتحقيق استقرار الوضع الدولى، وقد يكون مفيداً هنا عقد مقارنة بين الهيمنة البريطانية فى القرن التاسع عشر وبين الهيمنة الأمريكية فى القرن العشرين، فقد يعتبر بعض الناس فى أمريكا قوى ثقافية أخرى، مثل الأصولية والاستشراق، بمثابة تهديدات خارجية جديدة ينبغى العمل على مقاومتها، لكن لا يبدو أن هذه حجة مقنعة كثيراً لأن قوة الحرب الباردة وتأثيرها تتمثل فى حقيقة أن المعتدى المحتمل أو المكن الصالح والمثل العليا الأمريكية هو نولة عظمى هائلة و حقيقة.

ومن المحتمل ما إذا أصبحت الصين بالفعل قوة عظمى خطيرة فإن هذا المبدأ المغرى قد يعمل ثانية، غير أنه يتبعين علىَّ أن أقول إننى لا أستطيع أن أفهم الاتهام الشديد بهذه الحجة وهى مقصورة تماماً على البلدان الغربية، ومن الجلى أنها حجة قد لا يكون لها الأثر نفسه فى معظم بلدان العالم الثالث، ولهذا فإبنتى لا أعتقد أن النزعة الفريدة المناصرة للحرية فى الفكر والعمل تعد ترياقياً سياسياً. انظر إلى حالة كوسوفا، فانت لا تستطيع بالاستناد إلى هذا المبدأ أن تطلب من أى شخص التضحية بحياته، والنظرية السائدة فى الولايات المتحدة التى تقول إنك لا يمكن أن تفعل أى شيء فيما عدا أن تسأل جنودك أن يذهبوا لقتل أنفسهم تتفق تماماً مع الاعتقاد بأن الحقوق الفردية هي الأسمى. بيد أنه لا يمكن فى الواقع شن حرب بهذه الطريقة بأى حال من الأحوال، وأنت تستطيع أن تضرب بالقتال بهذه الطريقة لكن لا تستطيع أن تحارب.

وفي بعض الأحوال فإن الضرب بالقتال قد يكون غير كاف بالغرض.

- لكن أليس من الأسلم للعالم أن توجد قوة عظمى وحيدة ؟

تتمثل المشكلة فى فهم ماهية حدود القوة العظمى الوحيدة، ما الذى تستطيع أو لا تستطيع أن تفعله: وقد قلنا آنفًا أنه ليس فى وسعها تحديد ما يحدث فى العالم،

غير أنه يمكن اتخاذ بعض التدابير لتخفيق حدة الصراعات وتحقيق استقرار الوضع البولى، وقد يكون مفيداً هنا عقد مقارنة بين الهيمنة البريطانية في القرن التاسع عشر وبين الهيمنة الأمريكية في القرن العشرين.

وعلى سبيل الاستطراد فإن الهيمنة البريطانية في القرن التاسع عشر متأتت النموذج الذي حاول الأمريكيين اقتضاء أثره في القرن العشرين بل إن تعبير السلام الأمريكي نفسه "pax Americana" هو صدى لتعبير السلام البريطاني "pax Britannica" وقد كان أيضاً هو صدى تعبير السلام الروماني "pax Romana".

وأعتقد أن البريطانيين أدركوا وجود حدود لما يستطيع أن يفعله بلد متوسط الحجم وعرف البريطانيون - مثلاً - أنه ثمة مناطق في العالم من الأسوأ التدخل فيها بدون قوة عسكرية، وقد اقتنعوا بهذا مبكراً نوعاً ما، في القرن التاسع عشر، وعلى سبيل المثال فإنهم استبعدوا جميع التدخلات العسكرية في أمريكا الجنوبية، حتى برغم اشتباكهم في صراعات مع إسبانيا، وكان واضحًا للبريطانيين أنه لا يتعين عليهم أن يتدخلوا في دول القارة الأمريكية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وقبلوا مبدأ موئزو (وهو المبدأ الذي وضعه الرئيس موئزو في ٢ ديسمبر ١٨٢٣ وقام به أن الولايات المتحدة تعارض كل تدخل أوروبى في شئون نصف الكرة الغربى) لأنهم كان عليهم أن يقبلوا ذلك، إذ من المسلم به أن البريطانيين لم يكونوا على وجه اليقين أضعف من الولايات المتحدة الأمريكية. ووقع - مثلاً - نزاع على غينيا البريطانية (غويانا) حله الأمريكيون بطريقة مرضية لبريطانيا العظمى، ومع ذلك قبله البريطانيون؛ لأنهم فهموا في نهاية الأمر وجود حدود على ما يمكن إنجازه في العالم، كما أنهم لم يحاولوا البتة إرساء شكل من أشكال السيادة والتفوق داخل أوروبا، حيث اهتموا - فقط - بوقف أي قوة أخرى على أن تجعل ذلك من أجل الحفاظ على ميزان القوى.

وركز البريطانيون دائمًا وأبدًا على السيطرة على البحار واحتلال الواقع التي تعد حيوية لتحقيق هذه الغاية، وقد نجحوا تماماً في القيام بذلك، وقد تأسست الإمبراطورية على جزر صغيرة جرى ضمها من قبل البريطانيين لأغراض إستراتيجية: جبل طارق ومطالعة وجزر الفوكلاند وغيرها الكثير والتي مازالت حتى الآن خاضعة للسيطرة المباشرة.

ومن الناحية الأخرى، فإن الإمبراطورية الأمريكية ارتكزت على هيمنتها على دول تابعة لها، وهو ما لم يحاول إطلاقاً أن يفعله البريطانيون، ما لم يكن هناك بديل لا محيد عنه للاستعمار: وهو ما فعلوه مع الهند وغرب إفريقيا وإلى حد كبير الشرق الأوسط، لكن فقط عندما أصبح الاستعمار مستحيلاً. وابتداءً من عام ١٨٠٠.. لم تفكر الولايات المتحدة إطلاقاً في الاستعمار خارج أمريكا الشمالية. وجاءاحتلال بورتوريكو والفلبين صدفة تاريخية وربما بمثابة تسلیم بالنمط الاستعماري في ذلك الوقت، وتمثلت فكرة الأمريكيين في الوصول على عدد كبير من الدول - خاصة في أمريكا اللاتينية - تكون مضطرة إلى أن تعمل ما يرغبون هم أن تقوم به.

ومن ثم فإنتى أعتقد أن البريطانيين عرفوا حبودهم وأن الأمريكيين أصابهم نوع من جنون العظمة، لأنهم ظنوا أنهم في استطاعتهم فعل أي شيء يريدونه في نصف الكره الغربي، وهو ما يرجع جزئياً إلى أنه لم توجد سياسة عالمية في معظم القرن التاسع عشر، بل سياسة في نصف الكره في أقصى الأحوال، وقد أعرب الأمريكيون حتى عن هذا الرأي. ففي عام ١٨٩٥ أعلن وزير الخارجية الأمريكية بعد حل الخلاف الحدودي بين فنزويلا وغينيا البريطانية قائلاً: "تعد الولايات المتحدة حالياً هي صاحبة السيادة عمليةً على هذه القارة وأمرها هو القانون الذي يخضع له الرعايا، حيث يقتصر على الولايات المتحدة حق التدخل... لماذا؟"

... لأنه بالإضافة إلى جميع المبررات الأخرى، فإن مواردها الlanهائية مجتمعة إلى عزلتها تجعلها سيدة الموقف ويتذر المساس بها عملياً من قبل جميع القوى الأخرى وما كان ممكن لأى وزير خارجية بريطاني ولا حتى بالمرستون، أن يقول مثل هذا القول في بقعة من بقاع العالم : نحن قوة عالمية ولا يستطيع أحد أن يتدخل، وإذا قررنا أن نفعل شيئاً ما نستطيع القيام به.

وأعتقد أن الخطر الذى مثّله الأمريكيون تمثل فى أنهم مدّوا وجهة النظر هذه إلى العالم قاطبة، وذلك خطر جسيم؛ لأنه من الجلى حالياً أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتصرف دون وجود حلفاء، إن لم يكن فقط لوجود قواعدهم العسكرية في معظم

الحالات في بلدان أخرى. فلو قررت إيطاليا - من الناحية النظرية - عدم توفير مطاراتها الحربية لشن الحرب على يوغوسلافيا فإن ذلك كان سوف يتسبب في حدوث ارتباك شديد للقوة الأمريكية، وأعتقد أنهم كثيراً ما ت ساعوا - سواء بقصد العراق أو البلقان مثلاً - مما كان يمكن أن يفعلوه لو لا وجود قواعدهم العسكرية في البلدان الطيبة، ويمكن أن يكون في استطاعتهم فقط القيام بعمل ما بواسطة حاملات الطائرات أو الطيران المستمر بدون توقف انطلاقاً من الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة لابد أن يكون لها حلفاء، لابد من وجود من يكون على استعداد لمساعدتها.

وفي المقام الثاني، فإن أقوى أسلحتها - وهي من أرفع مستويات التكنولوجيا المتقدمة - لا تعد كافية دائمًا لتحقيق النصر في الحروب، وبالتالي يلوح لي أنه سوف يتغير على السياسة الأمريكية أن تتواءم مع هذا الواقع في القرن الجديد، بما يقرب من اتجاهات السياسة البريطانية في الماضي وعليها أن تتكيف مع حدود الممكن إنجازه وستظل قوة عظمى لزمن طويل، وطويل جداً، ولا أستطيع حتى أن أرى نهاية تلك الحقبة بقدر ما يتعلق الأمر بالเทคโนโลยيا العسكرية، ولكن حتى هذا لن يكون كافياً، وقد يكون كافياً إذا كان تهديد التفوق الهائل كافياً لجعل الخصوم يقولون: "لا يمكن عمل أي شيء"، علينا أن نستسلم" وتلك كانت معضلة العراق وكوسوفا، وكلما عجلت الولايات المتحدة في الاعتراف بذلك كما عجلت برسم سياسة تصلح لدولة عظمى، فاستعراض القوة لا يعد كافياً لحكم العالم.

ويصدق ذلك - حالياً - على القوى العظمى والقوى الإقليمية؛ لأن شعوب البلدان الضعيفة لم تعد راغبة في الخضوع لها، وقد أتيحت لها مؤخراً الفرصة لمناقشة مشاكل وسط إفريقيا مع بعض الدبلوماسيين البريطانيين، الذين بحكم عملهم المهني على إلمام بهذه الأوضاع، فالسياسة الإفريقية بكل منها قد نمرها رفض بلدان هذه المنطقة التصرف بطريقة سليمة حسب القواعد والأعراف، وقد جاء وقت إذا ساءت فيه الأوضاع في دولة إفريقية مستقلة أرسل الفرنسيون فرقة من جنود المظلات للقيام باستعراض عسكري في المدينة الرئيسية، للتباكي بقوتهم العسكرية في هرب المتمردون وتجربى إعادة

الرئيس السابق إلى منصبه أو يتم تثبيت الرئيس الجديد، وبذلك يتم إرساء النظام كلياً، ولم يعد من الممكن القيام بذلك، وما حدث في رواندا هو أن الفرنسيين كانوا موجودين وعلى استعداد للعمل وراغبين في وقف مذبحة التوتسي، وقد كانوا في واقع الأمر حلفاء للهولوتو، لكنهم لم يريدوا حمام الدم وفعلوا ما في وسعهم ليثبتوا أنهم لم يبغوا ذلك، ولكن دون جدوى، وقال الهولوتو لأنفسهم أن الفرنسيين لن يستطيعوا فعل شيء واستمروا في قتل غيرائهم تحت أعين الفرنسيين تقريباً.

وفي النهاية فإن كل منطقة وسط إفريقيا الشاسعة تغيرت كلياً، ولكن ليس بفعل بعض القوة أو تنظيم دولي، وقد اشترك الجميع : باريس، وواشنطن والأمم المتحدة محاولين التوسط، وقد وجد - في مرحلة معينة كما قيل لي - أكثر من ثلاثة عشر وسيطاً مختلفاً في رواندا، بيد أنه ثبت أن كل ذلك غير كاف، وقد اشترك في الحرب حوالي سبع دول إفريقية إضافة إلى زائير ورواندا وبوروندي وأوغندا، وأى تدخل خارجي قد يكون - لا أود أن أقول إنه باهظ التكلفة - ولكنه يمكن أن لا يحقق النتائج التي تتناسب مع الجهد الذي قد يبذل فيه، وهذا الوضع يصدق أيضاً على الولايات المتحدة، حتى ولو كانت غنية بما يمكنها من تحقيق الالتزام بتقديم موارد ضخمة، وثمة أشياء كثيرة في العالم لا يمكن ببساطة القيام بها.

### - ما هي القوة العظمى التي يمكن أن تظهر في القرن الجديد ؟

من المرجح للغاية أن تصبح الصين قوة عظمى - حتى بالمعنى العسكري - ومن المؤكد أنها الدولة الوحيدة التي يمكن أن تتطلع إلى التنافس مع الولايات المتحدة في المستقبل، بيد أنني أعتقد حالياً أنه من غير المرجح إلى حد بعيد أن نراها تتنافس مع أمريكا من الناحية العسكرية في المستقبل المتطور؛ فتفوق الولايات المتحدة بالغ الضخامة، ولا أعتقد أن ذلك يستبعد إمكانية حدوث مواجهة نووية، لأن ذلك لم يرتكز أبداً على التعادل، ولكن ببساطة على حقيقة أن أحد الطرفين لديه رادع كاف لكي يهدد بإحداث ضرر لا يحتمل للطرف الآخر، وعلى أي حال علينا أن نعتبر كون الولايات المتحدة ستظل لزمن طويل للغاية أكبر قوة عسكرية بمثابة حقيقة ثابتة وعلاوة على ذلك،

فإن أى نزاع بين الولايات المتحدة والصين فى القرن الحادى والعشرين قد يتخذ أشكالاً مختلفة عن الماضى، وهو ما يرجع أساساً إلى أن الصين تعد دولة ببرية بشكل رئيسى، وهذا ضرب من التخمين ومن الخطير الشديد بالنسبة لمورخ أن يتمارى فى هذا الاتجاه.

وفيما يتعلق بالهند فإننى أعتقد أن أسلحتها النووية موجهة إلى باكستان واهتمامها إقليمي فى الأساس، والهند قوة إقليمية ومن غير المرجح أن تصبح أكثر من ذلك فى الخمسين سنة القادمة. وعلى نحو ما، فالهند لها مستقبل واعد للغاية ويرجع ذلك أساساً إلى توفر ميزة لها غير متوفرة فى الصين: درجة من الأصالة الحقة فى ميادين التكنولوجيا والبحوث النظرية والفكريّة ليس من السهل أن توفر فى الشرق الأقصى فى المنطقة الكونفوشيوسية؛ وذلك لأسباب تاريخية، فالتراث الهندي - مثلاً - فى الميادين الفلسفية والرياضية مهم للغاية. ومن الناحية الأخرى، فإن مدى توفر تراث فلسفى لكل من الصين واليابان - بالمعنى الأوروبي على أقل تقدير - هو موضوع فيه نظر، وفي مجتمع حديث عماده التكنولوجيا فإن الأصالة الفكرية تنتطوى على إمكانات هائلة، ويتمثل مشكلة الهند الكبرى فى أن الدولة ضعيفة للغاية من حيث بنيتها وقدراتها الإدارية ونظامها السياسي، لكن من الناحية الاقتصادية والثقافية فإننى أعتقد أن أمام الهند مستقبل رائع أكثر من أى بلد آخر فى الشرق الأقصى.

لقد أعرب البابا صراحة عن عدم اتفاقه مع سيطرة القوى العظمى الأمريكية، ويعد أن صب همومه على الشيوعية فإنه يلوح الآن أنه قد اختار الرأسمالية فى شكلها الأمريكى المتطرف كعبو له، فما هو تقديرك لجان بول الثانى كشخصية تاريخية؟ وهل هو آخر الثوريين على ظهر البسيطة؟ أم إننا إزاء نسخة حديثة معدلة من الصراع بين البابوية والإمبراطورية؟

لا أظن إننا إزاء صراع بين البابوية والإمبراطورية، وأعتقد أنه علينا أن نميز بين سياسة البابا وعلم اللاهوت، فبابا روما من أنصار الترژة التقليدية الكاثوليكية، ويترسم هذا العهد البابوى بالعودة إلى نظرة أكثر تقليدية للكنيسة من تلك النظرة الكاثوليكية

الليبرالية نسبياً التي سادت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، ولو افترضنا أنني أنا البابا فمن المحتمل أن أفعل الشيء نفسه، لأنه إذا كان للدين مستقبل فإنه يتمثل – عندئذ وعلى وجه الدقة – في عدم التغير مع الأزمة المتغيرة وفي البقاء بعيداً عن الموضات لكنني لست متديناً، ولذلك فإن هذا الموضوع لا يعنيني مباشراً.

بيد أنني أظن أن هذا المشروع الاستعماري سوف يصادف مصاعب بالغة الخطورة، وقد لا يمكن التغلب عليها، لأنه كما أن الدولة لم تعد تستطيع السيطرة كلياً و تماماً على مواطنيها فكذلك الكنيسة الكاثوليكية لم يعد في وسعها أن تحكم في ولاء المؤمنين بها، ومشكلة بين سلطوي مثل الكاثوليكية أنه يقوم على أساس القبول التطوعي للهويته، وأعتقد أنه منذ أن كفت نساء أوروبا الكاثوليكية عن التقبيل الآلي لل تعاليم الأخلاقية أو أوامر الكنيسة، فإن إمكانيات التحكم في المسيحية بأسرها قد تضاءلت بشكل بالغ، ومن المتعين أن تنتقل من البلدان المتقدمة إلى العالم الثالث، لكن العالم الثالث لن يتقبل بكامله ذلك الوضع، حيث بُرِزَ في القرن العشرين ضعف الكنيسة في أمريكا اللاتينية، كما أن الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا ليست ذات مناعة من العلمنة وتراجع الدين الجماهيري التقليدي، ومنذ منتصف ستينيات القرن الماضي فإن قبضة الكنيسة على المؤمنين بها قد تراجحت وضعفت إلى حد خطير.

بيد أن هناك أمراً مهماً فيما يتعلق بهذا البابا، وهو ما يذكرنا بكلار البابوات في أواخر القرن التاسع عشر والتأثير الذي أحدثته Resum Novarum<sup>(١)</sup> فهو آخر المتطرفين العقائديين العظام الذي انتقد الرأسمالية على حقيقتها، وربما كان ذلك صدفة تاريخية لأنني أعتقد أن اليسار العلماني سيعود إلى وجهة نظره النقبية للرأسمالية، وفي السنوات العشرة الأخيرة كان من الرعب للغاية القول إن الرأسمالية شر أخلاقي،

(١) إشارة إلى الرسالة الباباوية التي وجهها البابا ليون الثالث عشر في ١٥ / ٥ / ١٨٩١ عن العدالة الاجتماعية وضرورة إقرار مبدأ "الأجر العادل" والتدخل لوضع تشريع اجتماعي يكفل حق التنظيم العمالى والتى تأبى وذلك تحت تأثير الفكر الاشتراكى فى نهاية القرن التاسع عشر وسميت "الميثاق الكاثوليكى الاجتماعى".  
(٢).

وأعتقد أنه سوف يبدأ تكرار وتزديداً لهذا القول مرة أخرى ومع ذلك، وفي الوقت الراهن فإن البابا هو الشخص الوحيد ذو الأهمية العالمية الذي يرفض الرأسمالية بصفة منتظمة، ومن المؤكد أن هذا الموقف يمثل خروجاً عن مركز الفكر المتزمت الغربي وإجماع الفكر والسياسي السائد، وتلك ظاهرة مثيرة لاهتمام.

- كثيراً ما نشهد - كما في الحرب في كوسوفا - تحالفًا غريباً تحت راية البابوية بجمع بين اليسار المتطرف واليمين المتطرف، بحكم العداء لأمريكا، ألا يزعجك ذلك ؟

- لا يزعجني ذلك على الأقل من حيث المبدأ، إذ يمكن أن تجد العديد من التحالفات غير العادلة عبر التاريخ، وأكثرها غرابة في القرن العشرين ذلك التحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في مواجهة ألمانيا النازية، وحقيقة قيام تحالفات غربية لا يعني أنها تصبح دائمة، ومن الأكثر أهمية ملاحظة أن الانقسام في حالة كوسوفا يحدث وفقاً للخطوط التقليدية للانقسام بين اليمين واليسار والتقطاع مع الحدود القومية والإيديولوجية، وكان اليسار مقسماً بكل تأكيد، وقد اتخذت مجموعات مختلفة من اليسار مواقف قوية دفاعاً عن الحرب أو اعتراضها عليها، وحدث الشيء نفسه من جهة اليمين برغم إننى أعتقد أنه انتقد العرب منطلقاً بصفة أساسية من وجهة نظر المهارة المهنية الغربية؛ لأنها نفذت بطريقة سيئة.

وفيما يتعلق بالبابا فإن إدانته للحرب لم تكن على وجه التعيين لأسباب سلبية، وعموماً فائضاً لا أعتقد أن غالبية أولئك الذين انتقدوا الحرب فعلوا ذلك بداع من النزعة السلبية، فهم عارضوا هذه الحرب المعينة كحل لهذه المشكلة المعينة بيد أنه من الحقيقى أن النزعة المعادية لأمريكا والشكوك التي تحوم حول طموحات الهيمنة لدولة واحدة كل ذلك يعتبر العامل الذى جمع بين تشكيلاً واسعة من المواقف السياسية، ولا يتعلق الأمر بسعادتى فى هذا الشأن ولكننى أنوه بالكيفية التى تسير بها الأمور وأن الحرب فى كوسوفا قوت لدى هذا الشعور.

### **الفصل الثالث**

## **القرية الكونية**

- لقد كانت السمة المميزة للعقد الأخير من القرن العشرين عولمة الاقتصاد، فهل تعتقد أن العالم أصبح بالفعل وحدة كونية، وحدة اقتصادية واحدة؟

- لم يصبح بعد ولكن من المؤكد أننا نعيش في ظل اقتصاد كوني واحد بالمقارنة مع ثلاثين عاماً مضت، وإن كانا نستطيع القول بكل تكيد - أيضاً - إننا سنكون أكثر عولمة كذلك في عام ٢٠٥٠ وأكثر فناكثر في عام ٢١٠٠ ، فالعولمة ليست ثمرة فعل وحيد مثل إضافة النور أو إدارة محرك السيارة، فهي عملية تاريخية تسارعت - بلا أنفي ريب - تسارعاً هائلاً في السنوات العشرة الأخيرة، لكنها عملية تحول دائم ومطرد، وذلك ليس من الواضح على الإطلاق في أي مرحلة نستطيع القول إنها بلغت مقصدها النهائي ويمكن اعتبارها مكتملة، وهو ما يرجع أساساً إلى أنها تنطوي بصفة رئيسية على التوسيع عبر كون مختلف بحكم طبيعته ذاتها من الناحية الجغرافية والمناخية والتاريخية، ويفرض هذا الواقع بعض القيود والتجديدات على الكوكب بأسره، بيد أننا نتفق جميعاً على أن العولمة - وخاصة الاقتصاد العالمي - قد أحرزت هذا التقدم المذهل بحيث لا نستطيع اليوم أن نتحدث عن التقسيم العالمي للعمل كما فعلنا قبل سبعينيات القرن العشرين.

- ومع ذلك يلوح أن العولمة - برغم نجاحاتها - لا تزال مقيدة بوجود الدول وسلطتها، فكيف يمكن أن نفسر بطريقة أخرى المحاولة غير الناجحة التي تمت عن طريق "الاتفاق المتعدد الأطراف المتعلق بالاستثمار" بغرض إعطاء الشركات العابرة

الحدود القومية من طرف واحد في أن تقاضي الدول التي تلحق الضرر بآرياها؟  
ولماذا يظل هذا العداء؟

- أعتقد أن هذا يحدث لأن العولمة ليست عملية عالمية شاملة تمتد إلى جميع  
مبابين النشاط الإنساني بالطريقة نفسها.

- ماذا تعنى إذن بالعولمة على وجه الدقة؟

والإجابة العامة تشير إلى عاملين : التقليل أو الإلغاء التام للحواجز الجمركية بين  
الدول وتحديداً أسواق رأس المال بما يتبع لها الذهب إلى أي مكان يحقق لها عائدًا  
أكبر، ومع ذلك فإن العالم عرف - فعلاً - هاتين الظاهرتين : وإذا لم يكن مخطئاً  
فإن الرأسمالية توفرت لها هاتين الخصائص قبل الحرب العالمية الأولى، فما هو الجديد  
إذن حقاً؟

أولاً : لا أعتقد أنه يمكن تحديد العولمة - فقط - من حيث إيجاد اقتصاد كوني،  
برغم أن ذلك يشكل بؤرتها وأبرز ملامحها، وعلينا أن نطلع فيما وراء الاقتصاد،  
فالعولمة ترتكز أساساً على إزالة العقبات التقنية بدلاً من العقبات الاقتصادية، فهي  
إلغاء المسافات والزمن، وعلى سبيل المثال، فقد كان من المستحيل أن تعتبر العالم وحدة  
واحدة قبل أن ينحر حول العالم في نهاية القرن الخامس عشر وبالطريقة نفسها فإبني  
أرى أن التقدم التكنولوجي الثوري في وسائل الاتصال والمواصلات منذ نهاية الحرب  
العالمية الثانية كان مسؤولاً عن مكانية بلوغ الاقتصاد مستويات العولمة التي تتحقق  
فعلاً، وجاء المنطلق من ذلك التسارع الهائل والسرعة الكونية في نقل السلع. وقد اقتصر  
استعمال "السلع" في الماضي عملياً على مناطق إنتاجها، حتى وقت قريب فإن التجارة  
تأثرت دائمًا من بعض النواحي بعدم المقدرة على نقل السلع القابلة للتلف عبر مسافات  
طويلة مع بقائها على حالتها الطبيعية، وكانت تستطيع التجارة في الحبوب  
وليس في الأزهار الفاخرة.

وجاءت نقطة التحول مع ظهور الشخص الجوى الحديث وأبسط مثال لاحظناه  
جميعاً هو إلغاء الإنتاج الزراعي الموسمي، وأنت تستطيع حالياً استيراد الفواكه

الاستوائية أو الكرز أو الفراولة بغض النظر عن الموسم، وتحققت للنقل الجوى، السرعة الالزمه لتقديمها طازجة على موائدنا، وهذا ما جعل من الممكن - للمرة الأولى فى التاريخ الإنساني - تنظيم الإنتاج، وليس مجرد التجارة بطريقه عابرة للحدود القومية. وحتى سبعينيات القرن العشرين، إذا رغبت شركة فى إنتاج سيارات فى بلد غير بلدها الأصلى كان يتبعن عليها بناء مصنع كامل؛ لكن يقوم بعملية إنتاج كاملة فى الموقع الذى اختارتة، وإن يكن فى القلبين مثلاً، ومن الممكن الآن أن تخثار الشركة المركزية إنتاج المحركات والمكونات الأخرى ثم تتولى تجميعها فى أى مكان تقضله الشركة، ولأغراض عملية لم يعد الإنتاج ينظم داخل الحدود السياسية للدولة موطن الشركة الأم، وحتى هذا التطور ما كان ممكناً أن يذهب إلى مدى بعيد للغاية دون التقدم المذهل للغاية فى نظم وشبكات المعلومات، التى جعلت من الممكن التحكم فى عملية الإنتاج مركزياً فى وقت متزامن تقريباً.

وهكذا، بينما اقتصر التقسيم العالمى للعمل سابقًا على تبادل المنتجات بين مناطق معينة، فإنه من الممكن اليوم الإنتاج عبر حدود الدولة والقارات، وذلك هو ما قامت عليه هذه العملية، وفي رأيى أن إلغاء الحواجز التجارية وتحرير الأسواق يمثلان ظاهرة ثانوية، وذلك هو الفرق الحقيقى بين الاقتصاد الكونى قبل ١٩١٤ واليوم، وقبل الحرب الكبرى كانت هناك حركة عالمية شاملة لرأس المال والسلع والعمل، ولكن تحرير المنتجات الصناعية وأحياناً الزراعية من أماكن إنتاجها لم يكن ممكناً بعد، وعندما تحدث الناس عن الصناعة الإيطالية أو البريطانية أو الأمريكية فهم لم يقصدوا الصناعات المملوكة من مواطنى هذه البلدان فحسب، إنما قصدوا - أيضاً - كل ما كان يحدث تقريباً في هذا البلد أو ذاك، ثم تجرى مبادلته والإتجار فيه مع بلدان أخرى، ولم يعد الأمر كذلك. وكيف تستطيع القول إن فورد سيارة أمريكية، مع العلم أنها صنعت من مكونات يابانية وأوروبية وكذلك من أجزاء صنعت فى بيرويت؟ ومن ثم يبدو لي أنه لا جدال فى أن الاقتصاد العالمى كان قبل عام ١٩١٤ أكثر بدانة بكثير وإن أكبر عامل جعل - على نحو متناقض - الاقتصاد أكثر عالمية فى تلك الفترة هو حرية انتقال قوة العمل عن طريق الهجرة الضخمة، وما يثير الانتباه فى المرحلة الراهنة من الاقتصاد العالمى هو

أن هذا التطور يحدث في ظل ظروف الرقابة على الهجرة والتحكم فيها من قبل جميع البلدان الرأسمالية الكبرى.

بيد أنه لكي نشرح التمييز بين المظاهر والواقع فلأظن أنه يلزمنا العودة إلى ما نعنيه بالعولمة. وماذا تبقى أو تستطيع تحقيقه، ولنفترض لوهلة ماذا تشبه أكثر مرحلة تقدماً من مراحل العولمة : وهو ما قد يتمثل في وضع تناح فيه لجميع سكان المعمورة السلع والخدمات وفي أي مكان في العالم، مع افتراض أن تتتوفر لهم الموارد والنقد نفسهما التي ينفقونها، ويقول آخر فإن معيشة المرأة في القارة القطبية (انتاركتيكا) لا يمثل إشكالية أكبر من العيش في روما أو نيويورك، ومع افتراض أنه من الممكن إنتاج السلع والخدمات بكميات تفوق بمتطلبات الجميع، وأن تكون النتيجة عدم تأثر الأفراد بأوضاعهم الجغرافية، حسناً - لكن الأمر ليس كذلك - أولاً، لأسباب عملية، لأن الناس لديهم موارد مختلفة، بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء أو أن قوتهم غير متساوية، وبعضهم أحرار والبعض الآخر في السجون، وليس لهذا علاقة بالبعد الكوني: فقد يحدث داخل بلد واحد أو مدينة واحدة، ولذلك لا يهمنا في أغراض هذه الممارسة الأكاديمية، ومع ذلك هناك منتجات أو خدمات من المستحيل أن تكون متاحة تماماً للجميع، حتى في ظل وضع يتسم بالعولمة الكاملة. وقد درس علماء الاقتصاد هذه "السلع POSITMOMAL GOODS"<sup>(١)</sup> التي تكون بحكم طبيعتها متاحة على نطاق ضيق أو حتى في ظل أوضاع تتسم بفرادة تامة، ومن الممكن أن تضمن حصول كل فرد على الكوكاكولا، غير أنه يتعدى حصول كل فرد على تذكرة في "LASCALA"<sup>(٢)</sup> فتذاكر الدخول محدودة العدد ولا يمكن زيادتها، وبطبيعة الحال يمكن حل المشكلة بطريقة أخرى من الناحية العملية عن طريق إتاحة أقراص مدمجة للجميع تتضمن تسجيلات الجميع الأوبرايات التي يعرضها مسرح LA SCALA ، لكن هذا وضع مختلف سواء من الناحية النظرية أو الواقعية.

(١) السلع ذات العرض المحدود التي يزداد عليها الطلب فيما بعد ويرتفع ثمنها حالاً يزداد الرخاء المادي. (م)

(٢) من أضخم المسارح الأوبراية ذات الشهرة التاريخية العالمية في ميلانو. (م)

وهكذا فإن العولمة تتبع - من ناحية ما - لكل فرد إمكانية أكبر لا إمكانية متساوية، في الوصول حتى إلى أكثر جوانبها تقدماً من الناحية النظرية، وبالتالي فإن الموارد الطبيعية يجري توزيعها بطريقة غير متساوية، وتمثل المشكلة في العولمة مع تطلعها إلى أن تكفل النزوح إلى الوصول المتساوي إلى المنتجات في عالم متتنوع وغير متساوٍ بشكل طبيعي، فهناك توتر بين مفهومين مجردين.

ونحن نحاول إيجاد قاسم مشترك يكون في متناول جميع البشر في العالم؛ لكن يمكن الحصول على الأشياء التي لا تكون في متناول الجميع بشكل طبيعي، والقاسم المشترك هو العملة أو النقود، أي مفهوم آخر مجرد، وفي الوقت نفسه فإن المسار التقني للعولمة يستلزم درجة عالية من التوحيد القياسي والتجانس، وسوف تتمثل إحدى المشاكل الكبرى التي ستواجه القرن الحادى والعشرين في اكتشاف أين توجد الحدود المقبولة للتجانس، التي إذا ما تم تجاوزها فإنها قد تنتج حركة ارتجاعية، وإلى أي مدى يمكن أن تتألف هذه العملية في التنوع العالمي، ومن الناحية التكنولوجية فإن الاتجاه صوب التجانس بالغ القوة، وإذا فكرنا - مثلاً - في وسائل النقل، فعندما تهبط في بعض المطارات الكبرى في العالم يكاد أن يكون من المستحيل تقريباً أن تعرف في أي بلد أو حتى في قارة، أن توجد فايليات التشغيل جرى توحيدها، وتنظيمها عالمياً وتستخدم اللغة نفسها، الإنجليزية. وقد وقعت مؤخراً حادثة جوية خطيرة؛ لأن قائد الطائرة الكازاخستاني لم يستطع أن يفهم الأمر الصادر إليه بالإنجليزية من برج المراقبة في دلهي، وإذا أرسلت - مثلاً - مصورةً؛ لكي يلتقط صوراً لجميع المكونات الداخلية في جميع المطارات الكبرى في العالم، ثم حاولت أن تميز بين الصور؛ فسوف تجد في جميع الأماكن المتاجر نفسها، والعلامات (الإيقونات) الإعلامية نفسها وأشكال الجماهير المزدحمة نفسها، وهناك تكيف هواء في كل مكان بحيث يتعدّر حتى ملاحظة الاختلاف في المناخ، وبالطريقة نفسها فإن إجراءات الإنتاج الصناعي يتزايد توحيد مقاييسها وكذلك بالنسبة للإنتاج الزراعي، ومن ثم فإن المشكل - في رأيي - التي تبتدئ في عام ٢٠٠٠ ، سوف تتمثل في التأكيد من مدى شدة العقبات التي تواجه هذا التجانس المتمامي.

من بين التجديفات التي أشرت إليها، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الوقت الحقيقي ووفقاً لما قاله samuel Brittan - من الناحية الأخرى - فإن الإنترن特 لا يعد أكثر أهمية من اختراع الكامل المتداولة عبر المحيط الأطلسي، الذي نقل على وجه السرعة أخبار الانهيار المالي في قيبيتا إلى بورصة نيويورك ١٨٧٣ ، فما هو المغزى الحقيقي للتكنولوجيا الجديدة في الاقتصاد الكوني؟

- نحن نعلم أن هذه التكنولوجيا غيرت الأسواق المالية الدولية، وأحدثت اختلافاً كاملاً بين الاقتصاد الحقيقي العلمي وإنجاح السلع والخدمات الحقيقة وطفوان الأدوات المشتقة والحقوق والرهانات والصفقات المالية، التي تتم عبر شاشات كمبيوتر بسماسرة الأوراق المالية، والمبالغ المتداولة في هذه المعاملات المالية أكبر بكثير من مجمل الإنتاج الحقيقي العالمي، ويرجع هذا بوضوح إلى تكنولوجيا المعلومات، التي تجعل كل هذا سهلاً على نحو لا يصدق، بل تجعل من الممكن للناس العاديين، مثل أولئك الذين يسمون "التجار المؤقتون" دخول الأسواق وممارسة الشراء والبيع مع الوعد بالدفع، دون وجود أساس من النقود الحقيقة.

- هل نقف إذن على عتبة حقبة من "الرأسمالية الديمقراطية" تشارك فيها الشركات الكبرى وأرباب الأسر على السواء في الوليمة ويقسمون الأرباح ؟

- هذا هو الوضع في الولايات المتحدة، لكن صلته ضعيفة للغاية بالعزلة، فلأنه تساؤل عن المدى الذي يمكن أن يقتسم به المواطنون العاديون الزيادة الهائلة في الثروة الكونية، والتي سوف تواصل الزيادة ؟ وما هي السبل التي تتمكن من حدوث ذلك؟ والطريقة الأمريكية تمثل في التوسيع المطرد في الملكية الشخصية للأسهم، ولا سيما أسهم الشركات التي يعتقد أنها ذات مستقبل عظيم مثل تلك التي تعمل في الإنترنط، وهذه الشركات - كما تعلم - لم تحقق بعد أرباحاً فعلية، لكن من المأمول فيه أنها ستتحقق ذلك في يوم ما، وما زالت فعالية هذا النظام موضوع مناقشات مستفيضة وهناك من يزعم في أمريكا أن هذا هو حل دائم لمشاكل توزيع الثروة، ومن غير الواضح لي كم عدد الأمريكيين الذين يستفيدون - فعلاً - من هذا التقسيم للعائد من النمو

القومي أو الكوني، وفضلاً عن هذا فمن الحقيقى - أيضاً - أن هذا الوضع لا يعد - خارج الولايات المتحدة - عاملاً مهمًا جداً في الاقتصاد.

ومع ذلك ثمة شيء واحد واضح، فإضفاء الطابع الديموقراطي على الرأسمالية حق خطوات هائلة في الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة، فالجمهور المستثمر أكبر بشكل لا يمكن مقارنته بما كان سائداً في الأوقات التي اعتبرت بمثابة "الاهتمام الجماهيري" بالبورصة، وحدث ذلك بطريقتين: عن طريق دخول الأفراد إلى سوق الأسهم ومن خلال صناديق الاستثمار الجماعية مثل صناديق الإدخار، والتي من المحتمل أن تكون أكثر أهمية في الأجل الطويل، ويمكن الزعم بأن هذه الصناديق باستثمارها الأموال لأولئك الذين قد لا يقومون بذلك بصفة شخصية، يمكن أن تغدو عصرًا ديمقراطياً مهماً حقاً في توزيع الثروة، وفي الوقت نفسه فإنه من الجلي أن الشركات وكبار المستثمرين أحرزوا تقدماً أكبر مما حققه صغار المستثمرين، وفي بريطانيا فإن المستثمرين الأفراد أقل أهمية نسبياً مما كانوا عليه منذ عشرين عاماً مضت، برغم أن حكومة السيدة تاتشر بذلت جهوداً ضخمة لتمويل بريطانيا إلى أمة من المساهمين، وملكية الأسهم حالياً أكثر اختلالاً. وتلك طريقة أخرى للقول إن نمو الاقتصادات القومية والكونية شديد التفاوت في توزيعه، وغدت الكعكة أضخم غير أن الآثرياء ينالون حصة متزايدة بشكل متتسارع للغاية.

- كثيراً ما استخدمت الحكومة العولمة؛ لكن تعرب عن عجزها والتخلّى عن جميع مسؤولياتها في إدارة الاقتصاد، والتخلّى عن الأسواق، وتتوّنّ بلير الذي عرفته - بقدر من القسوة في رأيه - بوصفه "تاتشر في ذي رجالي" يحرص بصفة خاصة على التمسك بهذه الطريقة، فهل حقاً هذا هو الوضع؟ وهل فقدت الدول بالفعل امتيازاتها؟ علمًا بأن المفكر السياسي الألماني Ulrich Beck يتحدث عن "الانتحار العام البهيج" الذي يرتكبه السياسيون الذين يمجدون السوق.

أعتقد أن هذا يعبر عن بعض الخلط بين شيئين مختلفين، فالعولمة لا رجوع عنها بكل تأكيد وتعد بشكل ما مستقلة عن تصرف الحكومات، وليس الأمر كذلك بالنسبة

لليديولوجية التي ترتكز عليها العولمة، أى الليبرالية الجديدة أو "إيديولوجية السوق الحرة" أو ما أطلق عليه اسم "أصولية السوق الحرة" وتلك مسألة أخرى تماماً، فهذه الإيديولوجية تنهض على افتراض أن السوق الحرة تعظم النمو والثروة في العالم وتحقق التوزيع الأمثل لهذا الازدياد في الثروة، ومن ثم فإن جميع المحاولات التي تبذل للسيطرة على الأسواق وتنظيمها من المحتم أن تقضي إلى نتائج سلبية؛ لأنها تقلص تراكم الأرباح التي يدرها رأس المال وتعرقل بالتالي بلوغ الحد الأقصى لمعدل النمو.

وفي رأيي أنه لم يوجد أى تبرير معقول على الإطلاق لهذا الرأى، وربما أمكن القول إن السوق الرأسمالية الحرة تحقق معدل نمو أكبر من أى نظام آخر، لكن لا يزال يتعين طرح السؤال عما إذا كان توزيع هذه الثروة يتم في صورته المثلثى، وبقدر ما يتعلق الأمر بالسوق الكونية الحرة، فإن ما يهم هو مجموع الثروة المحققة والنمو الاقتصادي، دونما أى إشارة إلى الكيفية التي يتم بها التوزيع، واقتصاديات السوق الحرة لن يروا ضيراً إذا استطعت - مثلاً - أن تثبت أن سوقاً حرة تماماً أمكنها أن تنتج معدل نمو استثنائي في مجال الإنتاج السينمائي، ويمكن أن يكون أعلى بكثير مما في أى نظام آخر، لكن - في الوقت نفسه - اقتصر إنتاج جميع الأفلام على هوليود وليس في أى مكان آخر، وخلاصة القول إن السوق الحرة تفترض أن التوزيع القائم للمزايا والمنافع سيظل بلا تغيير، ولا يمكن تحسينه.

ومنذ ما يقرب من مائة وخمسين عاماً فإن المنظرين للسوق الحرة - وهم في ذلك الوقت من البريطانيين - أبلغوا الألمان أن أفضل سياسة يجب اتباعها تتمثل في زيادة إنتاجهم الزراعي وبيع المنتجات للبريطانيين واستيراد السلع الصناعية من بريطانيا العظمى، مادام في وسعهم إنتاج فواكه ومواد غذائية أرخص من بريطانيا وفي وسع البريطانيين إنتاج سلع صناعية بتكلفة أقل من ألمانيا، وفيما لو اتبعت - فعلأً - هذه السياسة، التي تم الاعتقاد بأنها الترتيب الأمثل، وكانت قد أفرزت تطوراً اقتصادياً غير متوازن إلى حد بعيد، وعلى أى حال فإن هذا غير مرتبط بالموضوع لدى منظري الليبرالية الجديدة.

وفضلاً عن هذا، فإن حجة أن الموارد يجري توزيعها بطريقة مثلى عن طريق تحقيق أقصى معدل رأسمالي لم تكن مقنعة البتة، وحتى أدم سميث أعتقد أنه ثمة أشياء لا تستطيع السوق أولاً ينبغي أن تفعلها، ولذلك فإن الحكومات التي تتبنى إيديولوجية السوق الحرة لا تقول الشيء نفسه مثل أولئك الذين يعترفون - وأنا منهم - بأن العولمة لا رجعة فيها، وثمة العديد من السبل التي يمكن أن تمضي بها العولمة قديماً، دون أن تقتصر - فقط - على إزالة جميع العقبات التي تحد من تحقيق الربح، وإذا بحثت عن الأسباب التاريخية التي كفلت إيجاد تطور متوازن للصناعة على نطاق العالم فسوف تجد أن ذلك لم يتحقق بفضل التجارة الحرة، بل العكس تماماً، وقد أضحت الولايات المتحدة وألمانيا بلدان صناعيين في القرن التاسع عشر بسبب عدم قبول التجارة والتمسك بحماية الصناعة فيها حتى أصبحتا قادرتين على التنافس مع الاقتصاد المهيمن، وكان في ذلك الوقت هو الاقتصاد البريطاني. وفي القرن العشرين فإن التطور الضخم للصناعة في العالم الثالث اتسم بطابع حمائي وباستثناء هونج كونج، فإن النمور الآسيوية نهت النهج الحمائي وحتى تصبيع بلدان مثل البرازيل والمكسيك تحقق بفضل عدم قبول منطق السوق الحرة.

وفي الوقت الراهن، فإن حفنة ضئيلة من الحكومات هي التي لا تقبل هذا المنطق، وتعد موضة السوق الحرة الإيديولوجية من بعض النواحي ثمرة ثانية للمرحلة النهائية من القرن القصير وتمثل قطيعة مع ما يسمى بالعصر الذهبي للنزعنة الكينزية<sup>(١)</sup>، بيد أن هذه الموضة سريعاً ما تصل إلى نهايتها إن لم تكن قد وصلت فعلاً، وعندما ينظر المؤرخون بعد انقضاء خمسين عاماً إلى حقبتها هذه فمن المرجح أن يقولوا إن الرابع الأخير من القرن العشرين القصير انتهى بحدثين : انهيار الاتحاد السوفيتي وإفلاس أصولية السوق الحرة، التي هيمنت على السياسات الحكومية منذ نهاية العصر الذهبي، ويمكن أن تعتبر الأزمة الكونية لعامي ١٩٩٧-١٩٩٨ بمثابة نقطة تحول.

(١) كينز اقتصادي بريطاني شهير (١٨٨٣ - ١٩٤٦) نادى بضرورة توسيع الدولة في الإنفاق الحكومي على المشاريع العامة بغية القضاء على البطالة، وكان قد أرسى أسس ما يعرف بالاقتصاد الكلي Macraeconomics في كتابه المعروف: النظرية العامة للعمالة والفائدة والنقد، ١٩٣٦ (المترجم).

- لقد اتسع الآن نطاق النقد الموجه إلى النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة التي قدمها Milton Friedman و Hayek von حتى من قبل المضارب الشهير جورج سوروس أو اقتصاديي السوق الحرة مثل Krugman و Bhagurati .

- حقا، إن هذه الإيديولوجية تمر بأزمة، ولا يرجع ذلك - فقط - وبصفة رئيسية إلى أنها أحدثت اختلافاً في توزيع الثروة، ولكن أساساً بسبب تحطم النظام، ويلوح لى أن ما حدث في عامي ٩٧ و ٩٨ يمثل انهياراً له شأنه في الاقتصاد الرأسمالي الكوني، ويعتقد على نطاق واسع أن الانهيار حدث بصفة أساسية بسبب الافتقار إلى الرقابة على إجراءات الاستثمار والتتفق المالي والدولي، ومنذ ذلك الحين - ومنذ ذلك الحين فقط - بدأ ينتشر رفض أصولية السوق الحرة، كما أنها اكتسبت طابعاً درامياً من بعض النواحي، ليس فقط وليس أساساً بفضل الأزمة في الشرق الأقصى ولكن بفعل الكارثة الروسية، وقد شرع الرأسماليون الأنكىاء في إدراك هذه الحقيقة منذ وقت مبكر بعض الشيء، وقد انتقد سوروس السوق الحرة منذ مستهل عام ١٩٩٦ ، قبل أن يفسح الإزدهار المجال لحدوث انهيار في نصف العالم، والذي جذب حتى الاقتصاد الأمريكي إلى حافة الكارثة، ولعلك تتذكر أنه بفضل التدخل المحدد من الحكومة الأمريكية وبين الاحتياطي الفيدرالي (federal Reserve) وبفضل هذا التدخل فقط أمكن إنقاذ صندوق الاستثمار المسماي Juvesement fund long - term Capital Management مما كفل استقرار النظام المالي الأمريكي.

وقد ارتئت في كتابي "عصر التطرف" أننا نتجه صوب توسيع كونى ضخم، وقد جعلته عولمة الصناعة ممكناً الحدوث، ولا يتوقع أحد وقوع أزمة أخيرة للرأس مالية أو كارثة كونية ومع ذلك، فمن يستطع أن يشك في أن ذلك كان أزمة كبيرة؟ وفي الغرب، جرى التقليل من مدى جسامتها وخطورتها، وبما أننا نتكلم جميعاً عن العولمة فعلينا أن ننظر إلى هذه الأزمة من منظور كوني، وألا نكتفي بالحكم على آثارها على الإيطاليين أو الأمريكيين، ومن منظور كوني، فقد كانت دراماتيكية.

وهناك بلدان في جنوب شرق آسيا وجدت نفسها في وضع خطير كما في أمريكا عقب أزمة ١٩٢٩ وهل تم التغلب على تلك الأزمة؟

وإذا كان الأمر كذلك ، فهذا لا يعني أننا ينبغي أن نعود إلى الاعتقاد الكامل وبصورة غير انتقامية في التوسيع دون رقابة وسيطرة، وإننيلاحظ - ب رغم لغة السوق الحرة الطنانة - عودة إلى النزعة الحمائية مع بروز النزاعات المتصلة بذلك بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وكذلك بين الولايات المتحدة و الصين، ومما له دلالته البالغة أن هذه النزاعات تمثل عكس سياسة السوق الحرة التي تنهجها الولايات المتحدة منذ الحرب، ولا أعتقد أنها وجدت مواجهة منذ ثلاثينيات القرن الماضي بين الولايات المتحدة والبلدان الأوروبية مثل تلك التي نراها في الوقت الراهن، بما يصاحبها من تهديدات حروب تجارية وفرص تعريفات جمركية جزائية، وأود أن أشير أن ذلك يمثل جديداً في الاقتصاد الكوني، ولا سيما بالنسبة للولايات المتحدة التي من المتوقع أن تساند السوق الحرة مائة في المائة.

- ومع ذلك فإنه يستحيل الحط من شأن الثروة والعمالة التي حققتها العولمة لعدد كبير من البشر الذين كانوا سابقاً فقراء وفي ميسى الحاجة، وإذا كنا نصاب بالهلع من عمالة الأطفال لم يكنوا يحصلون على هذا الدخل الهزيل، الذي يوفره لهم استغلالهم.

- ومن الطبيعي أن يكون للتغير العميق الذي أحثته العولمة في حياة البشر تأثيره العميق في القرن الجديد، ولا أقصد - فقط - التجديفات التكنولوجية، ذات الطابع الثوري الواضح الجلى ، ولكن أيضاً في مجال أبسط مثل إمكانية انتقال وتحرك البشر، ولننظر إلى السياحة والسفر مثلاً، ففي ١٩٩٧ بلغ عدد الليالي التي قضتها البشر في الخارج ٦٢ مليون ليلة، ويمثل ذلك من الناحية الإحصائية ليلة واحدة لكل تسعة أشخاص، ومدى التغير الذي يمكن أن يحدثه السفر حول العالم هو أمر لا تقدره حق تقديره تماماً، وقبل اندلاع الحرب الأخيرة فكان عدد الأميركيين الذين زاروا أمريكا الوسطى (المكسيك وجزر الكاريبي) لم يتجاوز ١٥٠٠٠ شخص سنوياً، وأقل من هؤلاء قاموا بزيارة ديزني لاند يومياً. والحركة المذهلة للبشر، على غرار المنتجات والمعلومات، هي حركة غير مسبوقة وما هي حدودها ؟ ربما لم تصل بعد إلى حدتها الأقصى، لكن هناك حدوداً - بكل تأكيد - حدود مادية على أقل تقدير، ولديكم المشكلة نفسها في إيطاليا.

فكم عدد أولئك الذين في وسعهم الذهاب إلى فلوريدا أو البنديقية سنويًا؟ لقد أضحي العالم ثريًا ثراءً فاحشًا، وعدد أولئك الذين تتوفر لديهم الموارد الدنيا للقيام بما كان مقصورًا قديمًا على الأثرياء قد ازداد بما لا يقارن بما كان عليه من قبل.

- دعنا ننظر إلى حالة روسيا، ولقد كتبت قائلًا إنه ربما كانت البلد الوحيد في العالم حيث أفضى اختبار النظرية القائلة إن الشيء الوحيد الذي يحتاجه اقتصاد ما هو السوق الحرة - إلى الدمار والخراب، وقد قرأت مؤخرًا أن أرباب المعاشات في هذا البلد يعيشون على دخل شهري يتراوح بين عشرة دولارات و مائة دولار وإن نصف العملة المتداولة هي عملة أجنبية، وقد أشار فيكتور زابسلافسكي إلى أنه يمكن لنا أن نقرر حجم المشكلة الروسية إذا وضعنا في الاعتبار أن سبع عشرة مليون نسمة في ألمانيا الشرقية احتاجوا إلى مساعدة قدرها ٩٠٠ مليون دولار للخروج من المأزق.

- حقاً إن روسيا تمثل حالة خاصة ويعتقد الاقتصاديون - نظريًا - في الانتصار الكامل لإيديولوجية السوق الحرة، لكن من حيث الممارسة العملية فإنه لم يوجد بلد حاول قطع الشوط كله حتى النهاية، وهو ما يرجع جزئياً إلى معوقات سياسية، ولم تستطع أية دولة - حتى الولايات المتحدة - أن تسمع بحرية الهجرة إليها، وهكذا، فإن روسيا هي الحالة الفعلية الوحيدة التي قررت بين عشية وضحاها أن تطبق بالكامل منطق السوق الحرة للرأسمالية، وأسفرت النتائج عن كارثة كلية، وإذا تمت المقارنة بين الآثار الإيجابية لانهيار الاتحاد السوفيتي ونظامه السياسي وبين الآثار السلبية، فإنه يمكن القول إن الآثار الأخيرة أعظم وأكبر على وجه اليقين، ويصدق ذلك بكل تأكيد على غالبية الروس، ويقول الكثير من كبار السن إنهم يفضلون العودة إلى سبعينيات القرن الماضي في عهد بريجنيف، ومما يدل على ضخامة الكارثة الروسية أن يعتبر الروس عهد بريجنيف عصرًا ذهبياً.

ومدى الكارثة البشرية التي ألت بروسيا هو أملأ لا نستطيع نحن أن نفهمه في الغرب، وكان ذلك بمثابة انقلاب كامل الاتجاهات التاريخية: حيث انخفض متوسط عمر الرجال بعشرين سنة مما كان عليه في العقد الماضي وانخفض القدر الأكبر من

النشاط الاقتصادي؛ لكي يصبح اقتصاد الكفاف الزراعي. وأعتقد أنه لم يوجد مثيل لهذا في القرن العشرين، وقد يتسائل المرء عما إذا كان ذلك يرجع بكماله إلى تطبيق قوانين السوق الحرة، وأعتقد أن ذلك يتطلب فيما يتطلب - ولو لم يكن لسبب آخر غير تلك القوانين الخاصة بالسوق الحرة - حتى بعد تعديلها - نوعاً معيناً من المجتمع، وإذا لم يوجد ذلك في المجتمع فالنتيجة هي الكارثة، وإخفاق جوريا تشيف كان محتملاً سلفاً.

ويكاد يكون الوضع في روسيا دون حل، وذلك لأن المنظمة الوحيدة التي مازالت قائمة وتواصل العمل هي الحزب الشيوعي الذي كان - أيضاً - أكبر عقبة حالت دون تحقيق الإصلاح، ومع ذلك فإن تدمير المنظمة الوحيدة في المجتمع السوفيتي التي كان في استطاعتها أن تفعل شيئاً - وهو ما فعله جوريا تشيف - دمر فعلياً الاتحاد السوفيتي، وقد أدانته روسيا حتى وفعلاً. وإذا ما عقدنا مقارنة بين روسيا والصين حيث وجد كل منها اقتصاد اشتراكي، فإننا سنجد أنه كان واضحًا منذ ستينيات القرن العشرين أنه يتعمى عليهما - إذا ما رغبا في الاستمرار والبقاء - تطبيق بعض عناصر السوق وأن تؤخذ بعين الاعتبار مطالب المستهلكين، ومنذ تلك الستينيات حاولت المجر وتشيكوسلوفاكيا وروسيا نفسها إدخال إصلاحات تسير في الأساس في هذا الاتجاه. وكان واضحًا المسار الذي يتعمى اتخاذه، وما إذا كان ذلك يمكن أن يكون متوفقاً مع إبقاء هيكل الدولة الاشتراكية هو مسألة أخرى.

بيد أننا إذا قارنا الصين بالدول الاشتراكية التي انهار نظام الحكم فيها عقب انتهاء الاتحاد السوفيتي، فمن الجلى أن الصين لم تنهار بل على العكس اتخذت إجراءات منظمة لإدخال الإصلاح الاقتصادي بما يتمشى مع اقتصاد السوق، وتتجه الصينيون في هذا، برغم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الجسيمة التي واجهتهم، أساساً بسبب عدم تخلي الحزب والدولة عن مسؤولياتهما، وقد رأوا ما حدث في الاتحاد السوفيتي وبنوا كل الجهود التي في استطاعتهم لتفادي ذلك، وذلك هو المغزى الحقيقي في رأيي للظاهرة التي عرفت باسم الميدان السماوي Tianan men . وفضلاً عن هذا فإنهم أدركوا تمام الإدراك ضرورة تنظيم عملية الانتقال، مما يعني أنه لا يمكن بكل بساطة

التخلّى عن قطاعات الاقتصاد غير الفعالة للسوق الحرة، بل يجب أيضًا أخذ الاحتياطات اللازمة بشكل أو آخر لضمان مستقبل الصناعات الحكومية الضخمة التي لا يمكن إيقافها، لأنها لا تحقق ربحًا، وبما أن الصين تمكنت من إبقاء سيطرتها على هذه العملية فقد استطاعت الدولة - بطريقة أو أخرى - أن تتحمل مسؤوليتها لمواجهة المشاكل المترتبة على فترة الانتقال، وبعد انتهاء عشر سنوات على حادثة الميدان السماوي فإن هذا البلد يتمتع باقتصاد قوي يواصل نموه بل يعد بالأحرى ومن مناحي عديدة اقتصاداً رائعاً، ومن الواضح أنه يواجه مشاكل خطيرة، لا يمكن مقارنته ولو مقارنة واهية ضعيفة بالوضع الراهن للاتحاد السوفيتي السابق.

- ثمة تناقضات لفظية عديدة في مدرسة الحرية الاقتصادية (دعاه يعلم) فالسلع ورؤوس الأموال يجري تداولها بحرية، ولا ينطبق ذلك على القوى العاملة، وفي اقتصاد يرتكز على المنافسة ما أكثر عمليات الدمج التي تتم على نطاق ضخم ، بهدف خلق مراكز احتكارية في السوق وبينما تتحدث النظرية الكلاسيكية الجديدة عن ضرورة الإبقاء على "معدل طبيعي للبطالة" لكي يمكن تقادم التضخم، فإن حكومات اليوم تهتم بمقاومة الانكماس وتقديم الدعم الحكومي للعمالة فما هي صلة ذلك بعملية العولمة ؟

- وما هو أكثر طبيعية من ذلك اتجاه الاقتصاد القائم على المنافسة إلى الاحتكار، وذلك هو جوهر تحليل ماركس فالمنافسة الرأسمالية تفضي إلى تركيز رأس المال، وفي الأوضاع الراهنة فإن ذلك يحدث بسرعة، لكنه حدث دوماً.

ويتصرف كثير من الإيديولوجيين والسياسيين كما لو أن هذه العملية لا يمكن التحكم فيها، كما لو أن الحكومات ليس لديها المقدرة على مقاومتها، وأنه يتبعن عليها أن تذعن لها وتنكيف مع حقيقتها، وهذه العملية لها حدودها التي لا يمكن التغلب عليها، وترجع بصفة أساسية إلى المقاومة السياسية التي يبديها السكان المعنيون، كما في حالة الحدود المفروضة على هجرة العمالة الرخيصة، ومن وجهة نظر منطق السوق الحرة فإنه ينبغي وجود حركة حرفة - تماماً - لجميع عناصر الإنتاج، ومع ذلك، فقد ثبت أنه يكاد يكون من المستحيل ضمان وجود حركة حرفة، حرية كاملة لأحد عناصر الإنتاج : ألا وهي قوة العمل ولأسباب سياسية وعملية - وعلى الرغم من كل الأحاديث

الدائرة عن أسواق العمل المرنة - فلا توجد حكومة تعتقد بجدية أنه يتعين عليها أن تنهج مثل هذه السياسة عن طريق تخفيض مستويات الأجور البريطانية أو الإيطالية لكون في مستويات الأجور الصينية أو الكبورية؛ لأن الآثار السياسية والاجتماعية لن يمكن تحملها، أو اعتبرت هكذا على أقل تقدير.

وقد ألمحت العولمة إلى إمكان التحكم فيها خاطئة وأنت تعلم أنه من الممكن التحكم فيها على الرغم من بعض الجوانب أكثر صعوبة في السيطرة عليها، ونعلم أن التحكم فيها أحياناً لأن الحكومات قامت بذلك أحياناً وبنجاح. واليوم هناك حركة حررة لانتقال الأيدي العاملة أقل مما كان في العالم قبل عام ١٩١٤ عندما لم توجد حدود مفروضة على الهجرة سواء إلى الولايات المتحدة أو إلى أمريكا الجنوبية، ولا يوجد بلد حالياً - في حدود معرفتي - ينهج سياسة هجرة مماثلة : لا الولايات المتحدة ولا الاتحاد الأوروبي، الذي يعمل عموماً في اتجاه الحيلولة دون الهجرة، وإن كان بدرجة أقل.

ويرجعنا هذا إلى السؤال الكبير عن الصراع بين قوى الرأسمالية التي تناصر إزالة جميع العقبات، والقوى السياسية التي تعمل بصفة أساسية من خلال الدولة القومية (الدولة - الأمة) وهي مضطربة إلى تنظيم هذه الإجراءات وضبطها أو أنها تختار عن عدم القيام بذلك وهذا صراع: لأن قوانين التطور الرأسمالي بسيطة: أقصى حد من التوسيع وتحقيق الأرباح وزيادة رأس المال، بيد أن أولويات الحكومة والشعوب المنظمة في مجتمعات مختلفة بحكم طبيعتها ذاتها، وهي في صراع إلى حد ما.

- لقد دعوت إلى شكل ما من الرقابة على الأسواق المالية ولست الوحيد في هذا الصدد، وهذه الرقابة من المفترض أن تضعف من تأثير ريد الأفعال اللاعقلية والتي تحدث ما يطلق عليه تأثير التومينو، وريد الأفعال هذه يمكن أن تحدث انهياراً مالياً ضخماً نسبياً كونية في بعض أجزاء العالم وذلك في وضيحة عين، لكن من هو الذي يفرض هذه القواعد؟ هل هي الدولة القومية التي لا تمتلك السلطة؟ أو المنظمات الدولية التي لا تمتلك السلطة وتطبق - أحياناً - علاجات أسوأ من المشاكل التي يفترض أن تجد حل؟

- إن المنظمات الدولية التي لدينا هي موجودة - فقط - بإذن من الدول القومية، ولا تتمتع بسلطة مستقلة بخلاف تلك التي تخولها إياها الدول الكبرى أو الولايات المتحدة وقلة من الدول الأخرى. ومنذ الكساد الكبير وعلى الأخص، منذ الحرب العالمية الثانية وجدت منظمات دولية مخصصة لمراقبة تدفق رءوس الأموال : بنك التسوبيات الدولي الذي وجد منذ عام ١٩٢٩ وصنوق النقد الدولي والبنك الدولي وجاءت نشائتها بموجب اتفاق بريتون وودز، وهو نتيجة التعاون بين كينز والاقتصاديين الأمريكيين (وربما كان من الأفضل فيما لو تمكّن كينز من تحقيق أكبر، لكن ذلك هو ما انتهت إليه الأمور) بيد أن هذه المؤسسات تعتمد - أيضًا - على الدول القومية، وفي الواقع فإن الدول هي السلطة السياسية الوحيدة، وكما ناقشنا آنفًا فلا يوجد اتجاه طبيعي صوب عولمة المنظمات السياسية يمكن مقارنته بالاتجاه الطبيعي في المجال الاقتصادي صوب العولمة فالامران مختلفان تماماً.

وما إذا كان يمكن قيام سلطة دولية فإن ذلك يتوقف على اتخاذ قرار سياسي ولا يعتمد على منطق التطور الاقتصادي والتكنولوجي، وتلك مشكلة سوف تسيطر على التطورات في القرن الحادى والعشرين، وفي السنوات العشرين الأخيرة، إبان المد الكاسح الذي اكتسبته أصولية السوق فقد لاح لوهلة أن الدول يمكن إضعافها بصورة بالغة أو حتى إزالتها باعتبارها عقبة أمام الاقتصاد العابر للحدود القومية، ودارت مناقشات حول اتفاق الاستثمار المتعدد الأطراف، الذي كان أن يمكن أن يعطى الشركات الحق من جانب واحد في مقاضاة أي دولة بسبب السياسات التي قد تضرر بتحقيق الأرباح، وبعد انقضاء عدة شهور فإن المفاوضات التي بدأت - منذ قليل - انتهت إلى لا شيء بالفعل وتوقفت، وفضلاً عن هذا فإبني لا أظن أنه سوف تتكرر محاولة إحيائها، على الأقل الشروط نفسها، وبالتالي هناك صراع مستمر وسيوجد دائمًا، وما قد يكون مثيرًا للاهتمام إمعان النظر في كيف سيكون العالم إذا كفت الدول عن أن تكون قيدًا على تطور الاقتصاد الرأسمالي العابر للحدود القومية الذي يقوم على تصور كوكب، الوحدات الأساسية فيه لم تعد الدول بل هي الشركات. ومن الناحية النظرية يمكن تصور عالم لم يعد مقسمًا جغرافيًا، بل يقوم على أساس وجود

مائتين من أكبر المؤسسات الدولية تكتنفها وحدات اقتصادية أصغر مازال لديها المقدرة على أن تتسم بطابع دولي، مثل بينيتون (Benetton) وأخيراً عدد كبير من الشركات الصغيرة للغاية التي يمكن الوصول إلى الأسواق الكونية من خلال الإنترن特، مثل تلك الأسرة الصغيرة لبيع اللحوم المحفوظة أو المعلبة في بريطانيا التي تتبع منتجاتها في كل قارة.

وماذا سوف يشبه مثل هذا العالم؟ ونحن نعلم أن الأمم الرئيسية، الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وألمانيا ظلت لما يقرب من مائتي أو ثلاثة عام بولاً عظيم بدرجة أو بأخرى، ونحن نعلم أنها يمكن أن تندلع أقل استقراراً كما رأينا في حالة روسيا، ونحن نعلم أنها يمكن أن تتفتت في المستقبل مثل المملكة المتحدة، ومع ذلك فإن الاستقرار النسبي للخريطة السياسية للعلم المتقدم التي كفلتها الدول يمكن أن تنقلبها الواقع ثابت، ومن غير الواضح إلى أي مدى يمكن أن يصدق هذا على عالم منظم من حول أعظم أبطال الاقتصاد الكوني مثل جنرال موتورز وفورد وIBM وميكروسوفت، وستستطيع كل شركة من هذه الشركات العملاقة أن تحدث تغييرات في بنيتها الهيكلية يمكن أن تكون أبعد مدى بكثير من تلك التي يمكن أن تحدث في الدول. وفي أواخر العصور الوسطى كانت برقية برغنديا (فرنسا) قوة سياسية وثقافية عظمى ثم اختفت، ومن غير الحال تخفي تلك القطاعات من المنظر الاقتصادي الذي تعتبره اليوم دائماً، مثل جنرال موتورز، أو يتم الاستحواذ عليها في فترة وجيزة تمتد من أربعين إلى خمسين عاماً، وذلك أن ديناميكية الاقتصاد الكوني هي على النحو الذي لا يمكن أن يكفل استقرار الأبطال الأساسيين، ولنأخذ مثل أوليفتي التي لا تعد بكل تأكيد أكثر ثراء من Telecom Italia ، ومع ذلك في استطاعتتها أن تستولى عليها، وذلك ما أعنيه بعدم الاستقرار.

وإذا افترضنا الآن اختفاء الاستقرار النسبي للدول، فإن عدم استقرار عالم منظم بما يتمشى مع اتجاه الاقتصاد العابر للحدود القومية سوف يزداد بكل تأكيد، وثمة توتر مطرد بين هذين النظامين اللذين يتعايشان حالياً ويجب أن يتكيقاً معاً. ومن الواضح - مثلاً - أن الاقتصاد الدولي تعوقه ضرورة الخضوع للتشريع الوطني

ولهذا فإنه يتطور دانماً في موازاة ذلك نظامه القانوني الخاص به، وتلك محاولة لتجنب الخضوع للنظم القانونية المحلية ول يكن مثلاً عن طريق إرساء مبدأ الالتجاء إلى التحكيم بمعرفة هيئات مستقلة.

بيد أننا نعيش في وضع سوف يستمر لبعض الوقت، يتعين فيه على اللاعبين في الاقتصاد الكوني أن يتواافقوا مع قوانين ومؤسسات نظم الدول القائمة، ويصدق ذلك بأقل تغير على البلدان الرئيسية، وهو ما لا يسرى على العديد من الوحدات السياسية الصغيرة التي يمكن للأقتصاد الكوني أن يتلاعب بها وسيطر عليها مثل إمارة ليختنشتайн، وتلك المسماة ببلدان الملاذ الضريبي. لكن علينا أن نتذكر أنه حتى دولة مثل ماليزيا كانت قادرة على اختيار طريقتها الخاصة في التعامل مع أزمة ١٩٩٨ بما يتعارض مع اقتراحات البنوك الدولية التي أوضحت ما الذي يمكن أن تقوم به الدول، ومن الواضح أنه لا يمكن الذهاب إلى أبعد من هذا الحد في التدخل في سيادة الدول.

ولا تمثل المشكلة - إذن - فيما إذا كانت الحكومات تستطيع السيطرة على الشركات الدولية العاملة داخل حدودها، وإنما المشكلة تتعلق بالسيطرة الكونية، فعندما ينشب صراع بين مؤسسات كونية والحكومات فإنه يتعين على الحكومات أن تتفاوض كما لو كانت تتعامل مع دول أخرى. وللننظر - مثلاً - في الحالات التي تم فيها انسحاب فولس فاجن من فالنسيا (إسبانيا) أو عندما أغلقت **Bmw** مصنعاً مهماً في إنجلترا، وفي مثل هذه الحالات يتعين على الحكومات أن تتفاوض مع تلك الشركات كما لو كانت بولاً، ومن الطبيعي أنه كلما كانت الدولة قوية كلما أمكنها الحصول على المزيد، لكن لابد لها من أن تتفاوض مع مثل هذه الشركات.

وحتى الآن فإن المحاولة الوحيدة للسيطرة على الاقتصاد العابر للحدود القومية عالمياً قد جرت عن طريق تأسيس تحالف (كونسورسيوم) من الدول كما حدث في الاتحاد الأوروبي، وإلى أي مدى سيكون النجاح حليفاً لهذا التوجه تلك مسألة قيد النقاش، ولا يشك أحد في إمكانية ذلك برغم المصاعب التقنية، ويمكن في نهاية الأمر - وكحال قصوى - أن تتدخل الولايات المتحدة في التحويل المادي الفعلى للأموال عن طريق تعطيل الأقمار الصناعية التي يعمل عن طريقها النظام المالي.

ويتمثل الخطر الماثل في الوضع الراهن في أن الدول الكبرى، الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان، لا تجد نفسها مضطورة إلى اتخاذ إجراءات فعالة إلا في فترات الأزمات، وعندما تمر الأزمات تختفي أيضًا المبادرة ل القيام بعمل ما، وذلك هو ما يحدث الآن. وقرب نهاية خريف عام ١٩٩٨ ولدة شهور قليلة تحقق إجماع عام على ضرورة إعادة تنظيم الرقابة على المعاملات المالية وإنشاء بريتون وودز جديدة، ويقول الأمريكيين - حالياً - إنه ليست هناك حاجة فعلية على ذلك، وبالرغم من ذلك فإبني أعتقد أنه سوف تقرر في النهاية درجة أكبر من الرقابة. وكيف تتم تلك مسألة أخرى، وهناك تباين شاسع في الآراء بين الخبراء وبين صنوق النقد الدولي والبنك الدولي والفيدرال ريزف الأمريكية، والمفارقة هي أن أمريكا ليست قوية بما يكفي لفرض نظام اقتصادي جديد. وفي الأربعينيات من القرن العشرين كانت إذا ما اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على أمر ما فإنه يشق طريقاً إلى الأمام، واليوم إذا أرادت أمريكا فعلًا إعادة هيكلة النظام المالي العالمي فمن غير الواضح ما إذا كانت قادرة على أن تفعل ذلك.

- أنت من أشد المتحمسين لما سميته العصر الذهبي الكينزي الذي أعقب في الغرب الحرب العالمية الثانية، وأشارت إلى أن النمو في البلدان المتقدمة كان فيما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٧٤ (المتوسط السنوي ٤٪ في المائة) أكبر منه في السنوات التي سيطرت عليها نظريات السوق الحرة (فيما بين ١٩٩٠ و١٩٩٧ حيث بلغ معدل النمو ٢٪ في المائة) لكن هل تعتقد حقاً أنه يمكن تطبيق الوصفة الكينزية على اقتصاد اليوم، لقد حاول ميتران في فترة حكمه الطويلة غير أنه في خلال عامين استسلم للأرثوذكسية الرأسمالية، وحاول لافوتين في ألمانيا واستمر أقل من ستة شهور.

- لا توجد سياسات اقتصادية صالحة يوماً وعلى نطاق عالمي شامل، ومن الواضح أن السياسة الكينزية عملت على نحو جيد تماماً في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وهو ما يرجع جزئياً إلى الأوضاع السياسية، حيث وجده مناخ أرادت فيه الحكومات إنجاحها، غير أنه وجدت أيضاً أوضاع خاصة لا يمكن أن تتكرر، وكان

ممكناً في تلك الفترة زيادة الأرباح والأجور والرفاهية دون تقليص النمو أو إحداث تضخم يصعب التحكم فيه، ولا أود القول إنه يمكن بعث هذا النظام الاقتصادي، ومن المؤكد إنه من غير الممكن لبلدان متوسطة الحجم تطبيق سياسة اقتصادية دون الرجوع إلى الاقتصاد الكوني، ما لم تقرر الانعزال عن العولمة، وهو ما يعد حالياً من غير المرجح، برغم أنه ممكن نظرياً. ولدينا بعض الحالات القصوى مثل ألبانيا التي عزلت نفسها عملياً عن بقية العالم، لكنها تمكنت من البقاء حتى انهيار الشيوعية، ولم تكن بكل تأكيد تتمتع باقتصاد جيد وفعال وغنى بحيث كانا تنتهي العيش فيه، وكان الناس فقراء للغاية غير أنه كان اقتصادياً يعمل، لكنه انهار عندما انهار النظام السياسي الذي استبعد العالم كله، وعندئذ - فقط - كف عن العمل، ولا أقول إنه ثمة إمكانية حقيقة لكي يسلك آخرون المسلك نفسه أحياناً لكن لا يمكننا أن نستبعد حدوث ذلك.

وفي المستقبل تستطيع بعض بقاع العالم أن تقرر احتضان النزعة الحمائية، وهو أمر قد يكون غير مرغوب فيه لأنه قد يحد من معدل النمو العالمي، بيد أنه قد لا ي Undo كارثة بالضرورة بالنسبة للبلدان التي تختر سلوك هذا المسار، ويتبعه الحكومات حالياً باتباع سياسة ديمقراطية تكون الغلبة فيها لمصالح الناس العاديين، وعليها أن تعمل في نهاية الأمر ما يريدون، وحتى في نظم السوق الحرة الأكثر راديكالية فإن الدولة - عموماً - هي التي توفر معظم الخدمات العامة والمعاشات والخدمات الصحية، ويبعدوا لى أن هذه هي المطالب الاجتماعية الرئيسية الثلاثة التي يتبعن على كل حكومة أن توفرها، ولا يمكن ضمان أي منها دون وجود نظام تدیره الحكومة ولو جزئياً على أقل تقدير، وحتى في الولايات المتحدة - مثلاً - لا تحلم أي حكومة سواء من الديمقراطيين أو من الجمهوريين ببالغ الرعاية الطبية التي تعدد في الواقع رعاية اجتماعية توفر العلاج الصحي لجميع الأمريكيين البالغين.

ولم تحاول أبداً أية حكومة - حتى ولو كانت محافظة - إلغاء دولة الرعاية الاجتماعية، وتتفق هذه الحكومات على الرعاية مثماً تتفق الحكومات الاشتراكية وربما أكثر، وتحاول أن تجعلها أقل جانبية وتحاول تتبني همة المواطنين؛ لكي يحنوا من استعمالها والإفادة منها لكنها لم تكن قادرة على إلئائتها كلياً، وهكذا فإنها يتبعن على

الحكومات أن تنهج سياسة اقتصادية تعمل على ألا تثبط عزيمة القطاع الخاص في خلق الثروة وأن توفر في الوقت نفسه المطالب الاجتماعية للسكان، وهناك جدل مستفيض في بريطانيا ينصب على خصخصة نظام المعاشات وقد حاولت تاتشر، لكنه أصبح واضحًا أنه لا سبيل يمكن الأفراد من الحصول على دخل عندما يتقدم بهم السن دون بعض المساعدة من الحكومة، حتى ولو لم تكن أكثر من تخفيضات ضريبية على مدخلات المعاش ومشكلة المعاشات أقل خطورة الآن بالنسبة لمعظم الأميركيين بسبب النمو الهائل في بورصة وول ستريت، لكن هذه حالة فريدة تخص نسبة ٥٪ من سكان العالم.

يعد الاستهلاك من بين القوى العظمى التي تقف خلف النموذج الأميركي والاقتصاد الكوني، وقد ارتكز الازهار الذي شهدته تسعينيات القرن العشرين على الاختيار الاستهلاكي للأميركيين الذين توقفوا بصفة مستمرة أو استثمروا كل أموالهم في سوق الأسهم، وقد كتبت قاتلًا : إننا نعيش حقبة كان يمكن أن تثال تقدير ماري أنطوانيت؛ لأنه أصبح في وسع الأغلبية أن تأكل الكعك بدلاً من الخبز. ألا يعد سخرية تاريخية أن النزعة الاستهلاكية ذات التأثير المدمر هي التي تصبح دعامة للنظام على وجه الرقة؟

- أعتقد أن الأمر هو أكثر من مجرد كونه سخرية تاريخية، فنمو الثروة بلغ حدًا من الضخامة بحيث غير الأوضاع كلية في الواقع، كما أن مقدرة الاقتصاد الكوني على زيادة الإنتاج - حتى ولو كان ذلك مقتربًا بتوزيع غير متكافئ إلى حد كبير - قد غيرت السوق الاستهلاكية في الولايات المتحدة أولاً ثم في أستراليا وفي أوروبا، ولكن على نحو متزايد في كل مكان، وينبغي ألا ننسى - بغض النظر عن أي معيار نستخدمه - أن غالبية الشعوب أصبحت أيسر حالاً في نهاية القرن العشرين، برغم الكوارث غير العادية التي شهدتها ذلك القرن، وهناك استثناء واحد أو استثناءان، تدهورت فيما الأوضاع وعلى الأخص في السنوات الأخيرة في إفريقيا وروسيا، ولكن إجمالاً فإنه لدينا حالياً ثلاثة أضعاف عدد السكان الذي كان في مطلع القرن، ومع ذلك فإن هؤلاء البشر أقوى بدنياً وأطول قامة وأطول عمراً وأكثر صحة، ويعانون بدرجة أقل الجوع والمجاعة ويحصلون على دخل أكبر ولديهم إمكانية أكبر بكثير للحصول على السلع والخدمات،

بما في ذلك تلك التي توفر لهم فرصاً أكبر في الحياة مثل التعليم، ويصدق ذلك - أيضاً - على البلدان الأشد فقرًا، وأخير فانه لم تحدث مجاعة في الهند منذ عام ١٩٤٢ ، ولم يعد الجوع في معظم بقاع العالم - مع بضعة استثناءات - شيئاً يتعين على البشر أن يتعايشوا معه.

ويعني ذلك - وللمرة الأولى في التاريخ - أن الإنتاج يمكن أن يفي بمتطلبات جماهير السكان ولم يعد البشر في البلدان المتقدمة يعيشون في عصر العوز والفاقة، ويمكنهم أن يختاروا من بين الأشياء التي يريدونها، بعد أن يصبح لديهم ما يكفي من الأكل وما يزيد عن الحاجة من المسكن ولم يعد ينتابهم القلق فيما يتعلق بخبزهم اليومي وعليهم أن يقرروا - فقط - أي نوع من الخبز يفضلون وأى سننوتشرات يختارون... إلخ، وقد عمل ذلك على تغيير الاقتصاد سواء من حيث الخدمات أو السلع المادية، ولتنظر فقط في إمكانية الإفادة من الثقافة من حيث توفر عدد الكتب والتسجيلات وعدد أولئك الذين يمكنهم الحصول على التسلية والترفيه في جميع ساعات اليوم وذلك لا سابقة له في تاريخ البشرية، وفي البلدان المتقدمة، حتى الأكثر فقرًا والأكثر هامشية يعيشون على نحو أفضل إلى حد بعيد مما كان يعيش أجدادهم، ذلك هو أحد أسباب العودة الناجحة لعتقدات السوق الحرة ولو لفترة قصيرة فقط، وهدفها ليس هو إلغاء الفقر وتحقيق إعادة التوزيع والعدالة الاجتماعية، ولكن برغم كل ظلمها فإن الفقراء ينزعون إلى قبولها، كما لو كانوا أكثر ثراء بقدر هائل.

وما أضخم النمو الذي حدث في الإنتاج البشري وفي مدى إتاحة الثروة، وقد استفاد من ذلك القدر الأعظم من سكان العالم، وتلك إحدى قسمات القرن العشرين التي يتغير فيها أن توضع في الحساب عند تقدير أي القرن أفضل أو أسوأ، لقد كان عدد القتلى أكبر منه في أي قرن آخر، لكن في نهايته وجد عدد من البشر أكبر مما وجد في أي وقت آخر، تحدهم كبار الآمال وتتاح لهم فرص أكبر، دعونا نأمل في أن يحرز القرن الحادى والعشرين المزيد من التقدم، ولكن دون حدوث كوارث، غير أنه إذا حدث ستكون مختلفة، وذلك كنتيجة لما شهدته القرن العشرين وحدث فيه.

ثمة جانب رئيسي في الاقتصاد الحديث تمثل في التحول التدريجي من السلع الصناعية إلى اقتصاد يقوم على الخدمات، ويشعر كثيرون بالحنين إلى العامل الصناعي، فهل يعد مجتمع ما بعد الصناعة استجابة جيدة لعالم تباع فيه الأفكار بشكل أفضل من بيع الأشياء المادية؟

والى يوم فإن الاستثمار الصناعي لم يعد حتى يضمن تحقيق زيادة في القاعدة الصناعية بسبب التكنولوجيا الجديدة، وعقيدة الاقتصاد الجديد هي "أرباح أكثر ووظائف أقل".

- هذه العملية عجلت بها العولمة، ولكنها ليست بالضرورة نتيجة لها، ومع ذلك من الخطأ الحديث عن حقيقة ما بعد الصناعة؛ لأن تلك السلع والخدمات التي كانت تنتج في الحقبة الصناعية مازالت تنتج اليوم، وعلى الرغم من أنها تنتج بكميات أكبر ويجرى توزيعها على نطاق واسع إلا أن ذلك يحدث بقدر أقل من طاقة العمل المبذولة فيها، والجديد في هذا الوضع هو أنه من بين جميع عناصر الإنتاج فإن الحاجة إلى الطاقة البشرية تتجه إلى التناقض بقدر مطرد، ويرجع ذلك إلى أنها لا تتنبأ بقدر التكلفة، فالبشر لم يخلقوا للرأسمالية، ولا يفرز هذا تأثيرات سلبية على الإنتاج وإنما على البشر فقط.

وأعتقد أنه يتبع علينا أن نجد طريقة أخرى لاقتتسام منافع الثروة التي ينتجهها عدد متناقص من الأشخاص، يمكن أن يكونوا قلة محدودة للغاية - فعلًا - في المستقبل، وهناك طريقتان لذلك : الطريقة الأولى - وهى الأسلوب المستقر من الماضي - التي كفلت الناس العيش عن طريق منح أجر أو مرتب مقابل ما يؤدونه من عمل، وبالنسبة لغير القادرين على العمل فقد تم ترتيب عملية تحويل جزء من الدخل يؤخذ من الأشخاص الذين يعملون ويسنح لأولئك الذين هم خارج سوق العمل، وقد تزايد حالياً بقدر كبير عدد غير العاملين والذين لا دخل لهم، ولذلك نجد أنفسنا في الوضع الذي يفرض علينا إيجاد طرائق جديدة لتوزيع الثروة الوطنية والتولية، كما أنه علينا أن نكفل العيش بعض أولئك الذين كانوا يحصلون على بخلهم في الماضي من سوق العمل.

وذلك هي المشكلة الكبرى التي تواجهنا، وهي لا تتعلق بزيادة الإنتاج التي قد حلّت بنجاح وتمثل الصعوبة الحقيقة في كيفية إمكان توزيع الثروة، والطريقة الفعالة التي نعرفها هي إعادة التوزيع بمعرفة الدولة والسلطات العامة، ولهذا السبب فإنني أعتقد أن الدولة القومية مازالت لا يمكن الاستغناء عنها، وربما كانت وظائفها الاقتصادية أقل من ذي قبل، لكن وظائفها التوزيعية أكثر أهمية من ذي قبل، ولا أقول إنه على الدولة أن تقوم بذلك في صيغته الراهنة، غير أنه لابد من وجود نوع من السلطة العامة التي يمكن أن تقوم بإعادة التوزيع هذه، وماذا يمكن أن يحصل إذا لم يحدث هذا؟ ذلك سؤال قدم عنه القرن العشرين - في أواخره - بعض الدلائل.

- لقد غدت بلدان الاتحاد الأوروبي - وفقاً لما قاله أندريه جورز - أكثر ثراءً عبر السنوات العشرين الأخيرة بنسبة تتراوح بين ٥٠ و ٧٠٪، وعلى الرغم من هذا يوجد حالياً قرابة العشرين مليون عامل وحوالي الخمسين مليون فقير وخمسة ملايين بلا مأوى.

- يلوح جلياً أن نسبة ضئيلة من الثروة المحققة جرى بالفعل إعادة توزيعها على غالبية السكان، ويغدو اقتسام الثروة أقل مساواة على نحو فاجع، وعندما أقول على نحو فاجع فانتأأعني أن حفنة ضئيلة من الأشخاص، وأحياناً بضعة أفراد أصبحوا أثرياء بطريقة غير مسبوقة على الأقل منذ وقت المجتمع الإقطاعي، عندما امتلك رئيس أساقفة سالزبورج بصفته الشخصية ثلث الناتج الاجتماعي الإجمالي في المنطقة التي كان يعيش فيها، ومنذ ذلك الحين، وجد دائماً قدر معين من إعادة التوزيع، بحيث أفسر عن أن الأغنياء حقاً ليسوا أثرياء للغاية، وجد بالفعل قلة من البشر كان في وسعهم أن ينافسوا الحكومات من حيث الثروة التي يمتلكونها وذلك مثل أسرة روتشيلد التي كانت عند نهاية حروب نابليون ثرية بمثيل ثراء بلدان مثل فرنسا أو بريطانيا العظمى، ولكن تلك حالة استثنائية.

- وحتى البليونيرات أمثال كارنيجي وروكفلر - الذين كانوا شديدي الثراء - إن يكونوا كذلك بمقاييس اليوم، وإنني أتذكر القول الشهير لروكفلر عند وفاة morgan J.p

المصرفي العظيم الذى كان ثرياً بما فيه الكفاية: لكي يتمكن من تكوين أربع المجموعات الغنية في العالم، وترك ثروة تقدر بحوالى ٨٠ مليون دولار، كانت تعد في العشرينات ثروة لا يأس بها حيث قال روكتلر: "اعتقدنا دائمًا أنه كان ثرياً"، وتلك الثروات الضخمة تقل عن الثروة التي يمتلكها اليوم فرد واحد مثل بيل جيتس أو جورج سوروس أو تيد تيريز، وأشك - مثلاً - في أن كارنيجي - الذي ربما أنفق على الأعمال الخيرية أكثر من أي شخص آخر في زمانه - كان يمكنه أن يعرض دفع جزء من دين الولايات المتحدة للأمم المتحدة، كما فعل تيد تيريز. وفي الوقت نفسه فإن سوروس الذي ينفق أمواله على الأغراض النبيلة بالمعدل نفسه الذي كان يقوم به كارنيجي، يعترف بأن كل ما يدفعه محدود التأثير على ثروته.

إن مستوى الثراء المتاح حاليًا للأفراد مذهل على نحو تام، وإذا تحدثنا بالأرقام الإجمالية فإن الثروة التي في أيدي واحد في المائة من السكان ضخمة، وما مدى عدم تأثير هذا الوضع (مستقبلاً) على السياسة؟ ذلك أمر غير واضح، ولدينا إمارات من الولايات المتحدة تشير إلى أن الأفراد في وسعهم الآن أن ينجحوا في تولي أمر الحملات الانتخابية الرئيسية أو أن يؤثروا فيها تأثيراً بالغاً، عن طريق إمكاناتهم المالية الخاصة، ويستطيع الآثرياء اليوم أن يفعلوا ما كانت تفعله من قبل التنظيمات الجماعية الضخمة، ولست متاكداً ماذا إذا كنا ندرك إدراكاً تاماً الآثار العميقة لهذه الظاهرة.

- إن رومانو برودي هو الإيطالي الذي دعى إلى أن يقود أوروبا في أخرج وأدق مراحلها، هل تظن أن لديه الأفكار والقدرة بما يمكنه من الأضلاع بهذه المهمة؟ وإلى أين في اعتقادك؟ سوف تنتهي عملية الاندماج الأوروبي؟

- أنا لا أعرف برودي سوى ما قرأته عنه في الصحف، وأعلم أنا برودي - مثل غالبية الإيطاليين - من المناصرين لنهج سياسة أوروبية طموحة للغاية سوف توجه الاتحاد صوب نوع من الفيدرالية السياسية، ومن غير الواضح مدى إمكان نجاح هذه السياسة، ومن الجلي أنها تناول دعم مؤسسة بروكسل؛ لأن الفكرة الأصلية نبت من هناك، ومدى رغبة الحكومات المختلفة لمواصلة السير في هذا الاتجاه مسألة أكثر تعقيداً،

فسوف يعتمد ذلك على مدى استعداد البلدان الكبيرة لخضاع سيادتها القومية للمشروع الأوروبي، وأميل إلى الاعتقاد بأنه ستوجد تعقيدات قاسية تفرض على هذا المسار، وأظن - مثلاً - أن فكرة التصويت بالأغلبية لا يمكن أن تتعدى نطاق مسائل معينة؛ لأن الدول الأعضاء الرئيسية - بريطانيا العظمى ومن المحتمل فرنسا أيضاً - سوف تدافع عن حقها في التصويت على القرارات الحاسمة، ومع توسيع نطاق الاتحاد الأوروبي سيكون من الصعب عليها بشكل خاص أن تواجه احتمال أن تجد نفسها ضمن الأقلية.

وسوف تجد أوروبا نفسها - إن آجلاً أو عاجلاً - في الوضع الذي يوجد فيه مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، فالبلدان التي ستكون قادرة فعلاً على اتخاذ القرارات لن تكون راغبة بكل بساطة في أن تخلي عن سلطتها للأغلبية، وسلطة الرفض أو حق النقض (الفيتو) وهو ما تتمتع به الدول الكبرى جرى اختراعه على وجه الدقة لهذا السبب؛ لكي يصبح من المؤكد عدم إمكان هزيمة أي دولة كبيرة فيما يتعلق بالقضايا المهمة فعلاً، ولهذا السبب فإن أوروبا سوف تتقدم ببطء أو تراوح مكانها بقصد المسائل الحاسمة، فمن الصعبية البالغة تحديد سياسة خارجية ودفاعية مشتركة مما يثبت أنه لم تتوفر بعد الشروط الضرورية لتحقيق اندماج أو تكامل سياسي كامل وفعال بينما يتوفّر ذلك بقصد المسائل الاجتماعية والاقتصادية، وسوف يزداد الوضع صعوبة مع توسيع نطاق الاتحاد الأوروبي : وفوق كل شيء سوف يزداد عدد الأصوات التي لا تتحمل المسؤولية أو التي لا تبالى بالعواقب، فأغلبية مكونة من سلوفينيا ولاتفيا وإسبانيا وعدد آخر من الدول التي من هذا النوع لا يمكن أن تعتبر أغلبية ملائمة تحترمها ألمانيا أو فرنسا أو بريطانيا أو حتى إيطاليا.

ويتمثل سبب آخر في أن هذا التوسيع سيكون له تأثير مباشر على المصالح القومية من خلال إعادة توزيع الموارد، فمن الناحية النظرية لن تكون السياسة الزراعية المشتركة قادرة على الاستمرار حالما تدخل السوق المشتركة البلدان الزراعية الكبيرة والفقيرة؛ لأن المبلغ الإجمالي من إعانتات التي يمكن أن تحصل عليها لن تتحمّلها ميزانية الاتحاد، في حين أن الفرنسيين لأسباب تاريخية وسياسية لن يوافقوا على

تقليص الحماية الاجتماعية لناخبיהם من الفلاحين، ولذلك فإنه ليس في وسعى أن أتصور إمكان إحرار تقدم صوب الفيدرالية الأوروبية دون أن يصادف ذلك أزمات دولية مفاجئة وخطيرة.

كما إننى لا أظن أن الاندماج الأوروبي يمكن تسريعه عن طريقه تقوية سلطات البرلمان، فالاتحاد الأوروبي لم يتأسس بوصفه منظمة ديمقراطية، ولا أستطيع حتى أن أفهم موضوع الحديث عن عجزه الديمقراطي؛ لأنه لم يكن من المفترض أن يكون ديمقراطياً، وفضلاً عن هذا فلو كان ديمقراطياً حقاً ما استطاع أبداً بلوغ الدرجة الحالية من الاندماج والتكامل. وقد انفجرت المسألة بكمالها في منتصف السبعينيات من القرن الماضى عندما أصبحت أوروبا جزءاً من السياسة الانتخابية، وقد كانت حتى ذلك الوقت مسألة تهم بها جماعات صغيرة من الاختصاصيين، وأنت تستطيع أن تقدر من الناحية النظرية تحويل الاتحاد إلى حكومة ديمقراطية مسؤولة أمام مواطنه، لكن تراودنى شكوك قوية من الناحية العملية فى أن تكون الدول الأعضاء منفردة على استعداد للسماح بذلك، باستثناء إيطاليا، كما أنه أمر قابل للجدل والنقاش تماماً فيما إذا كان البرلمان الأوروبي يستطيع بأى حال من الأحوال أن تكون مصداقته ديمقراطية، ولنفك فى الإقبال الضئيل على المشاركة فى الانتخابات الأوروبية والتى - علامة على ذلك - جرت على نحو ثابت على أساس السياسة الداخلية لكل بلد.

ومن الواضح أن إضفاء سلطات أكبر على البرلمان الأوروبي أمر جيد، غير أننى لا أعتقد أنه سيكون قادراً على أن يضطلع بتمثيل ديمقراطى فعلى للمواطنين الأوروبيين فى المستقبل المتطور، وبالنسبة لكثير من الأوروبيين فإن أوروبا مازالت مجرد مصطلح أو تعبير تقنى ولا يشعرون أنهم يرتبطون بها بأى رباط من الولاء، والسؤال الذى يطرحه الناس فى علاقتهم بأوروبا مازالت تجرى صياغته يوماً فى نطاق سياسة نفعية وداخلية : إلى أى مدى ستكون نافعة ومفيدة ؟

وهناك مجالان مهمان فقط اقترب فيما الأوروبيون من بعضهم البعض وسوف يواصلون ذلك فى المستقبل، المجال الأول هو التشريعات الأوروبية التى ترسخت بالفعل

من خلال إجراءات محكمة سترايسبورج، وقد وافقت الحكومات على أن تكون لها الأولوية على قوانينها الوطنية، مما يعني أن القوانين الاقتصادية والاجتماعية لكل بلد على حدة يتعين - في معظمها - أن تكون منسجمة في معاييرها وتفسيراتها، والجانب الآخر الذي يوحد الأوروبيين هو النزعة الحمائية بغية مقاومة المنافسة من الولايات المتحدة والهجرات الضخمة من العالم الثالث.

- هل تعتبر المحرк الفرنسي الألماني للوحدة الأوروبية عرضة للخطر ؟

يبو لى أن فرنسا تصورت أوروبا أساساً كمحاولة؛ لكن تؤكد وتدافع عن هيمتها الثقافية واللغوية على القارة، وخسرت هذه المعركة فعلياً عندما اتسعت أوروبا لتضم فنلندا والسويد والنمسا، وعندما حلت اللغة الإنجليزية محل الفرنسية في المؤتمرات الصحفية التي تعقد في بروكسل؛ لأن الاسكندينافيين لا يتحدثون الفرنسية، وهذه الأمور مهمة بالنسبة للفرنسيين بأكثر مما نتصور عادة، فأوروبا بالنسبة لهم تستوجب تعزيز دور فرنسا وثقافتها ولغتها، وفي رأيي أن الحافز الفرنسي اليوم للاندماج الأوروبي هدأت حده، وهو الآن أقل اهتماماً بمسيرة هذه العملية حيث تضائل بوضوح وضعهم المركزي، وهو ما يعد صدمة شديدة القسوة بالنسبة للفرنسيين، وبتمثل العقبة الأخرى في النزعة الأطلantية المتأصلة بعمق راسخ في نفوس الإنجليز. وبالنسبة للأخرين فإن أوروبا هي الخيار الوحيد في حين أن الإنجليز يجدون أمامهم إمكانية التقارب والاندماج مع النظام الأمريكي، وفي نهاية المطاف فإن الإنجليز لم يتخلوا قرارهم بعد، ويطبيعوا الحال ليس لديهم فرصة حقيقة لترك أوروبا بعد أن انضموا إليها منذ خمسة وعشرين عاماً، بيد أن البديل المتمثل في الجمع بين العضوتين مازال متاحاً.

## الفصل الرابع

### ماذا بقى من اليسار

ـ مازاذا بقى من اليسار أو مازاذا نهض من الرماد ؟ ليس هذا مجرد سؤال نظري عن أفكار لواقع جديد، إنما هو سؤال عملي، نظراً لأن اليسار موجود في الحكم في غالبية البلدان الأوروبية وحتى في أمريكا بطريقتها الخاصة.

هناك يسار: لأنه مازال هناك اختلاف بين اليسار واليمين، وأولئك الذين ينكرون هذا الانقسام هم من اليمين على وجه العموم، وهذا التمايز له موروث تاريخي بعيد المدى، ترجع أصوله إلى الثورة الفرنسية ومن المؤكد أنه طرأ عليه تغييرات عبر القرون، لكن علينا أن نسأل أنفسنا ما إذا كان الانقسام بين اليسار واليمين حتمياً، وبالتالي مكتوب عليه الاستمرار، بصرف النظر عن المعنى المحدد الذي تخلع عليه في الأزمان المختلفة، ومن الممكن بوضوح تصوّر نهج سياسات لا يجري تنظيمها على أساس هذين القطبين المتعارضين، ولو أن هناك نوعاً من التمايز بين الحكومة المعارضة متأصل في الديمقراطيات الانتخابية، ويصعب وبالتالي التخلص منه، مهما تضاءلت اختلافات البرنامج، ولذلك فابتني أظن أنه من المرجح استمرار وجود انقسام سياسي ومن المؤكد - تقريراً - أنه سوف يعبر عن نفسه اجتماعياً وإيديولوجيًّا على امتداد الخطوط الفاصلة بين اليسار واليمين.

بيد أنني أعتقد أن معنى مصطلح "اليسار" قد طرأ عليه التغيير، ولا سيما في العقود الأخيرة وما لم يتغير - في البلدان النامية على الأقل - هو الأساس الإيديولوجي

الذى تستلهمه جميع تظاهرات اليسار، ويحيل طرائق شتى إلى الثورة الإنجليزية التى كانت أساس الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وأخيراً الثورة الروسية، ومازال معظم أولئك الذين ينتمون إلى الجناح اليسارى يلتقطون إلى الوراء مستلهمين أحد ملامع هذا الموروث، والإيديولوجيات التى اقترنت بهذه الانتفاضات، وليس ذلك بالضرورة هو الوضع فى أجزاء كبيرة من العالم الثالث، ولكن هذا الرباط ما زال فعالاً فى الغرب.

وعموماً، فإن الموروث الثورى لا يشارك فيه اليمين، برغم أن جناحه الأحدث استوعب بعضاً فيه، مثل مفهوم الحكومة المستورية، وبذلك محاولة - خاصة إبان الحرب الباردة - لفصل جزء من هذا الموروث - المتعلق بالليبرالية الحديثة - عن الموروث الثورى، وقد ارتكز ذلك أساساً على الحجة القائلة : إن الموروث المستمد من الثورة أفضى إلى الشيوعية ومن ثم لا يتافق مع الحرفيات الحديثة، وتعد فرنسا مثالاً نموذجياً لهذه المحاولة لكسر استمرارية الموروث اليسارى، ذلك الشعور بوجود وحدة أسرية تجمع اليسار معًا، بيد أنه لا يبيو لى أن هذه المحاولة صادفت نجاحاً على نحو خاص، لا سيما عقب زوال الاتحاد السوفيتى، مما يضفى درجة معينة من التماส克 الأيديولوجي على سياسات النجاح اليسارى.

ومن الطبيعي أن توجد مراحل مختلفة من التمايز بين اليمين واليسار، وفي البداية، فإن اليسار ناضل لقهـر الحكم الملكـي والحكم المطلق والحكم الأرستقراطي مناصراً المؤسسات البورجوازية للحكومة الليبرالية والدستورية، ولذلك كان يساراً معتدلاً، غير أنه كان يسعى أيضاً إلى تعبئة الجماهير لبلوغ أهدافه السياسية، ومنذ بدء تاريخه كان اليسار على استعداد لأن يكون ثورياً، وإذا أخذنا حزب الهويـج (الحزب البريطانـى المؤيد للإصلاح والذى عـرف فيما بعد بـحزـب الـأحرار "م") فى إنجلترا نجد أن أنصار هذا الحزب شكلـوا حزـباً ليـبرالـياً بالـتحـالـف مع الرـادـيكـالـيين من الطـبـقـى الوسطـى معـهـمـمـنـالأـرـسـتـقـرـاطـيـنـ،ـوـأـنـتـاءـالـثـورـةـالـفـرـنـسـيـةـفـيـإـنـجـلـنـدـ،ـأـنـيـظـهـرـوـاـتـاعـاطـفـهـمـمـعـنـابـلـيـونـ،ـوـهـكـذـاـكـانـالـانـقـسـامـطـوـالـمـعـظـمـقـرـنـالـتـاسـعـعـشـرـبـيـنـحـزـبـالـتـغـيـيرـوـحـزـبـالـاستـقـرارـ،ـأـوـيـعـتـرـأـكـثـرـتـحـديـداـبـيـنـحـزـبـالـتـقدـمـوـحـزـبـالـنـظـامـ،ـ

فاليسار كان يقف في جانب التغيير ويناصر أجرء تغييرات وتحولات سياسية واجتماعية، والحق أننا لا نزال نستخدم هذه المصطلحات: وأنصار اليسار يطلقون على أنفسهم اسم التقدميين.

إن التغييرات التي طرأت على البنية الطبقة قد فوضت تدريجياً وحدة اليسار، فلأنستقراطية الحكومة القديمة قد حل محلها أو شاركتها في السلطة البرجوازية حاكمة جديدة، لم تعارض حدوث درجة معينة من التغيير الراديكالي، وهكذا تغيرت طبيعة الاتحاد المحافظ في القرن العشرين بل - وبوضوح أكثر - في نصفه الثاني، وكف عن أن يكون بكل بساطة حزب النظام والاستقرار، واكتسح بقسمات جديدة، وإن ظلت هناك بقايا مثل كراهية التغيير، ولاسيما تلك التغييرات التي أدخلتها الثورة الفرنسية (وتعود الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أفضل مثال على ذلك) غير أنه يقل - تدريجياً - عدد الرجعيين بالمعنى الذي ساد في القرن التاسع عشر أى أولئك الذين يرددون إرجاع عجلة التاريخ إلى الوراء، بل إنه يراودني الشك فيما إذا كان البابا الحالي يعتقد أننا نستطيع اليوم العودة إلى الماضي. لقد برع في سبعينيات القرن الماضي - وبشكل ملحوظ - تيار قوى للغاية من الاتجاه المحافظ يناصر إجراء تغييرات اجتماعية راديكالية للغاية، وتعود الليبرالية الجديدة في الاقتصاد والسياسة ظاهرة جديدة في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأناس مثل تاتشر أو ريجان هم من الجناح اليمنى حتى النخاع ولا مراء في ذلك، إلا أنهم يقتربون في الوقت نفسه إجراء تجديدات راديكالية مقتربة بالقناعات التي يؤمن بها الجناح اليمنى الأكثر تقليدية مثل : "حب الوطن" و"حكم النخبة" وما إليه.

بيد أن العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة من القرن العشرين كانت لها أهميتها الكبرى بل ربما كانت بالغة الأهمية بالنسبة للتطورات التي حدثت على جانب اليسار، فقد برع - في الواقع - تيار جديد يعد بالفعل تياراً محافظاً؛ لأنه يرغب في الحفاظ على الوضع الراهن عندما لا يقتضي بالفعل إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء، ولنأخذ حالة الخضر : إذ يمكن اعتبارهم إجمالاً ينتمون إلى الجناح اليساري، ومع ذلك لا يمكن أن يتطرق أبداً شك إلى أن هذا التيار يرغب في وقف التغييرات الاقتصادية

والเทคโนโลยية أو التحكم فيها على أقل تقدير، ويقول آخر إنه يريد أن يفرض إيقاف التقدم، وهكذا نجد تركيباً غريباً من اليسار - كما واضح في ألمانيا - يضم تقدميين تقليديين إلى جانب قوى تؤمن بأجندة جديدة ليست تقدمية بالمعنى الحرفي للكلمة، ومن ثم فإن الاختلاف التقليدي بين حزب النظام والاستقرار وحزب التغيير والتقدم لم يعد ممكناً استخدامه.

إن ما سيطر على المرحلة الثانية لليسار في القرن التاسع عشر، هو الاختيار بين الجماهير والطبقات الحاكمة ووقع الاختيار على النضال الطبقى، وقد انتظمت الفئات الأفقر من السكان - العمال اليدويون - في حركات تحالفت - أحياناً - مع اليسار التقليدي ولكن على نحو مستقل بشكل متزايد، وما زال هذا اليسار قائماً في معظم البلدان الأوروبية في القرن العشرين والتى حول الحركة العمالية والأحزاب الاشتراكية العمالية، وهذه الحركات لها ثلاثة أهداف :

١ - قبول منجزات اليسار الليبرالي القديم (الحكومات الدستورية والحقوق المدنية وحقوق المواطن) وتبنيها.

٢ - النضال من أجل الديمقراطية السياسية والمشاركة في، والسيطرة على السياسة من الغالبية العظمى من الشعب، وكثيراً للغاية ما يتم نسيان ماهية الديمقراطية السياسية الشابة نسبياً، وما أذرع البلدان إلى تعمقت بها قبل نهاية القرن التاسع عشر، وغدت الحركة العالمية القوة الرئيسية في عملية تحقيق الديمقراطية، وأصبح الحق في التصويت هو البرنامج الوحيد الذي نظمت من حوله الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية إضرابات عامة، وكان الوضع في أمريكا بالغ الاختلاف؛ لأن الديمقراطية تخففت مبكراً وخلافاً لأوروبا فإن اليسار لم يطور أبداً حركة مستقلة للطبقة العاملة.

٣ - ناضل اليسار الجديد من أجل حق كل فرد في كسب عيشة ومن أجل الرفاه الاقتصادي والحقوق الاجتماعية.

وكان الجمع بين المطالب المتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية صفة نموذجية لهذه المرحلة المعينة من اليسار، وقد أيدتها بصفة أساسية حركات الطبقة العاملة.

ولم يحطم هذا بالضرورة وحدة اليسار، وفي بعض البلدان ظلت هذه الوحدة متصلة من المركز المعتدل والليبرالي للطيف السياسي إلى اليسار المتطرف، وفي الولايات المتحدة بقيت هذه المرحلة الجديدة من اليسار في نطاق الحزب الديمقراطي وفي بريطانيا العظمى واصل العمال تحالفهم مع حزب الأحرار على الأقل حتى الحرب العالمية الأولى، وكانت الثورة الروسية هي التي حطمت هذه الوحدة التقليدية، عن طريق تقسيم اليسار إلى تيارين.

- مازا حدث أندالك لهذا اليسار الثاني، الذي يبقى متهدلاً حتى عاصفة قصر الشتاء؟ (مقر القيصر الروسي في سان بطرسبرج وأطلحت به إشارة إلى الثورة الروسية التي نشبت في عام ١٩١٧ - المترجم).

- لقد تحقق الكثير من أهدافه عقب الحرب العالمية الأولى، وجرى تطبيق الديمقراطية وحق التصويت العام، وإن كان بدرجه أبطأ بالنسبة للنساء منه بالنسبة للرجال، كما أدخلت بعض الحقوق الاجتماعية وإجراءات الرفاهية الاجتماعية وتم ذلك أحياناً بسرعة مذهلة، ولنتذكر أن المطلب الرئيسي الذي نظم العمال من حول اتحادهم السنوي بعيد أول مايو السنوي ابتداء من عام ١٨٩٠ ، أى يوم العمل لمدة ثمانى ساعات فقط، أدخلته أوروبا بعد ١٩١٨ ، وإن كان على الورق فحسب.

وفي أعقاب الحرب العالمية فإن الأوضاع المالية ونظم الرعاية الاجتماعية تحسنت بطبيعة الحال على نحو مذهل، وفي عام ١٨٩٠ فإن الكلمات التي اনطوى عليها نشيد الدولة المعروف باسم "Internationale" كانت له معانٍ حرافية، ولكن أصبح من المستحيل بعد عام ١٩٦٠ ، الاعتقاد بأن "المتصورين جوعاً" الذين كان يدعوهم النشيد إلى "النهوض" مازالوا "جوعى" فعلاً وحقاً، وهذا اختلاف يتعين وضعه في الاعتبار.

إن النجاح الكبير لليسار أضعف إلى حد بعيد برنامجه، وفي نطاق هذا اليسار الجديد فإن الاشتراكية تمثل المحور المركزي لتطورات معظم حركات الطبقة العاملة التي تصورت حدوث تغيير جذري، أى نهاية الرأسمالية على أن يحل محلها مجتمع مختلف اختلافاً تاماً، وإذا نتفهم الآن ما حدث في الماضي فإنه يمكن القول إن الاشتراكية

كانت حلمًا يوتوبياً أو حتى مجرد شعار تهيجي تقريبيًا: لأنه حتى الثورة الروسية لم يكن - حتى اليسار الاشتراكي - قد فكر بالفعل فيما الذي يتوجب فعله في حالة الانتصار، ولم تتم حتى مناقشة الكيفية التي يمكن أن يصبح بها الاقتصاد اشتراكياً، وكان هناك قبول عام بأنه يمكن للدولة أن تديره على أساس النموذج الذي قدمته الرأسمالية في ذلك الوقت، حيث كانت المشروعات التجارية الكبرى بالفعل في أيدي هيئات عامة. وكانت النظرية الاشتراكية نقداً للواقع الرأسمالي أكثر من كونها مشروعًا حقيقياً لبناء مجتمع مختلف، وتتأكد كل التأكيد أن ذلك ينطبق أيضاً على الماركسيين، وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى برزت ضرورة فعلية لمناقشة اقتصادات التأمين في ألمانيا والنمسا، اللتين كانتا في عامي ١٩٨٩ و ١٩٢٠ منهكتي القوى، وكان الخبراء البورجوازيون قادرين على انتقاد الاشتراكيين الذين ثبت أنه ليس لديهم أدنى فكرة عن كيف ينبغي عليهم أن يتبعوا سيرهم، والفكرة الوحيدة التي كانت متيسرة للاشتراكيين هي كيفية إدارة اقتصاد الحرب وهو ما احتجاه البلاشفيك في واقع الأمر.

لقد انقسمت الحركة الاشتراكية إبان الحرب وفي أعقابها إلى الجناح الاشتراكي الديمقراطي، الذي أصبح بالفعل حزب الإصلاح المؤازر للدولة، والجناح الثوري والشيوعي، وحافظ المعتدلون على أهداف اليسار القديمة وأنجزوا معظمها، على الأخص في اسكندينافيا، وقد أنجزوا من الناحية العملية كل شيء أملوا على الدولة في تحقيقه في الفترة الممتدة من ١٩٤٥ إلى منتصف سبعينيات القرن العشرين، وقد توج ذلك بتكوين وانتصار دولة الرفاهية أو الرعاية الاجتماعية، ولم تنخرط هذه الحركات على نحو خاص أو حتى على الإطلاق في معارك تستهدف التغيير الدائم لبني المجتمع، برغم أن كثيراً من الاشتراكيين الديمقراطيين مثل قادة حزب العمال البريطاني في ١٩٤٥ ، أملوا نظرياً ذات يوم في تحقيق مجتمع اشتراكي مختلف.

وقبلت هذه الحركات درجة معينة من تدخل الدولة في الاقتصاد، سواء في الإدارة أو الملكية لكن هذا التدخل في حد ذاته لم يكن مشروعًا اشتراكياً، إذ لا ينبغي أن تنسى أن كينز كان من مناصري حزب الأحرار طوال حياته، وتصور دون أدنى شك تدخل الدولة باعتباره سياسة إمبريالية وعملية، ومن اللافت للنظر أن لينين هو الذي

أدرك أن تأميم صناعة ما لا يعد في حد ذاته عملاً ثورياً، فالسلك الحديدية والمرافق العامة كانت في أيدي الدولة أو مملوكة ملكية عامة أخرى في بلدان كثيرة لم تكن - أو لم ترغب أبداً في أن تصبح - اشتراكية. وبقي الجناح الاشتراكي الديمقراطي من اليسار السياسي وفياً للفكرة القائلة بقيام مجتمع ما بعد رأسمالي، من خلال اعتقاد غير محدد بوضوح بأن الإدارة والملكية العامة سوف يتتطوران مع الزمن إلى ما هو أكثر، إلى شيء جديد. وكان البلاشفيك - فقط - هم الذين طرحوا عن وعي وإدراك بناء مجتمع اشتراكي، ويتعين القول إن إخفاق هذا المشروع أصبح كاسحاً وبادياً بجلاء في ستينيات القرن العشرين على نحو خاص، وفي السبعينيات دون أدنى ريب.

وعلاوة على ذلك، فإن النظام البلاشفى أثبت عجزه عن إصلاح نفسه وتهاوى على حطام، كما أن هذا الإخفاق أضعف إيديولوجية الجناح الاشتراكي الديمقراطي، وفعلت ذلك أيضاً التغيرات التي طرأت على الاقتصاد العالمي عقب عام ١٩٧٣ ، نهاية العصر الذهبي للاشتراكية الديمقراطي، وجاءت الضربة القاضية من انتشار المبادئ الاقتصادية الليبرالية الجديدة التي انتقدت الضعف الذي تبدى فيما سمي بالسياسات الاقتصادية للأعمال والمهن الرئيسية "corporatist" التي سادت في الخمسينيات والستينيات جزئياً؛ لأنها لم تحقق النجاح المأمول، وجاء قيوم الاقتصاد المعلوم ليهز كيان اليسار الاشتراكي الديمقراطي ويضرب أنسسه في الصميم؛ لأنه قوض مقدرته على الدفاع عن دوائره الانتخابية المؤيدة له داخل الحدود القومية، من خلال السياسة المالية المناصرة لإعادة توزيع الثروة والرفاهية والحفاظ الاقتصادي الكلى لبلوغ العمالة الكاملة، وترجع جذور الأزمة الفكرية الراهنة التي تجتاح اليسار - حالياً - إلى الأزمة المزبوجة لليسار البلاشفى/الثورى واليسار الاشتراكي الديمقراطي.

وأعتقد أن هذا الجانب أكثر أهمية بكثير من التغيرات التي طرأت على طبيعة الإنتاج، وانحطاط التصنيع ونمو الصناعات التكنولوجية المتقدمة وما إلى ذلك؛ لأن القاعدة العمالية لهذا اليسار لم تبدأ في الانحدار إلا مع حلول سبعينيات القرن العشرين، وربما بدأ الانخفاض في العدد الإجمالي للعمال مبكراً في الولايات المتحدة - في ستينيات القرن العشرين -

ولكن في أماكن أخرى في الغرب، فإن الفترة الواقعة بين ١٩٤٥ و ١٩٧٠ قد شهدت ذلك النمو الاقتصادي الذي أدى إلى زيادة عدد العمال أو حافظ على استقرار عددهم، برغم التجديدات التكنولوجية، وما زال العمال في بريطانيا العظمى وحدها - وربما في بلجيكا - يشكلون حالياً أغلبية السكان.

ولم يوجد في السبعينيات القرن العشرين أي مبرر يجعل لا يظل اليسار قوياً كما كان من قبل، بقدر ما يتعلق الأمر بقاعدته الاجتماعية، بيد أن هذا اليسار تعرض لأزمة خطيرة، وإنني أعزه ذلك إلى أنه أنجز أهدافه وأن أحوال العمال قد تحسنت بقدر هائل، وعليه فلم يعد لديه برنامج مناسب، كما لم يعد في وسعه أن يقترح بناء مجتمع مختلف، إما لأنه لم تعد توجد نماذج متاحة لمثل هذا المجتمع، أو لأنه لم يعد مستطاعاً إصلاح المجتمع القائم، نظراً لأن الجناح الاشتراكي الديمقراطي ليس في وسعه إلا أن يقترح المحافظة على ما تحقق بالفعل، وهكذا انتهى اليسار الثاني.

وقد وجد يسار جديد منذ ستينيات القرن العشرين وتمثلت المشكلة التي واجهته في أنه لم يستند إلى القاعدة الطبقية الصلبة، التي كانت هي الأساس الذي ارتكز عليه يسار الطبقة العاملة، فضلاً عن أنه لم تكن له قاعدة إنتاجية قوية، كما لم يكن له مشروع وحيد إضافي، وتتنوع كثرة من الحركات التي تعتبر نفسها منتمية إلى اليسار إلى تبني قضية وحيدة، وتعد الحركة النسائية مثالاً مهماً في هذا الصدد؛ لأنها لديها من الناحية النظرية قاعدة ضخمة، ومع ذلك، فإن برنامجها محدود للغاية، حتى فيما يتعلق بالمسائل النسائية ذاتها، وتنتهي هذه الحركات إلى ما يمكن تسميته بالاتجاه اليساري المتصل، وعلى سبيل المثال، فإن حركة الخضر - حتى في البلدان التي لم تتطور فيها إلى حركات سياسية كاملة وناضجة - فإنها ترتبط باليسار إن ارتبطت بأى حركة على الإطلاق، مثل علاقاتها مع الديمقراطيين في الولايات المتحدة أو بالعمال في بريطانيا. وحيثما تطورت بوصفها حركة سياسية منفصلة، فمن الأرجح أن تحالف مع الاشتراكيين الديمقراطيين بأكثر مما تتحالف مع اليمين، لكن هذا اليسار الثالث لا يكتسب أهمية كبيرة من الناحية السياسية، ولكنه يبرز بصفة أساسية من جراء الأزمة التي اجتاحت اليسار السياسي التقليدي.

- هناك مظاهر آخر لأزمة اليسار: ضعف السياسة وتدينها كنظام موثوق به؛ لتغيير المجتمع وأينما أمعنا النظر سواء في أمريكا أو في أوروبا سيصادف المزيد من الفتور واللامبالاة بالسياسة (بمعنى الافتقار إلى المشاركة النشطة، جزئياً وببساطة نتيجة لفيض الانتخابي).

- هناك عدة أمور أعمق من ذلك عملت على إضعاف اليسار إلى حد خطير، فمن الناحية الاقتصادية تعلق الأمور بالمجتمع الاستهلاكي، ومن الزاوية الفكرية نصب الأمر على مطابقة أو مماثلة الحرية بالاختيار الفردي، دون اهتمام بالعواقب الاجتماعية، مما أدى إلى حدوث تصدع في عالم اليسار التقليدي المشترك، إذ كان يتم الاعتقاد في الماضي بأن النضال من أجل الحرية الفردية يتعارض مع النضال من أجل التحرر الجماعي، لكن أصبح جلياً في نهاية القرن العشرين وجود صراع متزايد بين هذين الاحتياجين، وقد وجهت خصخصة المجتمع وإضعاف الهوية الاجتماعية المشتركة ضربة قوية إلى اليسار الاجتماعي؛ لأن هذا اليسار كافح من أجل تحقيق أهداف جماعية وسعى إلى إقرار العدالة الاجتماعية، وتلك مشكلة خطيرة ومتعددة الأبعاد؛ لأن ما مكن اليسار من أن يعمل بطريقة جماعية هو الذي مكن - أيضاً - السياسة الديمقراطيّة من أن تؤدي وظيفتها، فالسياسة الديمقراطيّة توجد بالقدر الذي يغدو ممكناً تنظيم الناس وجعلهم يعملون بطريقة جماعية.

وبتزايده الصعوبة التي تواجه أي حركة سياسية لكي تحشد الناس، ليس فقط على الجانب اليساري، فالمصالح الخاصة والأنانية عملت على تأكل قيم الجناح اليساري على نحو خطير وخير مثال على ذلك هو التحلل التدريجي للنزعنة التبادلية في بريطانيا في السنوات الأخيرة (mutualism) ولننظر إلى ما يحدث حالياً لشركات البناء والتسييد حيث كانت توجد من قبل تنظيمات تعاونية للادخار، وقد ظهرت عندما عجز العمال الفقراء عن تحقيق مدخلات كافية لحسابهم كأفراد، مما تعين عليهم تنظيم أنفسهم على نحو جماعي، وحقق لهم منافع ضخمة مما جعل هذه الهياكل تكتسب أهمية اقتصادية كبرى، وفي الوقت الراهن تتحول هذه الشركات واحدة وراء الأخرى من شكلها التعاوني إلى شركات خاصة عاربة، يمتلكها مساهمون يحصلون على أرباح سنوية،

وبسبب موافقة الأعضاء على هذا التطور والتصويت لصالح تحويلها إلى بنك أو شركة عامة ذات مسؤولية محدودة هو ذلك القدر الضئيل للغاية من الأرباح غير المتوقعة التي توزع عليهم، ولم تكن الإدارة ولا المطلق نفسه في صالح هذا التحول، ولا مراء في أن المزايا العائدة للمفترضين كان يمكن أن تكون أكبر فيما لو بقيت هذه الشركات ذات الطابع تعاوني، لكن غالباً ما لا يستطيع الناس مقاومة إغراء الحصول على ألف أو ألفين من الجنيهات، التي ربما استخدمت في قضاء عطلة ما، وهم يتخلون عن قيمة اجتماعية كبرى في مقابل كسب ربح فوري قصير الأجل.

وقد أصبح من الأكثر صعوبة ومشقة إشراك الناس في عمل جماعي، وطالما كان معظم الناس فقراء فإنهم يلبون هذا النداء؛ لأن أملهم الوحيد يتحقق من خلال العمل الجماعي، ولكن إذا ما تجاوزوا عتبة الحاجة فإنهم يظنون أن في وسعهم الحصول على المزيد بالسعى وراء مصلحتهم الخاصة فقط لا غير، ومع ذلك فإن الداعمتين الأساسيتين اللتين ينهض عليهما التراث اليساري ما زالتا قائمتين، فمن بين مبادئ الثورة الفرنسية الثلاثة وهي الحرية والمساواة والإخاء، فإن الإخاء لم تعد له قيمة تذكر لكن تظل معنا الحرية والمساواة، ونحن نعلم ماذا تعني الحرية، وإنني أعتقد أن المساواة تعنى اليوم - من الناحية العملية - تقديم الخدمات الاجتماعية وإعادة التوزيع التي تتم بمعرفة الحكومات، وذلك ما لا يمكن أن تكفله السوق الحرة، وحتى ورثة تأثير المحافظين، الذين أجروا تغييرات اجتماعية جذرية في اتجاه السوق الحرة أكثر من أي تيار من تيارات الجنان اليمني الأخرى، يتراجعون الآن عن هذه العقيدة ويعترفون مثلاً بأن الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية الأساسية للمسنين تعتبر من المهام الرئيسية للدولة والمنظمات العامة.

- أى أن هناك ما يطلق عليه اسم "مجتمع" خلافاً لتأكيد تاتشر.

- المجتمع ليس موجوداً فحسب - كما نعلم تماماً - بل هناك أشياء يقتضيها المجتمع لا يمكن أن تتحقق على الإطلاق من خلال متابعة المصالح الخاصة، وهناك منافع أو "سلع" اجتماعية لا يمكن تغيرها إلا بصفة جماعية وذلك تحقيقاً للمصلحة المشتركة، ولاحظ أنه حتى في ظل حكم تاتشر لم يتجرأ المحافظون البريطانيون على تجاوز مرحلة معينة في خصخصة مجالات مثل الصحة.

ولا أظن أن أى يسار يمكنه أن يصور السوق باعتبارها المجتمع الأمثل؛ لأننا كما رأينا هناك أمور وأشياء تعجز السوق عن القيام بها، ومن رأى أن أى شكل من أشكال سياسة النجاح اليساري حتى أكثرها اعتدالاً يجب أن يقول ما قاله جوسبيان (رئيس وزراء فرنسا) : نحن نسلم بأن السوق هي أحد العناصر الأساسية في الاقتصاد، وربما كانت السوق هي العنصر الحاسم في خلق الثروة، لكننا لا يمكن أن نوافق على مجتمع السوق الحرة، نعم للسوق لكن لا لمجتمع السوق الحرة، وعلى الرغم من أنني لا أعرف الأفكار الشخصية لتونى بيلير (رئيس وزراء بريطانيا) لكن الحكومة العمالية تفضل بالفعل أن تحدث شكلاً ما من أشكال إعادة التوزيع، وت فعل كل ما في وسعها في هذا الاتجاه، في نطاق الحدود التي تفرضها مخاطر فقدان الدعم الإنتاجي، ولا مراء في أن سياسة المستشار جولدون براون تمثل محاولة لإعادة التوزيع، ولو أنها ضعيفة للغاية ويمكن الاعتراض على أن هذه الطريقة لن تحقق نتائج باهرة، لكن لا يمكن القول - أيضاً - إنها تدل على الاعتقاد بأن السوق الحرة سوف تحل كل الأمور.

والحق يقال إن قلة من الحكومات (واحدة أو اثنان) ذات الطابع اليساري وافقت تماماً على سياسة السوق الحرة، وأنا أفكر مثلاً في حكومة جونزاليس في إسبانيا (التي سقطت في الانتخابات الأخيرة <sup>م</sup>) لكن حتى في مثل هذه الحالات فإنه لم تنهج النهج نفسه الذي سلكه ريجان تاتشر، وهي فعلت ذلك لأنه كان عليها أن تفعل أو لأنه لم توجد طريقة أخرى في ذلك الوقت؛ أو لأن التغيرات الاجتماعية التي أحدثها الآخرون قبلها لا رجوع عنها، وتلك كانت قرارات ذات طابع عملٍ تجريبي ولا ترتكز على اختيار من حيث المبدأ، ولا أعرف ما إذا كان ذلك ينطبق على تونى بيلير، وبينما لو أنه تاتشر في ثياب رجل أكثر من أى شخص آخر في أوروبا اليوم، إلى حد قيامه بكل وضوح بدور الزعيم المحارب. ومن الناحية الأخرى فإنه يمكنني أن أتصور وجود تيارات معتدلة من الجنح اليساري تقول لنفسها : حسناً، ولأسباب عملية فإنه لا يوجد الكثير مما يمكن عمله لكي يكون مختلفاً عن اليمين؛ ولذلك يتبع علينا أن نتكيف مع ذلك تماماً، وفي رأيي أن هذا هو تفكير كلينتون (عندما كان رئيساً للولايات المتحدة حتى عام ٢٠٠٠ <sup>م</sup>) ويمكن انتقاد كلينتون كثيراً؛ لأنه كان يقول شيئاً ثم يفعل شيئاً آخر، لكن حقيقة إن

كلينتون كان يتكلم بطريقة معينة يعني أنه يتطابق بالسلية مع قيم اليسار التقليدي، ولهذا السبب فإنه خيب أمال الكثير من الأمريكيين أكثر بكثير من البريطانيين الذين خيب أملهم بلير، ولم ينتم بلير البتة إلى التراث اليساري ولم نعرفه إلا عندما تم انتخابه، لكن عندما فاز كلينتون بسدة الرئاسة فإنه كان يشبه تماماً أي ديمقراطي يحتذى غير التقاليد المتعارف عليها في اليسار الأمريكي.

- وحتى مع ذلك، ألم يكن كلينتون إمبراطور التسعينيات من القرن العشرين؟

لا أعتقد أن كلينتون يعتبر شخصية مهمة حقاً في تاريخ القرن العشرين، كما لا أظن أنه يعد من بين السياسيين الأمريكيين الأكثر أهمية في الربع الأخير من القرن العشرين، وكان ريجان أكثر أهمية منه بكثير، وفضلاً عن هذا فقد كان أكثر توفيقاً في التعامل مع وسائل الإعلام، وتفادى بالفعل نوع الأزمة التي طاردت كلينتون بصفة مستمرة، وهناك ثمة مشكلة مهمة تتعلق بنوعية القادة أو الزعماء، إذ لا توجد كثرة رفيعة المقام عظيمة الشأن أو من طراز رفيع المستوى، وبهذه المناسبة، إذا أجريت استفتاءً عن أهم الشخصيات في القرن العشرين فلن يبرز عدد كبير من السياسيين ضمن هذه القائمة، وفي إنجلترا ربما يقول كثيرون تشرشل لكن بمعزل عنه، فمن المرجح أن يسجل الناس بعض الشهوريين الذين حققوا إنجازات مهمة في مجال تخصصهم المهني أو مجرد أولئك المعروفين بكل بساطة، وإذا كنت نجماً رياضياً كبيراً في الولايات المتحدة فستكون أكثر شهرة من أي سياسي، والحق أنه توجد بلدان اختارت النجوم السينمائية بوصفها شخصيات قائنة، وحدث ذلك في بعض الولايات الهندية لكن لم يحدث بعد في دول كبرى مثل إيطاليا أو بريطانيا العظمى، وبالطبع هناك حالة ريجان، ولا ينبغي لأى مؤرخ أن يقلل من مغزى تحول ممثل هوليودى إلى رئيس دولة.

وهناك مشكلة كبرى تواجه القرن الجديد : خلافة القادة والزعماء في البلدان الديمقراطية ونقل السلطة من جيل إلى جيل، وفي المجتمعات التقليدية، هناك الآليات المختبرة والموثوقة بها، وأشهرها الخلافة بالوراثة. ففي النظام الملكي لا تمثل الخلافة أى مشكلة، وحتى في النظم غير الملكية كما في الهند، هناك الممارسة العملية حيث

يكون الخليفة الظاهر وثيق الصلة بالقائد السابق وبذلك يكتسب هالة السلطة، وفي حالات أخرى، تتم عملية اختيار القادة من خلال تنظيم سياسي وذلك تشكيل تقليدي في المجتمعات الديمقراطية: فالشخص الذي يعين في مركز القيادة يجري اختياره بمعرفة جمهرة المواطنين نوى الحقوق السياسية، وقد تكون هذه العملية ديمقراطية تقريباً. كما أن الاختيار قد يأتي تعبيراً عما تقوم به هيئة من أعضاء البرلمان، وفي بعض البلدان، فإن إجراءات الاختيار يشوبها الغموض التام كما في المكسيك حيث يمكن الرئيس السابق يوماً ومن الناحية العملية من تعين خليفته، لكن لا أحد يعرف كيف يتم ذلك على وجه الدقة.

وتبدأ المشكلة عندما يجري انتخاب القائد انتخاباً مباشراً وفي هذه الحالة، فإن اختياره تم وفقاً لمجموعة من المعايير لا تتعلق بالضرورة بقدرته على القيام بهذه الوظيفة، وتلك مشكلة خطيرة؛ لأن صفات القائد بالغة الأهمية. ولنأخذ حالة ألمانيا وتأمل كيف كانت الصفات الزعامية التي اتسم بها أدينauer لها أهميتها، وعلى الرغم من التقييدات التي كانت محيطة به فقد أثبتت مقدراته على أن يخرج بلاده من وضع بالغ الصعوبة، كما تتمتع الزعماء الاشتراكيون الديمقراطيون الذين أعقبوه بخبرة سياسية عميقة. كما هو الشأن مع برانت، وكانت لهؤلاء الرجال شخصياتهم المرموقة سواء اتفقت أو اختلفت معهم، ويصادف الجيل الحالي من الاشتراكية الديمقراطية الألمانية صعوبة في اختيار زعيم من الطراز ذى المقام الرفيع نفسه.

وتعد هذه مشاكل أقل خطورة - بوضوح - في البلدان القوية المستقرة، ففي خاتمة المطاف فإنه لا يهم كثيراً من هو مثلاً رئيس الولايات المتحدة : فمنذ عام ١٨٦٥ اغتيل سبعة رؤساء أجبروا على الانسحاب قبل انتهاء مدة الرئاسة، وحل محلهم أشخاص لم يتم اختيارهم؛ لكي يقوموا فتسيير الأمور في البلاد. ومع ذلك فإن تاريخ أمريكا لم يتغير بقدر مهم من جراء هذه الصدمات ففي الولايات المتحدة تعد القضبان التي يجري فوقها قطار السلطة مستقرة لدرجة أن من يسوق القطار - كائناً من كان - يستطيع أن يسوقه دون أن يخرج القطار عن مساره، لكنه في الاتحاد السوفيتي فإن صفات الزعامة كان من الممكن أن تكون لها أهميتها وتحدد اختلافاً، وهو ما حدث بالتأكيد.

- بعد أن طرد المستشار الألماني شروبيير وزير ماليته الأول، أوسكار لافونتين هل يوجد - وربما جاز القول أنه كان يوجد - يسار يستلهم المفهوم التقليدي لإعادة التوزيع الاجتماعي : فرض ضرائب مرتفعة على العمل والمؤسسات وإنفاق اجتماعي كبير، ولا يوجد في هذه الجبهة حالياً سوى تلكقوى التي تستوحى التراث الشيوعي وربما جزء من الحزب الاشتراكي الديمقراطي S P D الألماني، هل تعتبر ذلك سياسة واقعية بالنسبة لليسار اليوم ؟ لم يستطع لافونتين أن يتعامل معها .

أعتقد أن لافونتين خسر المعركة: لأن عالم الأمل وقف ضده داخل ألمانيا وخارجها على السواء، فأحد البراهين الأساسية على وجود اليسار واليمين هو أن الأسواق لا تحامل عادة على حكومات الجناح اليميني بالطريقة نفسها التي تتصرف بها مواجهة حكومات الجناح اليساري، والحق أن أحد الجوانب المثيرة للاستغراب لدى اليسار الجديد في بريطانيا العظمى، هو أنه قد أحرز نجاحاً في جهوده التي بذلها، لكنه يقنع الأسواق بأنه لم يعد جناحاً يساريًا، وقد جعلت السوق من المستحيل على ميتران أن يتبع السياسات التي شرع في إنتهاجها في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، والآناكتشف لافونتين مدى سلطانها، أصحىح ذلك أم باطل تلك هي الكيفية التي تسير بها الأمور. وأعتقد أن السياسة التي أنتجهها لافونتين لم تكن واقعية بهذا المعنى، إن سياسة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني عليها أن تكون أقرب إلى سياسة حكومات يسار الوسط الأوروبي، مثل جوسبان في فرنسا، وكان لافونتين منحاز لليسار بأكثر مما ينبغي حتى بالمقارنة مع جوسبان رئيس وزارة فرنسا.

● هناك تراث آخر سميه "المسيحية الاشتراكية" وهو تيار من تيارات "دعاه يعمل" بمرتكزات مسيحية، كان له تأثيره الحاسم في بناء الاتحاد الأوروبي، أى بایجاز نموذج "مقاطعة الراين" Rhine land ، الذي يتمثل في رومانو بروdi الرئيس الحالى للاتحاد الأوروبي، بيد أن هذا النموذج يبدو أيضاً أنه يجتاز أزمة طاحنة (خمسة ملايين عاطل) وبالنسبة لليسار فلا يعد مفخرة كبيرة له؛ لأنه ينتهي بوضع ثقة في تجاه يتسم بالمحافظة الرحيمة، هل تعتبر هذا التراث يشكل جزءاً من اليسار الأوروبي ؟

أتفق معك في أن التحول إلى التراث المسيحي الاشتراكي هو سمة ضعف اليسار، وقد تحدثنا آنفًا عن هذا الأمر، وليس من المشجع أن يكون البابا هو الشخصية الوحيدة ذات الأهمية العالمية الذي يدين الرأسمالية، ومع ذلك يجب أن تذكر أن حزب العمال - مثلاً - اقتصر بالقضية الأوروبية من واقع حقيقة أن أوروبا - وشكراً لقوة المسيحية الاشتراكية - هي التي تكفل الحد الأدنى من الحقوق النقابية العمالية في حين لم تفعل ذلك حكومة المحافظين بقيادة تاتشر، وإذا أردت فهذا يدل أيضًا على إمارة ضعف، وما زلت أميل إلى النظر نظرة إيجابية إلى التراث المسيحي الاشتراكي على علاته.

- لقد أصبح يتغير التمييز بين اليسار واليمين، ويستكون الطريقة الوحيدة لتبين الانقسام في السياسة هي التمييز بين التقديرين والمحافظين، فالتقديرون يروجون للمنافسة بوصفها الوسيلة الحديثة لتأكيد الموهبة الفردية في ظل توفر شروط الوصول المكافئ إلى المبارزة الاجتماعية، بينما يرغب المحافظون في الإبقاء على الوضع الراهن للشركات التجارية والامتيازات، بما في ذلك امتيازات ارستقراطية الطبقة العاملة ونقاباتها العمالية، ويخاطب الأولون الشباب بينما يتوجه الآخرون إلى كبار السن وأرباب المعاشات.

- هناك قدر من الصحة في هذا القول، فقد أصبح جزء كبير من اليسار - بالفعل - قوة تحاول الحفاظ على ما كان جيداً في الماضي أو حمايته على الأقل من أن يتعرض للمزيد من التغيرات والتلاكل، ومن الناحية الأخرى فإنه لا يمكن أن تطابق اليمين فقط مع مناصرة الاقتصاد التناصفي من غير ضابط، لقد قالت على نحو ملحوظ من شأن العوامل الأخرى التي خلقت الأوراق، وعلى سبيل المثال هناك مشكلة النزعات القومية والوطنية التي لم تعد تجد نفسها في جانب أو آخر، وما لا أتفق معك فيه إلى حد بعيد يتعلق بمسألة الشباب والشيوخ أو كبار السن، وإذا كان من الأيسر على وجه اليقين تعبيئة كبار السن على أساس الحفاظ على الهياكل الاجتماعية، فإنني لا أعتقد أن السياسة لها تأثيرها البالغ على الشباب، وإن عدم انغماس الشباب في السياسة يعد مشكلة من أكثر المشاكل المعقدة والملحوظة في عصرنا، ومن غير الجلي ماذا سيكون

دور الشباب في سياسة القرن الحادى والعشرين، وأعتقد أنه سيكون لهم شأنهم في نطاق جماعات طلابية محدودة، ولكن ليس بالضرورة بوصفهم القوة المحورية التي تحدث التغيير الاجتماعى، ولا حتى في النطاق الانتخابى بكل تأكيد، وسيكون للأسر المتوسطة الدخل والتى فى سن العمل أهمية أكبر من الزاوية الانتخابية.

ولا توجد حركة اشتراكية واحدة لديها تنظيم شبابى حقيقى، ونادرًا للغاية ما وجد بالفعل مثل هذا التنظيم حتى فى الماضى، ولم تتمثل الدعامة الأساسية للشيوخين والاشتراكيين الديمقراطيين فى الشباب، بل فى الأسر العاملة، ولهذا السبب - ومع الأخذ فى الاعتبار تدهور هذه البنية الاجتماعية - فإنه تراودنى كثرة من الشكوك فيما يتعلق بمستقبل السياسة، وليس مجرد سياسة الجناح اليسارى، بل السياسة بعامة، ولا يمكن تعبيئة الشباب إلا بقصد مسائل محددة مثل أساليب الحياة والبيئة ومشاكل التحرر مثل حقوق الشوادع جنسياً أو المخدرات : وهى قضايا ذات صلة هامشية فقط بالسياسة.

- بيد أنه ثمة هيكلية لأزمة اليسار التقليدى فى أوروبا، وقد بدأت منذ مائة عام بوصفها حركة العمال الصناعيين وتجد نفسها اليوم نشطة فى مجتمع تتدحرج فيه بشكل دراماتيكي الجوى المحددة للعمل اليدوى والعمالة المباشرة، فكيف يستطيع اليسار أن يخاطب الطبقة الوسطى الجديدة التى يزداد اتساعها وصفوف العمال المستقلين الذين يعملون لحسابهم ؟ وهل على اليسار أن يتخلى عن ديمقراطية العمال لصالح ديمقراطية المستهلكين ؟

- إن المجتمع الاستهلاكى الحديث - بحكم طبيعته ذاتها - يجبر البنى السياسية أكثر فأكثر على أن تتكيف معه، وتزعم نظرية السوق الحرة بالفعل إنه لا ضرورة للسياسة؛ لأن سيادة المستهلك ينبغى أن تعلو على أى شيء آخر: فمن المفترض أن تكفل السوق للمستهلكين أقصى قدر ممكن من حرية الاختيار، وتحتاج لهم إشباع جميع احتياجاتهم ورغباتهم من خلال ذلك الاختيار، ويتجنب هذا المسار العملية السياسية و يجعلها حصيلة سنوية أو مشتقة من السوق، وذلك هو سبب الانتشار الهائل لهن مثل

العلاقات العامة **spindoctering**<sup>(١)</sup> وتطبيق نظم مماثلة لـ **focuogroup**<sup>(٢)</sup> على السياسة، وقد تشكلت هذه الجماعات في الواقع على منوال أبحاث السوق، مما يقود الوظيفة التي تؤديها المواطن، وإذا كان المستهلكون قادرين على تحقيق أغراضهم عن طريق ممارسة حق الاختيار كل يوم من خلال شراء السلع أو اتباع ما توحى به أفكارهم بقصد آليات استشارة وسائل الإعلام، فماذا ينبغي حقا من المواطن؟ وهل لا تزال هناك حاجة إلى تعبئة الجماعات البشرية من أجل تحقيق أهداف سياسية؟ إن هذا التطور يدمر الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها الإجراءات السياسية.

إن تأسيس علاقة مباشرة بين أولى نقطة في النظام - أولى المستهلك - وأعلى نقطة في النظام - أولى صانع القرار السياسي - لا يفسح أولى مجال لجوهر العملية السياسية وهو ما عرفه هابرماس بوصفه تنظيم "المجال العام أو العمومي" الذي يتابع فيه الناس تكوين أرائهم والتوحد من أجل تحقيق الأهداف الجماعية، وخلاصة القول إن ذلك هو كل ما فهمناه حتى الآن من السياسة في المجتمعات الليبرالية والديمقراطية وذلك هو مصدر قلقى من برنامج بلير لما يسميه باليسار الحديث؛ لأنه يلوح لى أن بلير قبل قبولاً تاماً منطق أبحاث السوق، أكثر من أولى زعيم آخر من زعماء اليسار.

ومن الواضح أن المجال ما زال متسعًا لاستيعاب تعبئة جماهيرية من نوع مختلف، فشمة إمكانية - مثلاً - للقيام بتعبئة ديماجوجية وشعوبية حول شخصيات معينة أو مشاهير يجذبون الاهتمام ويستحوذون على مشاعر جماهير ضخمة، وتعتبر حالة الأميرة بياناً أفضل مثال على ذلك. كما أنه يمكن محاولة إجراء إبرة تعبئة سياسية تتناسب مع مجتمع السوق الحرة بطريقة بيرلوسكوني (رئيس وزراء إيطاليا) الذي نظم شنونه السياسية بالطريقة نفسها، التي يحشد بها المؤيدون لنادي كرة القدم التابع له، ويفرز هذا الواقع أسلحة سياسية جديدة تماماً، ليس للجيل القديم أولى خبرة بها، وقد شرعنا

(١) الناطق باسم هيئة أو حزب أو تنظيم الذي يقدم تفسيرات للأحداث من وجهة نظر معينة (م).

(٢) عينة من السكان يتم اختيارها للمشاركة في ترويج منتج معين أو سلعة معينة قبل إطلاقها في السوق ويمكن استخدام مثل هذه الجماعات في الحملات السياسية أو البرامج التليفزيونية، لقياس مدى تجاها بتطبيق ما يسمى بالتقنية المرتبطة للسترة (م).

فقط في فهم كيف يمكن توجيه السياسة وإدارتها بهذه الطريقة الجديدة غير أن السؤال الحقيقي هو : هل لا يزال هناك مجال لما يسمى سياسة؟

إن هذا الوضع لا يؤثر على اليسار فحسب بل إنه يسدد إليه ضربة قاصمة؛ لأن سياسة اليمين المتمثلة في الحفاظ على الوضع القائم، يمكن ممارستها دون عمل جماعي كبير جداً. وفي سابق الأيام كانت هناك ظاهرة معروفة في السياسة البريطانية : فعندما كان يقف مرشح في الانتخابات المحلية ويقول : أنا مستقل ولا أنتمي إلى أي حزب ولست مهتماً بتسبييس الحكومة المحلية" فالجميع يعرف أنه مرشح الجناح اليمني، ولذلك فإن نزع السمة السياسية عن السياسة (أو ما يسمى باللاتسيسيس) يضعف بصفة آلية طاقات اليسار وإمكاناته، ومع ذلك ما زالت التعبئة الجماهيرية تحدث ومن المحتمل استمرارها في القرن الحادى والعشرين، لكن في أشكال جديدة وإذا كان أحدهم أخطأ قائلاً إن التاريخ قد انتهى فلا أريد أن اقتوف الخطأ نفسه قائلاً إن السياسة قد انتهت، ومع ذلك فإننى أعتقد أن لا تسبيس الأغلبية الساحقة من المواطنين يمثل خطرًا داهماً؛ لأنه يمكن أن يقضى إلى تعبتها بعيداً تماماً عن طريقة عمل جميع أنواع السياسات الديمقراطية، ونستطيع أن ندرك مدى خطورة هذه الظاهرة في بلدان ديمقراطية مثل الولايات المتحدة، حيث أصبح لا يشترك في الانتخابات المهمة سوى أقل من نصف أولئك الذين يحق لهم التصويت، وهو ما حدث مؤخراً في إسكتلندا، فقد كنا نظن منذ عشرين عاماً أنه يستحيل إلا يشترك في التصويت سوى ٦٠٪ من المواطنين في أول في انتخابات لبرلمان الأسكتلندي منذ ثلاثمئة عام، وهي انتخابات كان من المفترض أن تحقق الطموح التاريخي لشعب هذا البلد، وفي أول انتخابات جرت في جنوب إفريقيا أصطف الناس لعدة أميال؛ لكي يتمكنوا من الوصول إلى مركز الانتخابات. إن الانتخابات في الغرب أصبحت أكثر فاكثرة أحداثاً تثيرها الأقليات، ولا تشتراك فيها الأغلبية، على حساب نزاهة العملية السياسية. وفي الولايات المتحدة فإن الجناح المتطرف من الحزب الجمهوري - والذي كان يتكون في الأصل من الأصوليين - له تأثيره البالغ (الذى لا يتاسب مع عدده) في اختيار المرشحين وذلك؛ لأن هذه العملية تقتصر فقط على الانتخابات الأولية لاختيار مرشح الحزب والتي لا تشتراك فيها أغلبية الناخبين المسجلين في الحزب الجمهوري.

- ثمة طريقة للخروج من هذه الأزمة الديمocrاطية، كثيراً ما اغتنمها اليسار الجديد، وهي عبارة عن نوع من الاتجاه الشعبي الإعلامي، أو الاستفتاء الشعبي العام الذي يرتكز على تحالف فاوستى (إشارة إلى الفيلسوف الشهير الذى باع روحه للشيطان فى مقابل المعرفة والسلطة وجسده بعض الأعمال الفنية التى قدمها جوته وتوماس مان وغيرهما (م) مع وسائل الإعلام (الميديا).

- إن ذلك يثير قلقى؛ لأنه يمثل عنصراً آخر يتخطى العملية السياسية، وإذا كان جمهور المواطنين موضع اعتبار فعندئذ يجب أن تكون السياسة عملية تعبئة وحشد، وحتى ولو كانت رمزية، كما قد تمثل فى مجرد مغادرة المرء لمنزله؛ لكنى ب بصوته فى الانتخابات، إن نظام وسائل الإعلام (الميديا) يعمل بعيداً من الطرائق؛ لكنه يكون عوضاً عن تلك التعبئة، أى أن وسائل الإعلام تغدو تأثيرية النزعة (إن صح هذا القول) لأنه لا تؤمن بوجود مجتمع ما، إنما هناك أفراد فقط، وتقى علاقه مباشرة مع كل فرد، منزلأً بمنزل.

من الناحية التقليدية فإن العملية الانتخابية استلزمت تعبئة جماهيرية يقوم بها النشطاء؛ لكنى يتوصلا إلى الناخبين ولم يعد هذا ضرورياً اليوم، فم肯 الناحية النظرية يستطيع أى زعيم فرد أن يتحدث إلى الجميع عبر وسائل الإعلام، ومن الممكن بالفعل من الناحية التقنية أن تدل ب بصوتك من غرفة الجلوس عن طريق جهاز التحكم عن بعد، ومع ذلك فإن الأهمية الرمزية للعملية الانتخابية، التى تنشط المواطنين - ولو ليوم واحد فقط - تعد في رأى ضرورية للبقاء على المجتمع متضاعناً ولكن تعطيه الإحساس بأنه يشكل جماعة بكل ما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات، ولا أقول إن كل هذا لا يمكن الاستعاضة عنه بشيء مختلف، لكن من الصعوبة يمكن حقاً بالنسبة لشخص تربى في حقبة سياسية أخرى أن يتken بكيف يتحقق ذلك، وإننى أخشى أنه كلما تم عدم تسييس السياسة وجرت خصوصتها كلما تأكّلت العملية الديمocrاطية، لقد أصبحت السياسة تسيرها الأقليات، وينتهي بها الأمر - كما في إيطاليا - إلى أن تعتبر غير وثيقة الصلة أو غير موافقة كثيراً للحياة الحقيقية للناس، وذلك أموّع جيد لليسار أو للحياة العامة.



## الفصل الخامس

### الإنسان الكوني

- لقد تغير المشهد الثقافي وكذلك الاجتماعي والسياسي في العقد الأخير من القرن العشرين : إذ أصبح من المتسير تغيير محل الإقامة والحصول بشكل مستمر ومتواصل على المعلومات على نطاق عالمي، وغدت القدرة الاستهلاكية المتاحة للبشر على نحو لم يحلم به أبداً آباؤهم، فهل أصبحوا أكثر سعادة ؟

ما إذا كان الناس أصبحوا أكثر سعادة، من الصعوبة البالغة ليس فقط على المؤرخ بل على أي معاصر أن يقدم إجابة عن هذا السؤال، والشيء الوحيد الذي نعرفه هو أن ما أسماه جيفر سون "السعى وراء السعادة" يعد باعثاً أو حافزاً عاماً لدى البشر، في الأزمنة الحديثة على الأقل. لكن يصعب للغاية تقدير مدى نجاح هذا التطلع الطموح على أرضية الواقع، ويلوح لى أنه إذا كان الناس يعيشون في مستوى الكفاف - أي دون ضمان مكونات الحياة الأساسية مثل الطعام والملابس والملوى - فإن مجرد حصولهم على ما يتجاوز هذا المستوى يعد إنجاراً ضخماً، ويصبحون سعداء بكل بساطة عندما يعيشون في وضع يبعد عنهم الخوف من شبح الجوع.

وإذا تطلعت إلى الجيل الأول من المهاجرين إلى الولايات المتحدة، فسوف تدرك أن هؤلاء الناس اعتنقوا على وجه اليقين أنهم حسنتوا مصيرهم إلى درجة أنهم لم يعواوا

أبداً إلى موطنهم الأصلي، ومن ثم فإن نمو الثروة على نطاق شامل يجلب معه وسوف يجلب معه - بكل تأكيد - السعادة للفقراء، وقد تكون تكلفة هذه السعادة أو ثمنها هو خسارة المعايير ونظام القيم والقواعد والتطلعات وأساليب الحياة. بيد أن علينا أن تتذكر أن هذا الوضع لم يشكل - حتى في البلدان النامية - مشكلة كبرى حتى الثلث الأخير من القرن العشرين، وأنذاك فقط بدأ التموزج التقليدي الذي مارس به الناس حياتهم يواجه به تحدياً خطيراً للمرة الأولى، ولم تبدأ هذه التغيرات بعد بالفعل بالنسبة لغالبية البشر في معظم أنحاء العالم.

وإذا ما عاش المرء فوق مستوى الكفاف فإن الأمور تختلف اختلافاً كبيراً، وحتى الزيادة في الدخل أو اتساع نطاق مباحث الحياة لا يكفل بالضرورة أو بصفة آلية الإحساس بتحقيق الذات أو الإشباع، وفي عالم يمكن أن يعيش فيه الناس على الكعك بدلاً من التغذية فلا يمكن للمرء مثل هذا الوضع أن يتخلص من الضغط النابع من الحسد والمقارنة الاجتماعية، وإذا كان المرء ميسور الحال في مجتمع ديناميكي فلا يستطيع أن يتقادري وضعه بالثروة التي حصل عليها الآخرون الذين ينتمون إلى الجماعة الاجتماعية نفسها التي ينتمي إليها، حتى ولو كان المرء قد حصل على كافة تطلعاته، ومن الواضح أن هذا الوضع يقلل الإحساس بالسعادة ويزيد الشعور بعدم الأمان.

لقد حقق القرن العشرين قدرًا هائلًا من الحراك الاجتماعي والمهني، وأعتقد أن القرن الحادى والعشرين سوف يحقق المزيد، ولا يحدث هذا في نطاق جيل واحد فقط، فالأطفال أكثر تعليمًا وثقافة وثراء من آبائهم، ويرجع ذلك بصفة أساسية إلى الزيادة الهائلة في المستويات التعليمية، بدلاً من مستويات محو الأمية وصولاً إلى مراحل التعليم الثانوى والجامعى، وبعد التعليم الجامعى - خاصة - ظاهرة حديثة في مستواها الراهنة، خلا العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وللمرة الأولى في التاريخ سوف تستطيع غالبية البشر معرفة القراءة والكتابة في القرن الحادى والعشرين، وسوف تحصل نسبة كبيرة للغاية على تعليم جامعى. وفي بريطانيا يضعون الخطط؛ لكي يصل نصف الشباب من السكان إلى الجامعة في القرن الحادى والعشرين، وهذه الفرصة متاحة بالفعل لأكثر من ثلث الشباب في البلدان المتقدمة، فهل ذلك يجعل الناس

أكثر سعادة؟ وبلا أدنى ريب فإن ذلك يحقق السعادة وإن كان على المستوى الأدنى، ويتحقق إنجاز محو الأمية إشباعاً هائلاً، وكان لدى طلاب في نيويورك من أبناء الهنود في أمريكا الجنوبية، لم يكن آباءهم يعرفون حتى الإسبانية لكنهم شقوا طريقهم في بلدانهم الأصلية بتعلم المبادئ الأولية للغة الإسبانية واكتساب مهارات العمل الأساسية مثل قيادة السيارات، وقد قدموا تضحيات ضخمة لكي يتمكن الجيل التالي من الحصول على التعليم، ويتعين على القول إنه من أى وجهة نظر كانت، فإن هذه الأسر - التي ما زالت غير موسرة - تظهر جميع الأмарات التي تدل بالفعل على الاستمتاع بنوع من الإنجاز؛ لأنها أنجزت ما كان يعتقد أحدهم أنه يستحيل تحقيقه، وقد أصبحوا قادرين على اختيار أساليب حياة مغامرة لتلك التي كان مقدراً عليهم الاقتداء بها، وهذا ما يجعلهم سعداء بلا أدنى ريب.

وتحمة عنصراً آخر يتبعن أن يؤخذ في الحسبان، أى ذلك التأثير الذي أحدثه الكوارث المروعة التي اجتاحت القرن العشرين على أولئك الذين عاشوا أثنائها، ويمكن القول إن هذه الكوارث قد أفرزت على نحو متناقض وبصورة انقسامية - تقريباً - تأثيرات سيكولوجية إيجابية على أولئك الذين شاركوا فيها سواء أكانوا من المدنيين أو العسكريين، ومن الواضح أن ذلك لا ينطبق على الضحايا أو العدد الضخم من أولئك الذين تم طردهم أو اجتثاثهم من جنورهم أو جرى نبhem، لكن كان ذلك بالنسبة لأولئك الذين بقوا على قيد الحياة، وتحمة بعض الشك - مثلاً - في أن المعاناة المادية التي قاسها الروس إبان الحرب الأخيرة تفوقت إجمالاً على الإحساس بالرضا والفاخر، بأنهم كانوا أقوىاء؛ لكي يتحملوا الحرب وأن يتغلبوا عليها، وهذا الشعور الجماعي يدعم بشكل أو آخر الجماعة، وفي أيرلندا الشمالية التي اجتاحتها ما يشبه الحرب الأهلية لزمن طویل فإن مستويات الصحة العقلية للسكان أعلى منها في بقية المملكة المتحدة، والحق أنه حدث - عقب توقيع اتفاقيات السلام - صعود مفاجئ في حالات الانتحار والإكتئاب. ومن الناحية الأخرى، فإن القطيعة مع النماذج والقيم التقليدية يمكن بلا أدنى ريب تسبب في عدم الإحساس بالسعادة، ويمكن أن تكون شديدة الإيلام: خاصة عندما لا تعرف ما الذي يتبعن عليك أن تفعله، وإلى أين تذهب، ومن ستكون،

وليس من قبيل المصادفة أن العلاج النفسي - مهنة القرن العشرين - قد انتشر على نحو خاص بين جماعتين اتسمتا بحرakan منتظم وعدم يقين بالغ: اليهود والأمريكان، وفي كلتا هاتين الحالتين من الشائع للغاية أن تتلمس العون من شخص ما في وسعه المساعدة في مواجهة أوضاع لا يقدم عنها الماضي أي إيضاحات أو نماذج.

وأخيراً فإن المشكلة الحديثة والمهمة بقصد السعادة تتعلق بالمسنين الذين تتزايد نسبتهم بين السكان في العالم المتقدم، وهم في وضع ملتبس، ويحتفظون في حالات كثيرة بقدراتهم لفترة أطول من ذى قبل، وكثرة منهم ثرية وأقل اعتماداً على الآخرين؛ ولذلك، فإن قطاعاً واسعاً من كبار السن في البلدان المتقدمة أكثر رضاً؛ لأنَّه لم يعد يشارك في ساعات الازدحام لكي يكسب رزقه، ونحن جميعاً نشاهد السائحين الأمريكيين المسنِين الذين يسافرون أيام العطلات ويعيشون حياتهم كما لو أنَّ السن لم يعد يشكل عقبة تحول دون الاستمتاع بالحياة، وكان المرء في المجتمعات التقليدية في الماضي إما أن يتوفى صغير السن - نسبياً - أو إذا عمر طويلاً، يكون عادة قوى البناء ممتداً بصحَّة جيدة، واليوم؛ لأنَّ الطب والعلم يتihan لنا أن نعيش طويلاً للغاية فإنَّ عدد الضعفاء عقلياً وبدنياً في ازدياد مستمر، وذلك هو سبب شدة الحزن (عدم السعادة) وسوف يتزايد ذلك الإحساس؛ لأنَّ متوسط العمر المتوقع يسجل ارتفاعاً تدريجياً، وامتداد الحياة فيما يتجاوز التقديرات التوراتية - حيث قدرت التوراة مدة حياة الإنسان بسبعين عاماً، والتي جرت مراءاتها حتى سبعينيات القرن العشرين، من جانب أغلبية البشر - بدأ يغمر العالم مع وجود أولئك الذين بلغوا الثمانين أو التسعين من عمرهم، ومن وجهاً النظر هذه فإنَّ طول العمر لا يعد ضمانة لتحقيق السعادة.

وماذا سيكون الوضع في القرن العشرين؟

في اعتقادى على وجه الإجمال فإنَّ الحد البالغ الشديد من العمق ظواهر مثل الفقر المتقطن وتحرر البشرية من سطوة العوز وال الحاجة سيكون له تأثيره الإيجابي على السعادة.

- لقد وجد يوماً نزوع لدى النخب في كل أمة إلى المشاركة في ثقافة "عالمية" أو "كونية"، لكننا اليوم، نواجه شيئاً جديداً تماماً : عملية تسعى إلى جعل الثقافات متماثلة على نطاق الكوكب الأرضي بأسره، الانتشار الكوني لثقافة شعبية جماهيرية، وقد أشرت أنفأ إلى أن ٩٠٪ من الأفلام التي تتم مشاهدتها في العالم من إنتاج أمريكي (باستثناء لا يستهان به للهند واليابان). ويصدق الشيء نفسه على موسيقى الروك : وتعود كرة القدم مثلاً صارخاً : فئنا من المعجبين بفريق إيطالي لكرة القدم لا تكاد تجد فيه سوى لاعبين اثنين من الإيطاليين.

أسباب ذلك بعضها تكنولوجي وبعضها اقتصادي، ومن الجلى أن اختراعات القرن العشرين مثل التصوير والسينما والإذاعة والتليفزيون والاستنساخ الآلى للصوت كانت لها أهميتها البالغة، وتعاظمت هذه الأهمية بالتطورات التكنولوجية الأحدث التي تستمر في توليد الآثار ولا سيما من خلال تصغير الآلات والمعدات والأجهزة، مما جعل هذه التكنولوجيا قابلة للنقل والحمل وأن تغدو متوافحة في كل مكان، كما أن انتشار الإنترنط له مغزاً؛ لأنّه يجعل نطاقاً واسعاً من التكنولوجيا في متناول الجميع، بيد أننا ينبغي أن نتذكر أنه في نهاية القرن العشرين فإنّ أقلية ضئيلة هي التي تتعامل مع الإنترنط برغم ما تشهده من توسيع سريع، ويقاد ينحصر استعمالها حالياً في الولايات وأوروبا والسبب الأساسي في ذلك إلى جانب أسباب أخرى هو أن الشرط المسبق للوصول إلى شبكة الإنترنط يستلزم معرفة القراءة والكتابة والإلام باللغة الإنجليزية في أغلب الأحيان.

ثم هناك الجانب الاقتصادي: فنمو السوق العالمية جعل الاتصالات السريعة ممكنة لدرجة أن برنامج التليفزيون نفسه أو الفيلم نفسه يمكن بثه على نطاق العالم بأسره في الوقت نفسه، مما عمل على تحويل البرامج المذاعة على الهواء مباشرة - مثل مباريات كرة القدم - إلى ترفيه دولي حقيقي، حيث لم تعد الفرق الرياضية مرتبطة ببلد معين وأصبح ارتباطها أقل كذلك بمدينة معينة، وهناك تجمع دولي من اللاعبين الذين تم اختيارهم وانتقالهم حول العالم بأسره بطريقة كانت تحدث في الماضي فقط بالنسبة لنجمو الأوبرا وكبار قادة الفرق الموسيقية، ولا يوجد أفضل من كرة القدم؛ لكي يصوروها

العولمة في العقد الأخير من القرن العشرين. بيد أن ثمة اختلافاً بين الثقافة التقليدية الرفيعة التي سادت القرن التاسع عشر والثقافة الجماهيرية الحديثة، ولترك الرياضة جانبياً؛ لأنها بحكم طبيعتها ذاتها موحدة القواعد إلى حد بعيد، فالثقافة التقليدية تنتشر عبر نموذج أوروبي جرى تقبله وتبنيه على نطاق عالمي، ومن ثم أصبح معولاً : فالحفلة الموسيقية (كونسير) سوف تقدم الرصيد التاريخي نفسه من الأعمال الموسيقية (الريبيرتوار) أو الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية في أوزاكا أو شيكاغو أو جوهانسبروج، ولا يصدق هذا على الأدب بسبب وجود قيد بالغ القوة مفروضة على العولمة: الاختلاف اللغوي، وحتى الأدب الكلاسيكي الذي أنتجه القرن التاسع عشر لم يصبح معولاً أبداً بالطريقة نفسها التي حدثت للموسيقى والفنون المرئية، فهناك قلة من البشر خارج إيطاليا تفكرون عميقاً قبلها أن دانتي أعظم الشعراء؛ لأنها لم تستطع البتة قراءة أعماله كما أن الروس وأولئك الذين يقرأون اللغة الروسية هم الذين يعتقدون فقط أن بوشكين من أعظم الشعراء الذين وجداً على ظهر البسيطة.

ومن الناحية الأخرى، فإننا نواجه انتشار التوفيقية في الثقافة الشعبية السائدة في نهاية القرن العشرين، ويتمثل أوضح مثال على ذلك في الموسيقى الشعبية التي تستوعب عناصر شتى من موسيقى السود الأميركيين والريف الغربي الأميركي والويسترن وأمريكا الجنوبية، وأخيراً من الثقافات الإفريقية والهنديّة - وباختصار - من كل شيء، وهناك مجموعة ممتلئة من جميع الموروثات الموسيقية المختلفة ت ATF حول العالم، فالثقافة الشعبية الكونية هي ثمرة هذا الاستعداد لمزج عناصر مختلفة مستمدّة من شتى بقاع العالم، ولكن الثقافة الرفيعة لا شراك في هذه القوة الدافعة، وثمة مشكلة أخيرة بخصوص العلاقة بين الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية، فالثقافة الشعبية يشتراك فيها الجميع بما في ذلك، أولئك الذين يألفون الثقافة الرفيعة، لكن العكس ليس صحيحاً حتى لو كنت تحب موزار، فسوف تتألف بلا أدنى ريب موسيقى الدول وستكون قد استمعت إليها وربما استمتعت بها أيضاً، ولهذا السبب فإن الأيقونات العالمية مصدرها الثقافة الشعبية، وقد لا تشكل حتى جزءاً شديداً للاتصال بها، ويمكن أن تكون أيضاً

أشياء جامدة (غير حية) وعندما اخترع اندى ورهول Andy Warhol<sup>(١)</sup> - أحد فناني القرن العشرين البالغ الحساسية لمعنى الثقافة الشعبية - المجموعة الشهيرة من الأيقونات العالمية فإنه اختار مارلين مونرو وماوتسي تونج وتشسي جيفارا، وعلبة صفيح الشوربة المسماة "كامبل" وغدت هذه المحاكاة الرمزية (إعداد الأيقونات) ممكنة بفضل إتاحة هذه الصور بشكل متزامن على نطاق الكرة الأرضية، ولكن إلى أى مدى ستكون دائمة؟ اعتقد ورهول نفسه أن غالبية هذه الأيقونات ستكون مؤقتة، ونستطيع أن نيلور حكمًا انطلاقًا من الأثر الكوني الفريد لشخصيات مثل ديانا، ويتراءى لي أن الأحداث التي أحاطت بموتها ستكون بعد انقضاء خمسين عامًا مجرد حاشية مثيرة للاهتمام ولن تمثل فصلاً من فصول تاريخ الثقافة الشعبية في القرن العشرين.

- لكن وب رغم انتشار ثقافية كونية جماهيرية، هناك مقاومة جلية وحتى إحياء لثقافات قومية وإقليمية ومحلية، ولماذا يريد سكان ويلز الذين - من حسن الصدف - يتكلمون الإنجليزية في نطاق عالم يتحدث الإنجليزية، لماذا يريدون إعادة اكتشاف اللغة الويلزية؟ ولماذا تريد الفتيات المسلمات اللاتي تعيش في لندن ارتداء ملابس الجدات عندما تذهبن إلى المسجد؟ وفضلاً عن هذا فإنه يلوح أن العولمة نفسها تتمى التنويع والاختلافات الثقافية مثلاً تتبع الفرص السوقية التي تدر أرباحاً، برغم توجهها إلى أسواق معينة.

- لا أعتقد أنه ثمة مفارقة بينها ولا تناقض، أولاً لا أرى أى أمارات مقنعة تدل على أن الثقافات المحلية في الوقت الراهن تقف موقفاً مناوئاً بشدة للعولمة، وهناك بعض حالات محدودة من هذا النوع، ولكن ليس على نطاق كبير وإلى حد بعيد، وما يحدث عادة بين الجماعات المهاجرة هو استيعاب الغرب لها على نحو متزايد، مع الإبقاء على التقاليد والممارسات الأصلية للأجيال الأقدم، وما زال هذا هو رأيي، فقد جنح

(١) (١٩٣٠ - ١٩٨٧) فنان أمريكي بدأ حياته كفنان تجاري ثم أصبح من أبرز أعمال الفن الذي أصبح يسمى "البوب" pop art وحقق شهرة واسعة في هذا المجال خلال ستينيات القرن العشرين ثم اتجه إلى السينما فقدم عدة أفلام اشتهرت بطولها المبالغ فيه (م).

الجيل الأول من المهاجرين إلى أن يتکيف قدر الإمكان مع المجتمع الجديد، ولكنه اضطر في الوقت نفسه إلى الإبقاء على صلة ما بالورثة؛ لأن جميع روابطه وخبراته لا تزال متجردة في المجتمع الذي جاء منه، ولهذا فإن درجة الاستيعاب تكون ضئيلة نسبياً، ويكون أطفال الجيل الأولى أكثر وأسرع تمثلاً واستيعاباً، وشباب جزر الهند الغربية أو الهند أو الباكستانيين الذين يعيشون في لندن يتحدثون الإنجليزية تماماً مثل معاصرיהם دون أدنى تبرة من لفتهم الأصلية، ومع ذلك فإنهم يمكن أن يصبحوا من المجاهدين الأصوليين الإسلاميين.

وأعتقد أن الاتجاه السائد مازال ينزع إلى الاستيعاب، ليس كمثل أعلى لكن بوصفه ممارسة تفرضها المعيشة في مجتمع مختلف عن المجتمع الأصلي، وربما بدأ الجيل الثالث في التنمية رد فعل مناصر للعودة إلى الجنور وهو وما اكتشفه الأمريكيون في ستينيات القرن العشرين، عندما تم اختراع مجموعة جديدة من المفردات المستمدة من ثقافات متعددة، وعندما لم يرحب الشباب في أن يكون مجرد أمريكي بل أمريكي أسود أو أمريكي يوناني أو أمريكي إيطالي، واكتشف من جديد الجيل الثالث من اليهود الأمريكيين الأرثوذكسيين الدينية، ومع ذلك، لا أميل إلى الاعتقاد بأن هذا يمثل رد فعل عام ضد العولمة، ومن الحقيقة أن اليهود الأمريكيين المتطرفين ذهبوا إلى الصفة الغربية وعدلوا بعض جوانب ممارساتهم الدينية، لكنهم استمرروا يسلكون مثل بقية اليهود الأمريكيين في جميع سبل الحياة الأخرى. وبمعنى آخر، فإن الاستيعاب يسود أو يجنب لأن تكون له الفلبة، ويصدق الشيء نفسه على العادات والأزياء، وإذا نهبت إلى جماعة من المهاجرين في مدينة متعددة الأعراق فسوف تجد عدد الأشخاص الذين يرثون بطريقة مختلفة عن قصد وعمد مثل اليهود الأرثوذكسي، إنما يمثّلون أقلية، وهذا حقيقة أيضاً عند اليهودية : وليس الأصوليين فقط هم الذين يمكن أن يرثوا الرموز الخارجية للأصولية.

وفي رأيي، أنه من الأرجح لا يعتبر ذلك رد فعل مناهض للعولمة بل هو نوع من الجمع التلفيقي بين ثقافات عدة مثل أفلام الكونج فو(المصارعة الصينية) التي تنتج في هونج كونج، حيث تجمع بين أشتات من الويسترن والمصارعة الصينية التقليدية

وممارسات أخرى عديدة، وبهذه الطريقة تتم تنمية وصهر عدة أشكال محلية متغيرة من ثقافة كونية، بدلاً من أن تتصادم فيما بينها، وإن رد الفعل المناهض لتماثل الحياة في بلدان مثل الولايات المتحدة يعبر عن نفسه بدلاً من ذلك من خلال تكوين جماعات الهوية، التي تفرز أساليب حياتية معينة كثيراً ما تكون ذات طابع غريب شاذ مثل جوالة العصر "العصر الجديد"<sup>(١)</sup> وتعتبر تلك بمثابة تجمع من رويد الأفعال الفردية وليس رويد أفعال جماعية.

ومن الواضح حقاً أنه يتبعن وجود قدر من رد الفعل، إن لم يكن فقط بسبب بلبة (بابل) اللغات في العالم التي تعد قيادةً أساسياً مفروضاً على العولمة، وإن زيادة التعليم ومعرفة القراءة والكتابة سوف يجعل هذه المشكلة حادة على نحو خاص من أجل تماثل العالم، وال فكرة القائلة إن العالم قاطبة سوف يتكلم اللغة الإنجليزية تبدو لو فكرة يوتوبية ولن تتحقق، وبعد تعدد اللغات - بحكم تعريفه - عقبة في وجه العولمة، ويجب ألا تختلط علينا الأمور : فالعولمة وهي ظاهرة حقيقة وواسعة الانتشار باللغة الاختلاف عن الكوزموبوليتية (المواطنة العالمية) التي مازالت محدودة للغاية.

- إن أنت لا تتفق مع ما كتبه عالم الاجتماع أنتوني جيدنس **A. Giddens** قائلاً : إن الصدام بين الاعتماد على الموروث والاستقلال الفردي هو أحد قطبي العولمة، وهناك في القطب الآخر صدام بين الكوزموبوليتية والأصولية ويزعم جيدنس أن الأصولية ولidea العولمة: لأنه من غير الممكن للمرء أن يكون لديه أى مبرر للعيش، ما لم يكن لديه ما يستحق أن يموت من أجله .

- لا أعتقد أنه توجد أى صلة بين العولمة والأصولية، باستثناء حقيقة أن أى شيء يفسد التراث ويقلبه رأساً على عقب له بعض التأثير على الأصولية، ومن بين أن العولمة هي أحد هذه الأمور، والحق أن رد الفعل الأصولي أقل شيوعاً على وجه الدقة في تلك البلدان التي غدت أكثر عولمة، والأصولية هي رد فعل مناهض لكل ما يأتي من العالم الخارجي، وما إذا كان معولاً أو لا فذاك أمر قليل الأهمية.

(١) جماعات تعيش على هامش المجتمع وفقاً لأسلوب حياة غير تقليدي جوال ومتقل وتقسام بعض النزعات الروحية والصوفية وحماية البيئة والدفاع عنها، محاولة تقديم نهوج جديدة للثقافة الغربية التقليدية (م).

والسؤال عما إذا كان يوجد ما يستحق الموت من أجله لا علاقة له أيضاً بالعولمة، وإنما يتعلق بتدور القيم الجماعية في نمو مجتمع فردي التزعة إلى حد بعيد، وأنهن أن الحرب في كوسوفا قدمت المثال المتطرف، وقد مورست باسم أسمى القيم الأخلاقية وارتكتزت في الوقت نفسه على أساس لا يموت جندي واحد من حلف الناتو في ظل أي ظروف، وهو يختص أساساً بالولايات المتحدة التي ربما كانت البلد الوحيدة في العالم، التي يتوقع أن يقوم جنودها بالقتل دون أن يتعرضوا لخطر الموت، ولكنني أعتقد أن الناس لا تنقصها الوعي والأسباب التي تجعلها على استعداد للموت في بقاع كثيرة من العالم، وقد احتفى بعضها ومازال مثل الأسباب الجيدة التي تدفع للموت لكن ما زال هناك الكثير من الأسباب السيئة وهي قوية كما كانت من قبل، وتدل السرعة التي اندفع بها المهاجرون الألبان إلى كوسوفا للالتحاق بحرب العصابات على أنه ما زال يوجد أناس كثيرون على استعداد لتعريض حيواناتهم لخطر حقيقي، والمثال الأخير لصراع واسع النطاق كان الناس على استعداد للموت من أجل القضية تمثل في الحرب الإيرانية العراقية، وفضلاً عن هذا، فإنه يمكن توقع حرب في المستقبل بين الصين والولايات المتحدة قد تحمل الأميركيين على قبول مخاطر المعركة تماماً كما فعل آجدادهم وأباء آجدادهم.

وتضفي فترة السلم المتدهرة طويلاً طابعاً جذرياً أو راديكالياً على السلوك وتقسم الناس إلى مجموعتين : مجموعة على استعداد للتعرض للخطر - وليس بالضرورة في القوات المسلحة - ومجموعة أخرى ترفض المجازفة، وعلى سبيل المثال، هناك اليوم عدد متزايد يمارس أنواعاً متطرفة وخطرة من الرياضة تتطلب على احتمال أن يفقد المرء حياته، وهناك من يقبل المشاركة في القتال كنشاط مهني مدفوع الأجر، ومن الناحية الأخرى، خلق السلام الدائم أغلبية كبيرة هادنة في البلدان الثرية، تعتبر أن مفهوم الموت من أجل قضية ما لا يحجر التفكير فيه ملياً، ومع تضاؤل التجنيد العام الإجباري من المقدر أن يتواصل هذا الموقف، وليس من اليسير تخيل كيف يمكن أن يتغير هذا، أو ما إذا كان ممكناً العودة إلى واقع القرن العشرين، حيث جعلت الحروب كل فرد يواجه سؤال الموت إما في منزله تحت وقع القنابل أو على جبهة القتال، ويصدق هذا على

العالم الغربي المتقدم والهادئ، ولا يعني ذلك أن أماكن أخرى تفتقر إلى من هو على استعداد لكي يموت من أجل قضية ما لأن هذا يعتبر - إلى حد ما - جزءاً متأصلاً في الطبيعة البشرية.

- عن معظم الروابط التقليدية التي تربط الفرد بواقعه قد ضعفت مع العولمة مثل الولاء للأسرة والقرية والمجاورة والشركة، ويتغير على الشباب الأمريكي الذي يبدأ الآن حياته العملية أن يتوقع تغيير الشركة التي يعمل فيها حوالي عشر مرات وكذلك المهنـة التي يمارسها، والمنافسة تقضي إلى ضغوط نفسية وعصبية بالفـة والحسـد الـجتماعـي يـبتـئـيـ المستـويـاتـ العـلـياـ

في المجتمع.

- دعـنا ألا نخلـطـ بينـ أمـورـ مـخـتلفـةـ :ـ العـولـةـ وـالـقطـيعـةـ معـ أـسـالـيبـ الحـيـاةـ التقـليـديـةـ،ـ والـجـانـبـ الـوحـيدـ منـ هـذـهـ القـطـيعـةـ الـذـىـ يـمـكـنـ أـنـ تـكـونـ لـهـ صـلـةـ مـباـشـرـةـ بـالـعـولـةـ هـوـ عـدـمـ توـفـرـ الـأـمـنـ لـلـعـمـالـةـ؛ـ لـأـنـ مـنـ الـمـفـتـرـضـ أـنـ تـجـبـرـ العـولـةـ الشـرـكـاتـ عـلـىـ تـبـنـىـ مـرـونـةـ أـكـبـرـ فـيـمـاـ يـتـعـلـقـ بـالـقـوـىـ الـعـامـلـةـ لـكـنـ حـتـىـ هـذـاـ -ـ وـفـىـ مـعـظـمـ الـحـالـاتـ -ـ لـاـ يـرـجـعـ إـلـىـ التـنـافـسـ الدـولـىـ،ـ فـعـدـمـ توـفـرـ الـأـمـنـ لـلـعـمـالـةـ هـوـ إـسـتـرـاتـيـجـيـةـ جـدـيـدـةـ وـتـكـنـيـكـ لـتـعـظـيمـ الـأـرـبـاحـ عـنـ طـرـيـقـ تـقـلـيلـ الـاعـتـمـادـ قـدـرـ الإـمـكـانـ عـلـىـ الـعـمـلـ الـبـشـرـىـ أـوـ مـنـ خـلـالـ دـفعـ أـجـورـ أـقـلـ لـلـعـامـلـينـ،ـ وـفـىـ الـاقـتصـادـ الرـأـسـمـالـىـ الـحـدـيـثـ فـإـنـ الـعـامـلـ الـوحـيدـ الـذـىـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـزـيدـ إـنـتـاجـيـتـهـ بـسـهـولةـ كـمـاـ لـاـ يـمـكـنـ تـخـفـيـضـ تـكـلـفـتـهـ بـيـسـرـ هوـ الـكـائـنـ الـبـشـرـىـ،ـ وـلـذـكـ هـنـاكـ ضـغـطـ هـائـلـ لـاـسـتـبعـادـهـ مـنـ الـعـمـلـيـةـ الـإـنـتـاجـيـةـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ حـقـيقـيـاـ سـوـاءـ وـجـدـتـ أـمـ لـمـ تـوـجـدـ مـنـافـسـةـ عـالـيـةـ.ـ وـبـالـأـصـحـ إـنـ هـذـاـ هـوـ الـعـنـرـ الـذـىـ تـبـرـرـ بـهـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ حـالـيـاـ،ـ وـحـدـثـ مؤـخـراـ جـداـ أـنـ قـرـرـ مـصـرـ إنـجـليـزـىـ تـحـمـيلـ زـيـانـهـ خـمـسـةـ جـنيـهـاتـ عـنـ كـلـ عـلـمـيـةـ تـتـمـ بـمـعـرـفـةـ موـظـفـيـ الشـبـاكـ فـيـ الـفـروعـ،ـ وـقـدـ عـدـمـتـ الإـدـارـةـ إـلـىـ ذـلـكـ لـأـنـهـاـ لـاـ تـرـيدـ فـيـ الـوـاقـعـ أـنـ يـتـجـهـ الـزـيـانـ فـيـ مـعـاـلـمـتـهـمـ إـلـىـ موـظـفـيـ الشـبـاكـ كـمـاـ تـسـعـىـ إـلـىـ إـقـفالـ بـعـضـ الـفـروعـ،ـ وـتـفـضـلـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ الـزـيـانـ فـيـ مـعـاـلـمـتـهـمـ بـأـجـمـعـهـ الـأـجـهـزةـ الـأـوـتـومـاتـيـكـيـةـ،ـ وـبـاـخـتـصـارـ فـيـهـاـ تـرـيدـ إـتـامـ الـعـلـمـ بـوـنـ تـدـخـلـ مـنـ موـظـفـيـ الـمـصـرـفـ،ـ وـهـذـاـ قـانـونـ حـدـيـدـيـ

للانتاج الرأسمالي في حد ذاته ولا يتعلق بالمنافسة العالمية، وإن المصارف سوف تعمل على تخفيض عدد موظفيها، إذا كان التشغيل الآلى (الثقافية الآلية) يسمح بذلك، بصرف النظر عن أي منافسة تأتى من مصرف في هونج كونج.

ويتعين علينا أن تكون قادرین على التميیز بين الأمور، وإن كان من الحقيقة بلا أدنی دیب أن هذا سیکن إحدى المشاکل الكبری التي ستواجهه القرن الحادی والعشرين، ونمیلاليوم إلى أن نتقبل كأنم قاطع أننا لم نعد في احتجاج إلى الحوافز التقليدية التي أبقت من قبل المجتمعات البشرية معاً كما عملت - أيضاً - على تسیر عجلة الاقتصاد، وخیر مثال لها هو الأسرة وقيمة العمل، وقد اعتبر آدم سمیث الدافع على الاقتصاد السوق الحرّة لا يمثل فقط حاجة نفسیة مسلماً بها لتبادل السلع - بیعاً وشراءً - بل يعد أيضاً نزوغاً نموذجياً للإنسان صوب العمل وحسن استعداده يجعل الإشباع الفوری الذي يحقق له العمل يأتي في المرتبة الثانية من الأهمية وبون هذا الموقف فإن جوانب كثيرة من السوق لن تكون قادرة على العمل إطلاقاً.

وهذه الرکائز التي ينهض عليها مجتمعنا حطمته الثورة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي اجتاحت الجزء الأخير من القرن العشرين.

ومما يذهبنى عدم إيلاء الاهتمام الكافى لحقيقة أن هذه الآثار يمكن أن تحطم السير الفعال للنظام الرأسمالي نفسه، وعلى سبيل المثال فإن حياة شركات كثيرة نهضت في الماضي على أساس القبول العام لقيم التضامن والروابط الأسرية، وهو ما زال حقيقةً في إيطاليا وأعمالها التجارية الصغيرة المسماة "المعجزة"، وما زال يصدق أيضاً على الدياسبورا الصينية المقدمة (المولعة بالغمارة) والمفعمة بالحيوية التي تعيش في جنوب شرق آسيا، فالتضامن الأسرى في هذه الحالات يوفر مورداً يعتمد عليه في الحصول على الكوادر الذين هم على استعداد للمشاركة في اهتمامات الشركة، وحيث تعتبر مشاعر الالتزام والواجب لديهم غير مفروضة من الخارج، لكنها مدونة بشكل أو آخر في بستورهم الأخلاقي، ويلوح لى اليوم أن الفكرة التي تکسب أرضاً - في حقبة السوق الحرّة هذه - هي أن هذه النهاية القديمة لم تعد مهمة، وإنه يمكن نبذها بون أن يتربّ على ذلك أي عواقب، وإنه يمكن إدارة الاقتصاد كليّة دون الإفاده منها.

ويعتبر ولاء العمال لشركاتهم أو ولاء الإدارة للشركة لا تأثير له، ويعتقد أنه من الممكن تماماً أن يتعايش نجاح الشركة مع عدم توفر الأمان بشكل دائم ومع التغير والتبدل المستمر في استخدام الشركة.

وهناك خصائص أخرى لهذا الاتجاه، فمن المفترض حالياً أن الإنسان لم يعد مستعداً للانتظار لكي يحصل على مكافأة أو جزاء عن كبحه عمله أو مشروعه التجاري، وأنه يقتضي الحصول على إشباع فوري، ولم يعد أحد يستثمر في تكوين شركة جديدة تعمل في غضون عشر سنوات في أقرب تقدير وتبداً في تحقيق أرباح بعد عشر سنوات أخرى، ويتمثل المنطق الوحيد للاستثمار الصائب حالياً في الاشتراك فيما يثمر عائداً فورياً، ومن الأكثر شيوعاً في الواقع شراء شركات قائمة بدلاً من تأسيس شركات جديدة، وفي هذه الأيام الجيدة لعمليات المضاربة المالية الدولية فإن الناس لا يقدرون نتائج نشاطهم التجاري في نهاية عقد من الزمان ولا حتى في نهاية السنة، فمدى نجاح أي استثمار يجري احتسابه يومياً وربما حتى ساعة بسبعين، والسؤال هو: إلى أي مدى تستطيع الرأسمالية أن تعمل بطريقة العمل الاقتصادي المعينة هذه؟ وبالنسبة لشخص مثلّي أتي من جيل آخر فإنه يشق عليه أن يقدم إجابة عن سؤال كهذا، وفيما يتعلق بالكثير منا فإن فكرة عدم توفر أي قدر من الأمان لما قد يحدث غداً تعد مفزعة وغريبة تماماً وكثيرة، وربما سيغدوا من الممكن أن تتكيف الأجيال القادمة مع هذا النظام وتعتبره عادياً، لكن إذا ما أفلحت في ذلك فإن الثمن سيكون قدرًا من الضغط العصبي والتوتر المرعب، ولا يساورني أدنى شك في ذلك، والأمر غير الواضح هو ما إذا كان من الممكن تحمل هذا الوضع مع استدامته لأجل طويل.

ومن رأيي أنه ثمة أنشطة يتعدّر تنظيمها بهذه الطريقة على الإطلاق أي على أساس الحصول على أكبر تعويض ممكن وعلى الفور ويقول آخر، وفقاً لقواعد السوق التنافسية، والعلم هو أحد الأمثلة على ذلك. وإن أحد الأسباب التي تزيد كربلي وغمي إزاء المستقبل هو ما إذا كان العلم - الذي اعتبر أحد الأشياء القليلة النادرة التي قاومت قطبيعة هذا النظام مع القيم التقليدية - سوف يتغير أيضاً مع الواقع الجديد، وبعد العلماء في أمريكا من بين القلائل الذين لا يكون الدافع إلى نشاطهم على وجه الحصر هو توقع

الحصول على الربح الأقصى، ويتمثل خطر الثورة البيولوجية والجينية في أن العلماء يدركون مقدار النقود التي يمكنهم كسبها فيما لو انضموا أكثر مما ينبغي إلى هذا المنطق، وهل سوف يتمتهم تماماً النسق الذي تعمل بموجبه السوق المالية بالفعل؟ وإذا حدث هذا وعندما يحدث فإن العواقب يمكن أن تكون مهمة لدرجة أنه يستحيل حالياً حتى محاولة تخيلها، وهو ما قد يصدق أيضاً على تمويل البحوث العلمية، والذي تم فيه معظم الأوقات في الماضي دون أن يؤخذ في الحسبان حساب الربح والخساره، وهناك بحوث مثل تلك التي تجريها المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية (c e r n) تستغرق سنوات ولا تستهدف تحقيق ربح فوري أولاً تتم لمتطلبات عسكرية، لكن لأن الحكومات اعتبرت ذلك بمثابة أحد جوانب التنافس العالمي بين الدول، غير أنه إذا كان معيار التنافس الدولي هو تحقيق أقصى قدر من الأرباح فهل ستكون هناك حاجة بعد إلى هذه المنظمة (c e r n).

وأميل إلى الظن بأن هذا الواقع الشديد بقيم السوق لن يوم، وهو نسق يمكن أن يعمل على خير ما يرام بالنسبة لبعض أنواع الأنشطة مثل أعمال المضاربة المالية أو الصناعة الترفيهية، وإذا نظرنا إلى النجاحات الكبرى التي حققتها عمليات التصنيع في نهاية القرن (اليابان، كوريا، الصين) فسوف نرى أنها لم ترتكز أبداً على إلغاء الروابط بين الشركة والعمال، والحق أنتي أعتقد - وعلى أقل تقدير - طالما ظل البشر لاغنى عنهم في العملية الانتخابية ولم يتم استبعادهم كلية منها فسوف يستحيل تقريراً استبعاد أهمية إحساسهم بالرضى ومراعاة دوافعهم وبالتالي مشاعرهم الجماعية مثل الولاء للأسرة والجماعة والشركة والدولة.

- إن الحاجة الملحة إلى التحقق الذاتي واستبعاد جميع ضروب المعاناة أفسحت المجال لتدفق مستحضرات تجميل جديدة، ولم يعد يكفي أن يكون المرء في صحة جيدة ويعتمد على نظام صحي فعال، فنحن نريد أيضاً أن نظل نشطاء جنسياً بعد تجاوز مرحلة الشباب والاقتراب من الشيخوخة، ومن ثم نحتاج إلى الفياجرا، ولم نعد نبغي الحزن والكتبة أو فتور الهمة ولهذا تتجه إلى تعاطي البروزاك Progac (دواء مضاد للاكتئاب) ونريد أن تكون من النحفاء دون وجود "الكرسن" ولذلك نتعاطى الأقراص التي تزيل

الدهون أو تنغمس في نظام غذائي (رجيم) مفرط لدرجة أنه قد يتسبب في إحداث أمراض جماعية جديدة، مثل نقص الشهية للطعام (Amorexia) أو الشر المرضي "بوليميا" (Bulimia). . فهل تعتقد أنها نخاطر بایجاد أشكال جديدة من التمييز، لم تعد ترتكز على الإبراد وإنما على البدانة أو القبح أو الخجل أو عدم الاهتمام بالجنس؟

- أعتقد أن هذه المشاكل مقصورة على البلدان الثرية، ولا أظن أنها تقلق التأمين (سرى لأنكا) أو الألبان بدرجة كبيرة، ومع ذلك فإنها مشكلة جديرة بالنقاش، وإمكانية الحصول على هذه الأنواع الجديدة من العلاج سوف تتوقف على التكاليف، والسبب الذي يجعل الناس يفكرون في التمييز إزاء أنواع معينة من المرضى من أمثال نوى الوزن الزائد أو المدخنين في نطاق العلاج الطبي المجاني، هو سبب يتعلق بالتكلفة، ويجب على النظام الصحي العمومي أن يحدد استخدام بعض الأنواع مثل الفياجرا، كما حدث في بريطانيا، وفضلاً عن هذا هناك حالات نادرة للغاية قد تبرر توزيعه مجاناً على أساس طبي، والمشكلة في المجتمعات الديمocratique هي أن أي فرد يستشعر رغبة ما - مثل أن يكون أكثر قوة من الناحية الجنسية - فإن ذلك يخلق حقاً في العلاج الطبي، ومن ثم فهناك ضغط هائل من الرأي العام.

وثمة مثال جيد آخر يتعلق بالإيدز (AIDS) ولسنوات عديدة في الولايات المتحدة، حيث لم يكن المرض بالغ الانتشار ولم يمثل حالة طوارئ صحية خطيرة، فإن جماعات الضغط التي اهتمت بهذه القضية كانت باللغة الفعالية في استرعاء اهتمام عام واسع النطاق وفي تحصيل موارد مالية ضخمة، ومن الناحية الاجتماعية كانت هناك شرور اجتماعية كثيرة استحقت على الأقل مثل ذلك الاستثمار والبحث، والآن حيث أصبح الإيدز حقاً مشكلة جماهيرية في إفريقيا فإن الموقف مختلف والاهتمام متدنى ويرجع ذلك جزئياً إلى عدم وجود مجتمعات ديمocratique وجماعات ضغط في إفريقيا.

بيد أن الأمر الأكثر أهمية - في الإجابة عن السؤال المطروح - يتعلق بتحليل كيفية تشكيل أنواع التسلسل الهرمي (التراتب) الاجتماعي، ونستطيع أن نتبناً على وجه اليقين بأنه كلما أصبح العالم أكثر ثراء كلما قلت المساواة بما في ذلك المساواة

السياسية والقانونية، وقد تأسست النظم المناصرة للمساواة بين البشر - أى النظم الاشتراكية - كما فى روسيا وصين ماوتسي تونج، على حقيقة أن كونها من البلدان الفقيرة فلن توجد آليات تعمل على إنتاج طبقة ثرية، ومن الطبيعي أن توجد أقلية تعيش حياة أفضل من بقية السكان حتى فى الاتحاد السوفيتى وبدرجة أقل فى الصين. ومع ذلك، فإذا ما تمت مقارنة معايير الثراء هذه بما يوجد فى الغرب فإنها تتبع تافهة بل مثار سخرية وضحك، ويعتبر "الداشا" - البيت الريفي الروسي الذى يعود إلى ستالين أو إلى عضو فى *momenklatura* السوفيتية - رمزاً للمكانة الاجتماعية الرفيعة لكن أى مهنى ثرى نسبياً فى ميلانو مثلًا يمتلك منزلًا ثانويًا أكثر جمالاً يقع على بحيرة كومو(بحيرة فى جبال الألب شمال إيطاليا "م").

وفي البلدان الغنية حيث يكون الاقتصاد مطلق العنوان من الناحية العملية، فإن تنوع الإيرادات ضخم للغاية وفي طريقة الإزدياد يوماً، وكم عدد المليونيرات فى إيطاليا أو فى فرنسا أو بريطانيا العظمى؟ وإن عدد أولئك الذين يمتلكون أصولاً إجمالية تبلغ أو تتجاوز المليون دولار كبير للغاية حتى فى أوروبا، ولو أن معدل النمو لا يماثل المستويات الأمريكية. ومن الناحية الأخرى، فإن المزايا التى تتحققها الثروة الضخمة لم تعد واضحة كثيراً، ويرجع السبب الأساسى إلى أن السلع والخدمات المتاحة للجميع غدت معقدة تقنياً ومنتشرة لدرجة أن الاستمتاع بها لا يميز بين الغنى الفقير، وعندما يمتلك أكثر من ٩٠٪ من السكان أجهزة تليفزيونية فإن ميزة الحصول على شاشة عملاقة شديدة الوضوح أقل أهمية نسبياً من حياة التليفزيون عندما كان ذلك الامتياز لا تحظى به إلا القلة القليلة، وهكذا، حتى رموز الثروة تتغير، ويتمثل اليوم رمز المقام الرفيع للغنى حقاً فى امتلاك طائرة خاصة، وذات مرة أوضح لي أكاديمى أمريكي - مهمته جمع التبرعات لجامعة - أسرار مهنته قائلاً : "أولاً، عليك أن تحب الآثرياء، وثانياً، أن تعرف ما يجب أن تتحدث به اليوم، ومن المؤكد أن الموضوع الذى يشير اهتمامهم هو طائرتهم الخاصة".

ويتمثل السمة الجديدة حقاً للتباين الذى خلقتها الثروة فى أن المزايا والمنافع التى تحدد وضع الأغنياء يجب أن تكون مقصورة على فئة واحدة حصرياً، والآثرياء فقط

هم الذين يعرفون أين يذهبون لقضاء العطلات؛ لأنهم يوجدون وحدهم هناك، في حين أن أحد الأسس التقليدية للتراث الاجتماعي تمثل بوجه عام في إمكانية أن يراه الجميع ويتعرفون عليه ويقدرونه، وبهذا المعنى فإن الثروة تحقق اليوم قدرًا أقل من الرضا والإشباع، وفي الماضي - مثلاً - وجد ارتباط ضخم بين كون المرء غنياً وكونه موفور الصحة وحسن المظهر، وكانت الطبقة الحاكمة من ملوك الأرض الإنجليز أكثر طولاً وقوه وأبهى منظراً، بيد أن هذا التميز ينوى تدريجياً أيضاً ومع ذلك، فإنني أعتقد أن الثروة ستظل محورية في تحديد التراث الاجتماعي، ولا أستطيع أن أرى أى تراث بديل في طريقه إلى الظهور لكي يتنافس مع توفر الأموال.

وقد ظلت الكنيسة لزمن طويل تمثل تراثاً بديلاً، ومركز البابا ما زال لا يرتكز على عدد الطائرات الخاصة التي في حوزته، غير أن العلمانية تقوض أيضًا التراث الاجتماعي القائم على ممارسة السلطة الدينية، وماذا عن السياسيين؟ هم رجال ونساء المتعلمون، وكان التعليم في الماضي عاملاً حاسماً في التراتيب الاجتماعية، ومن المحتمل أن يستمرروا في احتلال مرتبة أعلى من غيرهم ولكنهم يشغلون درجة أدنى من الأثرياء، وربما الموهبة الفنية؟ التي سوف يكون لها في نهاية الأمر اعتبارها المهم وهو ما يرجع جزئياً إلى أنه يمكن ترجمتها إلى مكافآت مالية، والكمال الجسماني؟ لقد نالت البراعة الرياضية يوماً الكثير من التقدير، ومن المؤكد حقاً أن الرياضة خضعت اعتباراً من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر لموجات المجتمع الأرستقراطي الذي ولدت فيه، وأولئك الذين استثارتهم مهارات راكبي الخيل (الجوكي) وأبطال الملائكة، عاشوا في نطاق ثقافة نظمها على نحو مهيمن المجتمع الأرستقراطي وقد اختفى هذا حالياً، وغدت الرياضة كذلك نشاطاً من أنشطة السوق. ولا أعتقد أن ذلك قلل من الإعجاب الفريد الذي تثيره المجرّات الرياضية الباهرة، وحتى وقت قريب جداً، لم يرتبط هذا الوضع بأي صلة بمقدار الأموال التي يكونها الرياضي. والحق، أن كبار النجوم الرياضيين لم يكونوا أموالاً كثيرة على أية حال في معظم القرن الماضي - على الأقل خارج الولايات المتحدة - ويكفل النجاح الرياضي تحقيق سلطة إضافية في نطاق تحديد التراث الاجتماعي، وقد رفع بيلاه (لاعب الكرة البرازيلي الشهير "م")

إلى ذلك المركز الرفيع بحيث أصبح وزيراً، ولا أظن أن هذا العامل سوف يختفي، والحق أنه سوف يتراكم في الأفراد وصورتهم الشخصية، بينما يتجاهل فرقهم أو بلدانهم الأصلية.

- هل من رأيك أن المرأة خرجت من حرب التحرر التي خاضتها منتصرة ظاهرة؟ وهل حققت فعلاً المساواة مع الرجل؟ وهل هذه المساواة هي الشيء نفسه مثل التحرر أو ربما كانت وسيلة للتطابق مع أساطير الذكر والسلطة والمظاهر الجنسية؟

- لا مراء في أن تحرر المرأة يعتبر من أعظم الأحداث التاريخية في القرن العشرين، ومشكلة القرن الحادى والعشرين هي أن يحدد ما الذي يتغير عليه أن يفعله وماذا سوف يحدث على الأرجح، وقد اقتصر تحرر المرأة في القرن العشرين بالفعل على بعض أجزاء العالم وببعض قطاعات المجتمع، وما زالت هناك باقى كثيرة من الكرة الأرضية لم تحدث فيها هذه الظاهرة، وقد وجدت مرحلتان كبيرتان : تمثلت المرحلة الأولى في المعركة من أجل الحصول على الحقوق السياسية نفسها والحق في التصويت، وانصببت المرحلة الثانية على المساواة في الوصول إلى المهن نفسها. ومن الناحية العملية، فإن هذه الأهداف تحققت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وحتى ذلك الحين فإن البلدان التي لم تستطع فيها النساء التمتع بحق التصويت كانت تعد أقلية ضئيلة، ثم اخفت، والتقدم الذي أحرزته المرأة في المهن المختلفة قد شجعت عليها كثيراً الحرب وزيادة حاجة الأسر في السنوات الثلاثين الأخيرة، إلى حصولها على بخلين بدلاً من بخل واحد. وأعتقد أن النجاحات التي تحققت في موقع العمل تعد مرضية، برغم أنه يمكن القول بكل تكيد إنها غير كافية، ومنع ذلك فإبنتي أعتقد أن انتشار العمالة النسائية يعد ظاهرة مذهلة للغاية خاصة في بلدان مثل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى..

بيد أن ثمة مشكلة خطيرة - بل وتزايدت خطورتها - تتعلق بالمصابع غير العادية التي تواجه المرأة التي تجمع بين شغل وظيفة مهنية رفيعة المستوى وبين دورها كأم ولا يندرج هذا الوضع في نطاق التمييز ولكن يتصل بالقانون الطبيعي، حيث إن المرأة هي التي تنجي الأطفال ويمكن نظرياً إيجاد حل لهذه المشكلة بأن يعهد بالأطفال إلى أشخاص يتولون رعايتهم أثناء غياب الأم أو إلى دور الحضانة أو أن يعهد بتربيتهم

إلى أشخاص خلاف الأم الطبيعية ويدلنا التاريخ على أنه من الممكن حدوث ذلك : وقد مارسته الأرستقراطية على نطاق واسع ولكن يتفق الجميع حالياً على أن هذا الوضع لا يعتبر الحل الأفضل بالنسبة للأطفال، ومن ثم هناك مشكلة من المرجح أن تحمل الأجيال القادمة تكفة عاطفية واجتماعية مما يفسر سبب تدني نسبة النساء اللاتي يصلن إلى قمة المهن عن نسبة الرجال، ولهذا السبب فإن كثرة من النساء تعجز ببساطة عن التنافس فيما يتجاوز نقطة معينة وفضلاً عن هذا، فمن الخطأ افتراض أن ذلك محض مسألة إحصائية يتعين حلها عن طريق تحديد نسبة معينة (كوتا) تستهدف تقييم أنواع العمل بالتساوي بين الرجال والنساء ولا أرى أى سبب تاريخي يبرر جعل التكوين المثالى لهنة ما - مثل البرلمان - مناصفة بين الرجال وبين النساء ، ومن الناحية الأخرى فقد وجد اتجاه في الماضي يرمى إلى تقسيم العمل على أساس الجنس، وقد كان في بعض الحالات قد يلي للغاية من الناحية التاريخية وعلى سبيل المثال فإن الرجال كانوا يذهبون إلى الجيش وتذهب النساء إلى صناعة الولادة وقد حدث ذلك - في مناسبات أخرى - لأسباب تاريخية عرضية مثل تأثير المهن التعليمية والممارسة الطبية في الاتحاد السوفييتي.

بيد أنه حدث تغير عظيم في ستينيات القرن العشرين، لا علاقة له بالتنافس الجنسي : تحكم المرأة في الإنجاب وقد كان بمثابة حدث تاريخي حقاً وفعلاً : نوع من إعلان استقلال المرأة عن الرجل، وإلى حد ما عن القواعد التي حكمت الجماعة الاجتماعية بأسيرها، ولعل أهم ما يبرر في ذلك الوقت هو قرار المرأة بالـ تقبل بعد تعاليم الكنيسة وسلطتها المعنوية، ولاسيما في بلدان ذات شهرة كاثوليكية مثل إيطاليا وأيرلندا وبلندا، وقد امتدت هذه الظاهرة فيما يتتجاوز الدائرة المحدودة للمرأة المتعلمة التي شكلت طبيعة الحركة الداعية إلى المساواة، وكانت لها تأثيرات بعيدة المدى؛ لأنها حولت الآلية الكاملة لإعادة تناسج الجنس البشري من جيل إلى الجيل التالي، وسمحت للمرأة أن تمارس الحق في عدم إنجاب أطفال وكانت السرعة التي انتشرت بها مذهلة وما زالت العواقب من الصعب التكهن بها.

وسيكون التحرر الأكبر للمرأة إحدى سمات القرن الحادى والعشرين، وأكثر أسلحته فعالية سوف تتمثل فى انتشار التعليم على مدار الكوكب الأرضى بسره، حتى فى أقصى البلدان تخلفاً وسوف تنتشر هذه الثورة عن طريق اكتشاف أن الناس الآخرين يتعرضون بطريقة مغایرة لما كان يعتبر قوانين طبيعية غير قابلة للتغيير، ومن هذه النظرة فإن تحرر المرأة ليس إلا فى مراحله الأولية، لأنه لم يخاطب بعد غالبية سكان العالم وفي الحال السياسى، من الناحية الأخرى فإن صعود المرأة كان للغرابة أقل إرضاء بكثير؛ لأنه ولو أن المرأة دخلت البرلمان أو أصبحت وزيرة أو رئيسة وزراء فى بلدان عديدة، فلا نستطيع القول إن السياسة تغيرت بأى طريقة أو غدت أكثر نسوجية.

- أود أن أعرف أفكارك بقصد الثورة التكنولوجية، التى تعتبر فى أحيان كثيرة من أقوى العوامل التى تسهم فى تحقيق الديمقراتية؛ لأنها تقدم المعلومات إلى كل منزل وتجعل من الممكن العمل خارج وحدات الإنتاج التقليدية، وبالتالي فهي أكثر مرنة وقدرة على التكيف مع المواهب الفردية فهل تشارك هذا التفاؤل ؟

- من المؤكد إن تكنولوجيا المعلومات تحدث تغيرات هائلة فى مجال العمل ولكن يساورنى الارتياب فى أماكن حيث تغير جذرى، تماماً مثماً ارتتاب فى مقدرة الاقتصاد الحديث على أن يعمل دون وجود مرجعية من التقاليد الاجتماعية، ومن الواضح أنه يمكن - من الناحية التقنية - العمل انطلاقاً من المنزل والاتصال بالعالم منفرداً من خلال البريد الإلكترونى (E-MAIL) والواقع أن الناس لا تتشد العمل بهذه الطريقة وحتى رواد التكنولوجيا المتقدمة لم يعيشوا متناثرين عبر الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، لكنهم تركزوا فى مناطق معينة بحيث يمكنهم الالقاء والاتصال فيما بينهم، ومن غير المريح كثيراً ألا يجد الإنسان من يبادله الحديث، وأن يتخلى عن الاتصالات الشخصية التى يعد أحد العناصر الأساسية تماماً لتحقيق الإنتاجية والفاعلية فى العمل وكل هذا الحديث عن العمل المنزلى اللامركزى هو مجرد دعاية؛ لتبرير الاستغناء عن العمال العمالة الزائدة وستعد هيئة المواصلات البريطانية (BRITISH TELCOM) التخلص من ١٠٪ من قوة العمل بافتراض أنهم سوف يستطيعون العمل من منازلهم، وفضلاً عن هذا، فتلك مسألة تتعلق بالبيوتية التكنولوجية التى تتجاهل حقيقة أن الإنسان كائن لا يود أن يعيش بمفرده ويفضل أن يعمل مع الآخرين.

وفي مجال العمل فإن المشاركة في النشاط الاجتماعي ما زالت وستبقى ضرورية تماماً وكلية ونحن نعلم أن الناس في الريف يذهبون إلى السوق ليس بغرض شراء حاجاتهم فحسب، بل أيضاً للقاء الآخرين وتبادل الأنباء والتراث وأنت لا تستطيع بناء مجتمع على أساس احتساب نسب المنافع لتكليف، بل وحتى من هذه النظرة فإن وجود مركز أبحاث لـ ميكروسوفت يعد أكثر فعالية بكثير من تشتت الباحثين فيما بين كندا والفلبين، وبعد وادي سيليكون SILICON VALLEY مثالاً نموذجياً لكيفية التوصل إلى جمهور مهم من العمال لأبد منه؛ لتشغيل حتى أكثر الصناعات تقدماً، وبعيش معظم أولئك الذين يعملون في وظائف البرمجيات SOFTWARE في الهند في بانغالور (عاصمة ولاية كارناتاكا في جنوب الهند) وحتى أولئك الأكثر حماسة لزيادة الاتصال عبر مسافات طويلة يفضلون الاجتماع فيما بينهم في الحانات نفسها (البارات) لكي يتبيّنوا كيف تسير الأمور، ومعرفة آخر ما وصل إليه التقدم في هذا المجال ويصدق الشيء نفسه على الجامعات وأول سؤال يطرحه العالم الجيد عندما تعرّض عليه الجامعة وظيفة هو : كم عدد من سيعملون معه ومع من يستطيع أن يتحدث عن عمله ؟

- ألا تخيف قوة العلم وسلطته ؟ مثل إمكانيات الاستنساخ البشري والتجين الحياني ونقل الجينات أو القتل في الحرب ما بينما يكون المرء جالساً أمام الكمبيوتر ؟

- من الطبيعي أن يتحقق ذلك - ليس بسبب القوة التي يخلو لها فحسب - بل أيضاً لأن تلميذ الساحر لا يعرف غالباً كيفية الاستخدام، وإذا ما توفر بعض الضمان الذي يكفل أن الأشخاص الذين يجعلون هذه التطورات ممكناً يعرفون - أيضاً - ماذا يفعلون بها وكيف يستخدمونها ومتى لا يجب استخدامها على الإطلاق، فساكنون أقل خوفاً لكن هذه الضمانة غير موجودة ويجري التلاعب بقوى طبيعية هائلة، ولا يحسن نوماً فهمها فهماً كاملاً ولا يوجد تنظيم أو مؤسسة يمكن أن تقول ما الذي يجب فعله وما لا يجب فعله، والقاعدة الوحيدة التي توجد في ظروف السوق الحرة، أي تعظيم النمو الاقتصادي والربح إلى أقصى حد ممكن، سوف تحدث على وجه اليقين - تقريباً - تأثيرات سلبية.



## الفصل السادس

١٥ أكتوبر ١٩٩٩

- ١٢ أكتوبر ١٩٩٩ هو يوم مولد الطفل رقم ٦ بلايين نسمة  
فإلى أي مدى سوف يعيش هذا الطفل حياة كريمة  
ومنتجة وسعيدة؟

- سيكون عدم التكافؤ في الفرص أحد العوامل الحاسمة في مستقبل البشرية بصفتها الجماعية أو كأفراد : سواء تعلق الأمر بضروب اللامساواة الإقليمية واللامساواة الجغرافية في نطاق البلد الواحد، واللامساواة الاجتماعية والمشكلة الكبرى التي تواجه الألفية الجديدة هي أنه يستحيل التنبؤ عموماً بمستقبل الطفل رقم ٦ بلايين نسمة.

- كيف تفسر الاتجاه الديموغرافي في أوروبا في ظل معدل النمو السلبي أو حتى معدل الصفر الذي يعد سمة نموذجية للعالم المتقدم؟

- هذا حقيقي. ولا تقتصر هذه الظاهرة المهمة على القطاع الثري في أوروبا إنما تمتد أيضاً إلى أوروبا الشرقية، وهناك بلدان كثيرة في الاتحاد السوفيتي السابق وفي بلدان أخرى مثل المجر ورومانيا ينخفض فيها عدد السكان، وفي القارة القديمة فإن البلدان التي أعاد البرنامج السوفيتي تجديدها وتحديثها هي التي تشهد أسوأ الأوضاع.

ومن ثم فإن تدهور معدل المواليد تشتراك فيه البلدان الثرية ثراءً فاحشاً مع تلك التي على التقىص تماماً، وأعتقد أن التفاوت الديموغرافي في مختلف مناطق العالم سيمثل في خاتمة المطاف مشكلة من أعظم المشاكل في القرن العشرين.

ودعنا نمعن النظر أولاً في المستوى الذي بلغه العدد الشامل لسكان العالم : ٦ بلايين نسمة، ويتوقع علماء الديموغرافيا - حالياً - أن هذا النمو سوف يستقر خلال النصف الأول من القرن الحادى والعشرين فى حدود ١٠ بلايين نسمة، المشكلة هى أن التنبؤات الديموغرافية فى المدى البعيد لم يثبت أبداً أنها بالفة الدقة والتحديد، ويرتكز الاستقرار المتوقع على افتراض أن العالم الثالث فى مجموعة - أو معظمه على الأقل - سوف يتبع نمط الاتجاهات الديموغرافية نفسها التى سادت من قبل فى العالم الأول، أى أنه سوف يشهد انخفاضاً مفاجئاً ولاFTAً للنظر فى معدل المواليد وいくون ذلك مقترباً بزيادة كبيرة فى متوسط العمر المتوقع، وهناك دلائل وأمارات على حدوث ذلك، ومع هذا فإننا نتعامل مع تنبؤ يرتكز فقط على الخبرة والنماذج الرياضية، ولهذا يتquin علينا مراعاة الحذر الشديد.

وقد أجريت من قبل محاولات عديدة للتتبؤ بالاتجاهات السكانية إبان القرن العشرين، وعلى سبيل المثال، انتشر التخمين فيما بين الحربين العالميتين بحث عن انخفاض وشيك الواقع فى سكان أوروبا، ويدلاً من ذلك فقد اكتشفنا انفجار المواليد وزيادتهم عقب الحرب العالمية الثانية حتى فى أكثر البلدان تقدماً، وما يمكن أن نقوله بيقين مقبول عقلاً هو أنه ما لم يحدث هذا الاستقرار التنبؤى، فأنذاك سوف تقضى المعدلات الراهنة لنمو السكان فى العالم حتماً إلى كارثة من نوع آخر، ويجب أن يوجد حد إذا ما تم تجاوزه فسوف تحدث تأثيرات سلبية ضخمة على نطاق كونى.

ومكنا لايسعنا إلا أن نتعطل انطلاقاً من هذا بالأمل فى وقف معدل النمو والزيادة، ولكن حتى فى هذه الحالة تظل أسلطة كثيرة دون إجابة، فنحن لا نعلم ما إذا كان هذا الاستقرار سوف يقتضى أثر النماذج السابقة، التى انطوت جزئياً على حدوث تغيرات فى السلوك الاجتماعى مثل الزواج، وعبرت جزئياً عن التدخل عمداً وعن قصد فى العملية التناصيلية، مثل تحديد النسل والإجهاض، وأعتقد أنه إذا حدث هذا الاستقرار فسيكون ثمرة تدنى معدل المواليد وكذلك تدنى معدل الوفيات فى الوقت نفسه، ويمكن أن يفرز هذان العاملان معًا تشكيلاً عمرياً معيناً بالنسبة لسكان، ومن الناحية الأخرى ليس لدينا أدنى خبرة بماذا يعني حقاً الاستقرار الديموغرافي طويلاً الأجل، وما أعنيه

هو أننا لا نعرف كيفية تحقيق ذلك فحسب، بل إننا لا نعرف كذلك كيفية الحفاظ عليه عبر فترات زمنية طويلة، بل يكفل أن يكون كل جيل مماثلاً في الحجم تقريباً للجيل السابق، وهل سوف تحدث تقلبات، صعوداً وانخفاضاً بصورة دراماتيكية؟ علينا أن نعرف ذلك، إذا أردنا معرفة ما سوف يحدث، لكن يستحيل التنبؤ.

وما أقل ما نعرفه حالياً بما سوف يحدث عندما يتوقف قطاع من العالم - كما يحدث الآن - عن التناسل، في حين يتحقق فائض ضخم من السكان في بقية العالم، مما يزيد من احتمالية زيادة عدد المهاجرين.

والشيء الوحيد الذي نعرفه هو أن التحضر العمراني - وعلى نحو متناقض - يجعل الوضع أفضل قليلاً؛ لأنّه يعمل جزئياً على تخفيف الضغط البالغ على البيئة، نتيجة الحاجة إلى إيجاد أرض للاقاطنين الجديد في العالم، وفي العصور الوسطى حدث الاستيطان لهذا السبب بالتحديد : فإذا تجاوز نمو السكان حداً معيناً، فإنه يتبع على البعض أن يهاجر، ويبحث الغابات لكي يستقر هناك، وقد حدث الاستيطان في آسيا - وإلى حد ما في أوروبا - نتيجة لاختفاء الأراضي الجيدة للزراعة مما عمل وبالتالي على تغيير البيئة. وفي بلدان مثل الهند، وهي من الأمثلة القليلة الباقية في العالم حيث ما زال هذا العدد الضخم من السكان يعتمد إلى حد كبير على الزراعة، فإن الآثار يمكن مشاهدتها إذ لم يتبق سوى القليل من الغابات والأرض غير المزروعة والحيوانات البرية.

واليوم فإن الأمور يمكن أن تسير لأى اتجاه مغاير، ولحسن الحظ، فإننا إذا أخذنا العالم في مجموعة فإن التحضر العمراني يوفر لنا حلاً مختلفاً، إذ يتبع مكاناً لكي يستقر فيه القادمون الجديد دون أن ثلجاً بالضرورة إلى استغلال مساحات شاسعة جديدة من الأرض على نطاق كبير، وإن وجدت مشكلة أكثر إلحاحاً تتمثل في سوء توزيع السكان حول العالم، وستكون النتيجة التي لا محيد عنها تزايد الضغوط الشديدة من أجل الهجرة إلى الخارج من البلدان ذات معدلات المواليد المرتفعة للغاية إلى البلدان الثرية، ولكن - وكما رأينا - فإن إحدى الخصائص الأساسية للعالم الحديث هي أن الهجرة يزداد كبحها أو عرقلتها في البلدان الثرية، ومع ذلك، يلوح لى أنه من

المحتم أن تقوم - بطريقة أو أخرى - البلدان التي لا يتكاثر سكانها - مثل إيطاليا - باستيراد عماله رخيصة أو أولئك الذي يمكنهم القيام بالوظائف التي لم يعد السكان الأصليون يبدون القيام بها. كما يبدو أنه لا مفر بالنسبة لى من استيراد قوة العمل هذه من البلدان الفقيرة، وعلى نحو متزايد من العالم الثالث، وقد رأينا بالفعل عمليات تبادل متعلقة بالهجرة من هذا النوع : وأشهرها استخدام الفلبينيات في الخدمة المنزلية، وقرأت مؤخرًا دراسة مهمة عن سالونيك : وقد كانت حيناً من الدهر مدينة متعددة الثقافات تقطنها كل شعوب الإمبراطورية العثمانية، وكانت بادئ ذى بدء مدينة يهودية وإسلامية، وقد حولتها عملية تطهير عرقى تمت تدريجياً عبر القرن العشرين إلى مدينة يسكنها ٩٩٪ اليونانيين، بيد أن ظاهرة هجرة حديثة في سبيلها إلى تغييرها مرة أخرى؛ لأن الطبقة الوسطى اليونانية تلجأ تشغيل الخدمات الفلبينيات، فضلاً عن قيام الآلبة العمل البستانى على نطاق ضخم، وهو ما يحدث في كاليفورنيا نفسه مع اختلاف وحيد هو أن المكسيكين هم الذين يقومون بالعمل البستانى، وإن الطلب على الخدمات التي لا يمكن أن يؤديها السكان الأصليون، بسبب ندرة قوة العمل الرخيصة، سوف يفضي بلا أدنى ريب إلى انتقال عدد كبير من البشر من العالم الثالث إلى العالم الأول.

سوف يطرح هذا الوضع مشكلة سياسية واجتماعية ضخمة: لأن أوروبا مجتمع مناصر للحمائية بشكل متميز يرغب في إقصاء الأجانب خارج حدوده، حتى ولو كانوا من اللاجئين القادمين من كوسوفا، ويتجاوز عزوف البلدان الثرية عن منع حق الدخول أو المواطنة للغرباء، وينطوى الوضع الراهن المتمثل في الطلب القوى على اليد العاملة من ناحية والإجراءات التقليدية من الناحية الأخرى على أخطار خلق مجتمعين : يتمتع المجتمع الأول بالمواطنة الكاملة وكافة الحقوق ويكون المجتمع الثاني من الغرباء، وتبدو عليه جميع القسمات الدائمة لأكثر الفئات فقراً وسوف يحصل بعضهم على بعض أشكال المواطنة، لكن الغالبية سوف تعتبر من بعض النواحي منتمية إلى جنس أدنى، على الأقل من حيث التمتع بحقوق المواطنة، ويعيش بالفعل نصف المهاجرين الذين يوجدون في أوروبا بطريقة غير مشروعة وفي الخفاء (تحت الأرض). مما يعني عملياً عدم تعمّتهم بأى حقوق، وباختصار فإن ضحايا هذا الوضع لن يشعروا بوطأته الكاملة؛

لأن إذا كان المهاجر قد جاء من إفريقيا السوداء فسوف يكسب عيشه في فلورنسا بطريقة أفضل مما لو كان في موطنه الأصلي، حتى بدون التمتع بحقوق المواطن. بيد أن هذه العملية سوف تخلق مجتمع الفصل العنصري (الابارtheid APARTHEID) وفي الواقع فإن السمة الحقيقة للفصل العنصري ليست هي الفصل بين الأجناس، كما تعتقد غالبية البشر، ففي جنوب إفريقيا كانت جميع الأجناس مختلطة في كافة ميادين الحياة الجماعية، لكن البعض تمنع حقوق حرم منها الآخرون.

وماذا المهاجرون أقلية ضئيلة نسبياً فقد لا توجد أى مشكلة سياسية خطيرة، لكن اليوم لم يعد الوضع كذلك، إذ يمثل الأجانب في ألمانيا والنمسا بالفعل قرابة ١٠٪ من السكان، ومن الواضح أن التقييدات الصارمة المفروضة على الهجرة في أوروبا لن تكون قادرة على الحيلولة دون زيادة نسبة الهجرة، وهو ما قد يخلق توترات سياسية ومعضلات أخلاقية خطيرة.

ومن هنا تتأتى أخطار العنصرية التي تتبع من حقيقة أن أكبر المigrations مصدرها العالم الثالث، ولبعض الأسباب التي لا أفهمها تماماً ولكنها ثبتت تاريخياً، فإنه يصعب قبول نوى الملامح المختلفة ونوى لون الجلد المتباين، وإننى على ثقة من أن المسألة الكبرى التي لم يفصل فيها بعد، والمسكوت عنها في الاتحاد الأوروبي هي إلى أى مدى يمكن أن يتسع نطاقه ليشمل بلدان إسلامية - وهذا هو السبب - فيرأى، لترك تركيا وآفاقه على عتبة الباب. وبعد الاتجاه صوب الأصولية الإسلامية في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في الأساس بمثابة رد فعل على عنصرية البلدان الأوروبية، مما يزيد الأمور تعقيداً ويتسرب في بروز التوترات المحلية القومية، على نحو ما شهدته بالفعل فرنسا وبريطانيا العظمى، ولذلك لا يعد إخفاق البلدان الثرية في أوروبا في تكاثر سكانها مجرد مسألة ديمografية.

وتقى ماذا سيحدث لبلدان أوروبا الشرقية الأقل ثراءً التي تبتدئ فيها اتجاهات مماثلة للتدحرج السكاني، وقد أكون على يقين من أن هذا الوضع سوف يفرز اضطرابات ضخمة هناك أيضاً وسوف يصبح بالفعل عدد السكان في بلدان الاتحاد السوقيتي

سابقاً ويوغسلافيا سابقاً أقل مما كان عليه منذ خمسين عاماً، ولا يرجع هذا إلى انخفاض معدلات المواليد فحسب، بل أيضاً إلى نزوح ضخم للسكان بفعل الهجرة، وقد غادر كثيرون عن طيب خاطر، وطرد آخرون من ديارهم كما في البوسنة وكوسوفا، وهم عازمون على عدم العودة، ومن الممكن مثلاً أن يتزعز الكوريون والصينيون إلى عبر الحدود مع روسيا؛ لكن يذهبوا إلى الأراضي الشاسعة غير الآهلة بالسكان في سيبيريا.

وسوف تعانى بلدان بهذه أيضاً مشكلات ديمografية أكبر؛ لأنها لن تستطيع توفير الهياكل الأساسية الاقتصادية التي لابد منها لدعم استمرار حياة هذه الأعداد الضخمة من السكان، ولا يمكن استبعاد أنها سوف تعالج الوضع عن طريق محاكاة قلب الاتجاه وتشجيع زيادة معدلات المواليد، كما أن استقرار النمو السكاني، أو الإخفاق في تحقيق ذلك، ستكون له تأثيراته المهمة على اقتصادات البلدان النامية؛ لأن البلد الذى ترتفع فيه معدلات المواليد يتغير عليه تخصيص موارد أكبر؛ لإعاقة الأمهات والأطفال وتوفير الرعاية الصحية والالتحاق بالمدارس، وبالتالي يتغير عليه أن ينأى عن مواصلة النمو في عدد السكان.

ثم علينا أن نمعن النظر في التطورات المصاحبة والتي برغم أنها قد تكون أقل وضوحاً إلا أنها ليست أقل شأناً، ومن الجلي حالياً أنه حتى في البلدان التي يتمنى منها عدد السكان فإن الطلب على التعليم لن يتراجع كذلك، وأولاً وأساساً بسبب ازدياد عدد الشباب الذي يتجه إلى الدراسة لفترات أطول، ولكن أيضاً سبب أن كبار السن وأرباب العashes يبيتون كذلك الاهتمام بالتعليم المستمر المتواصل، وبذلك ظاهرة قد يتم التفاصي عنها. وأعتقد أنه توجد سوق ضخمة للتجارة التعليمية التي تشهد توسيعاً سريعاً مثل الدورات الدراسية الخاصة وجامعات المسنين والتدريب المهني الدائم الذي يستمر طوال الحياة العملية بأسراها.

- إن ١٠ بلايين نسمة في عام ٢٠٥٠ هو التوقع الأكثر تفاؤلاً وهو الرقم الذي سوف يتحقق إذا ما نجحت برامح الأمم المتحدة لتحديد النسل عبر العالم، لكن إذا أخفقت هذه البرامح فيمكن

للرقم أن يرتفع إلى ١٢ بليون سسمة، أى يضعف الرقم الحالى  
في فقرة وجيزة تصل إلى تصفى قرن، فهل ستتصبّع البيئة  
قادرة على الصمود إزاء هذا الضغط الهائل؟

- لا أعتقد أن أخطر المشاكل يتمثل في إنتاج ما يكفى من الطعام لكل فرد،  
ففي السنوات الخمسين الماضية أنتج العالم ما يكفى وأزيد من الطعام لجارة الزيادة  
في عدد السكان ثلاثة أضعاف، وتم ذلك بتكنولوجيا مختلفة نسبياً أو حديثة على وجه  
الخصوص، مثل التربية الانتخابية (المواشي) وليس باستخدام البيوتكنولوجيا التي  
غدت متاحة حالياً. ولا أرى أى سبب يحول دون استمرار هذا الاتجاه الإنتاجي في  
القريب العاجل، وأستطيع القول إن كمية الطعام المتوفرة في العالم اليوم في وسعها أن  
تقسم أود زيادة كبيرة في كل السكان، ولهذا فإنني غير مقتنع بالحجج التي تقدمها  
الصناعات التي تنتج الأغذية المعدلة وراثياً، والتي ترى أن هذه هي الطريقة الوحيدة  
لإطعام العالم، وليس هذه الحقيقة الواقعية - على الأقل - بالاسترشاد بالتنبؤات  
الحالية المتعلقة بالنمو السكاني، ولا يعني هنا أنتي ضد البيوتكنولوجيا، إنما أقول  
بساطة إن هذه ليست حجة صائبة؛ لأننا لا نقف على اعتاب نقص في الأغذية، وأغلبية  
الشر في العالم - باستثناء قلة سيئة الحظ - تتغذى اليوم بصورة أفضل مما كانت  
تتغذى من قبيل، كما أن هناك إسرافاً ضخماً في الطعام في العالم نتيجة لتوزيعه على  
نحو غير متكافئ.

وسوف تكون هناك عواقب وخيمة تؤثر على البيئة والنظام الأيكولوجي، فللمرة  
الأولى في التاريخ تغدو البشرية قادرة على استفاد رصيد بعض الموارد غير القابلة التجدد،  
وعلى سبيل المثال، لم يكن أحد يعلم أبداً إننا يمكن أن نستفيد أسماك بحر الشمال  
من جراء عمليات الصيد ومع ذلك فهذا ما حدث على وجه الدقة، ونحن قادرين اليوم  
على جعل العالم غير قابل للعيش فيه بسبب السموم أو التلوث أو الطريقة التي تغير بها  
الصناعة الغلاف الجوى، ولم يتم إلا مؤخراً الوعى بهذه المشكلة - إذ لم تكن موجودة  
قبل سبعينيات القرن العشرين - على الصعيد الكوني على الأقل، وعلى الرغم من أنه

برز اتجاه باعث على الأسى لمناقشة هذه الموضوعات بتعابيرات كارثية على الأصح، فلا مراء في أن قدرة البشرية على إفساد البيئة قد أضحت خطيرة للغاية ومن الطبيعي أنه كلما زاد عدتنا كلما أصبحنا أكثر خطورة.

ولم يساور القلق أى شخص بشأن مستقبل موارد الطاقة غير القابلة للتجدد - مثل الفحم - قبل منتصف القرن التاسع عشر، كما أنه ثمة حفنة ضئيلة للغاية توجست من استفاد الاحتياجات البترولية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، ونستطيع اليوم أن نلتقي قليلاً من الراحة أو نستريح بعض الشيء؛ لأننا نعلم أنه تم اكتشاف الموارد البديلة، لكن تظل حقيقة أن تلك الموارد القديمة غير قابلة للتجدد، وحالاً يتم استنزافها كلياً فلن توجد أبداً على أية حال، وعلى الرغم من أنه من غير المرجح أنها سوف تستنفذها في العقود القادمة أو حتى في القرن القادم، فإن حقيقة كونها سوف تنتهي ذات يوم، سجلها حالياً كتاب التاريخ.

والواقع هو أننا قد غيرنا البيئة، ولكن نحكم على ما الذي سوف يحدث في المستقبل، فإنه يتبع علينا أن نرتكز على خبرات الماضي وكيف تصرف الشر حتى الآن، وقد شهدنا عبر القرون ظاهرة تاريخية ذات أهمية ضخمة - مثل اجتثاث الغابات من منطقة البحر المتوسط - جزئياً من خلال انتشار الزراعة، وهو ما كان له تأثيراته التي لا راد لها على البيئة الإيطالية مثلاً، وهناك موقع قليل للغابة في إيطاليا هي التي حافظت على الغابات القديمة مثل تلك التي مازالت موجودة في جبال سيلان كالابريا calabria (جنوب غرب إيطاليا)، وهكذا فإن تدهور الأوضاع البيئية ليس ظاهرة جديدة ولكنه كان يتسم في الماضي بطابع إقليمي ويصبح الآن كوني الطابع، ويجري حالياً إزالة الغابات المطيرة ويزعم الكثيرون أن هذا الوضع ستكون له تأثيرات مهمة أكثر بكثير من اجتثاث غابات البحر المتوسط.

ويشير كل هذه الأوضاع أسللة مهمة، فالى أى مدى يمكن عكس هذه الآثار والارتداد عنها؟ وما هو المجال المتاح للقيام بعملية وقاية للطبيعة؟ ودعنا نفترض أن العالم قد تحول بالفعل نتيجة للتخل الإنسانى إلى شيء لا يمكن تسميته بالعالم الطبيعي (الفطري) ودعنا نفترض أن ما نسميه الآن بالطبيعة لم يعد طبيعة، بل هو تركيب من المناخ

والطبوغرافية (وصف تضاريس الأرض) والبيئة الأصلية (المحيط) وتاثيرات التاريخ الطويل للتدخل الإنساني، فماذا ستكون هذه البيئة شبه الإنسانية التي لم تعد بيئه طبيعية ؟ وما هو الفرق عندما يبدو العالم المحيط بنا شبيهاً بحقيقة بدلاً من أن يكون غابة بكرأ ؟ ومعظم المناظر الطبيعية هي من صنع الإنسان، وقد تحولت البيئة حتى القرن العشرين عن طريق الزراعة أولاً وقبل كل شيء، وكذلك في جميع أماكن العالم المتقدم وفي أوروبا بلا أدنى ريب، لكن - في المستقبل - علينا أن نمعن النظر في تاثيرات التحضر العمرانى في المناظر الطبيعية التي لم تتم زراعتها بعد، وماذا سوف يحدث للمناطق الريفية حيث لم تعد الزراعة التي أفسدت هذه المناطق لزمن طويل غير ضرورية؛ لأنها غير فعالة ؟ ولدينا أمثلة جيدة تشمل تلك المناطق المتحررة من متطلبات الزراعة، فهناك اتجاه يسود الطبقة الوسطى الأوروبية يدفعها إلى الانتقال إلى الريف وإرساء أنواع جديدة من البنى الأساسية، وذلك هو ما حدث في توسكانى (وسط إيطاليا) حيث تدهور الشكل المعين من الزراعة المسمى *meggadrha* . وتلك مشكلة؛ لأن الأشكال القديمة من الزراعة في كثير من أجزاء أوروبا هي التي حمت المناظر الطبيعية، وماذا سوف يحدث حالاً تذهب وتتفوض ؟ ويمكن أن تتحول الأرض إلى أرض حرجة أو ربما إلى غابة، ولا نعرف ماذَا سوف يحدث، غير أن ما أريد تأكيده هو أننا في هذه الحالة لا ندافع عن الطبيعة بل ندافع عن طبيعة أثمرتها الزراعة التي تلاعب بها البشر.

وماذا سوف يحدث في تلك البقعة من العالم التي لا توجد بها طبقة وسطى تبني لها منزلًا ثانويًا ؟ وقد تصبح البيئة خالية من البشر، كما يحدث في بقاع كثيرة من الغرب الأوسط الأمريكي، لكن المنظر الطبيعي المهجور يمكن أن يغدو قفرًا كاملاً بعد قرن أو قرنين من الزمان، وتجري مناقشات مستفيضة بقصد كيفية الحفاظ على البيئة القائمة، تشغل بها في الأساس القطاعات المثقفة في المجتمعات الرفاهية، ولا يعني هذا أنه لا ينبغي أن تؤخذ بجدية : فحصاية النمور أو الكركدن (وحيد القرن) مثلاً يمكن أن تكون لها أهميتها من الناحية العلمية، وربما أمكن إيايتها جميعاً إذا ما ترك أمرها للسكان المحليين في إفريقيا، وقلة ضئيلة لغابة من التمور هي التي تركت في آسيا. ومهمما يكن من أمر فثمة شيء واحد أرى أنه يتعين علينا أن نقاومه في القرن الحادى

والعشرين ألا وهو - على وجه التحديد - تلك المحاولة الرامية إلى الوقاية والمحافظة عن طريق إنشاء متحف حية وإيجاد مناطق خاصة ورمزية في العالم فمن المفترض أن تحافظ على خصائصها "الطبيعية".

وهنا أسباب اقتصادية جيدة بجلاء تبرر هذا النوع من التطوير، كما هو الحال في السياحة. ويمكن توضيح الأمر للشعوب الإفريقية أنه من الأفضل عدم قتل الكركن والغوريلا، بسبب الأموال التي قد تتحقق من السياح الذين يحضرون لتصوير هذه الحيوانات، ولذلك سوف يحاول الناس تحويل بعض بقاع العالم إلى مراتع ضخمة ذات موضوع واحد، لكن هل يمكن القيام بذلك فعلاً؟ وهل سوف يتم بالنسبة لبعض الأجانب التي يمكن ألا تقبل حية لولا ذلك كما هو الأمر بالنسبة للحيوانات، وأنا لا أبالغ في القول فقد جرت مناقشة كهذه تماماً فيما يتصل بالقبائل التي تعيش في غابات الأمازون، إن سؤال كيفية إدارة البيئة والتعامل معها يغدو أكثر فأكثر مشكلة عملية لا نظرية، مما يتطلب تقديم إجابات محددة.

لكن دعنا نفترض أنه من غير الممكن أخذ بقعة من العالم ووقايتها كما كانت، وبدلنا تاريخ إيطاليا على أن هذا الوضع ممكן نظرياً، وهو تاريخ جدير باللحظة لأنه برغم تدمير الأميركيين لبيتهم - أكثر من أي حضارة أخرى - كانوا أيضاً من الرواد في نهج سياسات الوقاية والصون التي ارتكزت على المراعي الوطنية، ولكن - كما أقول - دعنا نفترض أن هذا الوضع غير ممكن، وفي الواقع فإننا أعتقد أنه يتquin علينا أن نتعلم في القرن الحادي والعشرين أن نشاهد مساحات شاسعة من العالم كما هي عليه أي مكونة من بيئات شبه اصطناعية، وعلى سبيل المثال، فإننا نكتشف أن الضواحي السكنية - أي تلك الجمادات المكونة من منازل تسكن كل منها أسرة واحدة وتحيط بها حدائق وهي شاسعة كثيراً في بريطانيا وأمريكا الشمالية - تعد بيئه مناسبة للحيوانات البرية، وربما تعتبر أفضل بيئه ممكنت للطيور، وهناك طيور في ضواحي المدينة البريطانية أكثر مما يوجد في المناطق الزراعية حيث قضت عليها المخربات الزراعية، وينبغى علينا أن نتفق من أن تغير وجه البسيطة لا يفضي بالضرورة إلى كارثة كاملة، إذ يمكن للبيئة أن تتغير بطرائق جانبية وليس فقط من خلال تحولات رأسمالية عنيفة صارمة من الحسن إلى السيء».

وثلة جانب من هذه الإمكانيات التي نمعن النظر فيها شديد الوضوح في بريطانيا العظمى، فما يحدث عندما تنتهي الصناعات وتزول؟ وقد تبدي هنا ثانية الاتجاه إلى بناء متاحف تسمى : الأركيولوجيا الصناعية، وهو ما أكثر إثارة للاهتمام تلك المحاولات التي تبذل لترميم أو تجديد البيئات التي غيرتها فترة التصنيع الأولى، وأعتقد أنه يصبح ممكناً أكثر فأكثر رد الاعتبار أو تأهيل مساحات شاسعة من العالم تبدو حالياً مدمرة تماماً من جراء الصناعة، وجرب مثلاً الذهاب إلى جنوب ويلز، وهي منطقة كانت تتركز فيها مناجم كثيرة، ومنذ حوالي ثلاثين أو أربعين سنة خلت لم تكن تنمو فيها شجرة واحدة نتيجة للتلوث، ولكن إذا زرت وادي Swansea حالياً فلن تعرف على تلك المنطقة ويصعب عليك أن تصدق أنه وجدت بها من قبل صناعة كانت تضم مئات الآلاف من عمال المناجم عاشوا في ظل ظروف غير صحية، وغدت اليوم ذات مناظر ريفية.

وهكذا ثمة إمكانية لتدبير شؤون البيئة، والمشكلة هي كيف يتم ذلك. وأعود هنا إلى أحد الأسئلة الكبرى المطروحة على القرن الحادى والعشرين : من سيفعل ذلك؟ وما هي السلطة التي ستقوم بالخطيط والتنفيذ؟ وسلطات كهذه موجود على الصعيدين المحلي والقومى لكنها غير موجودة على الصعيد الكونى، وأعظم الأخطار البيئية الآن تقع على صعيد كونى، ومن المؤكد أن النتائج أن تكون عظيمة إذا تركنا السوق تقرر - والبحر المتوسط مثال جيد في هذا الصدد - وهناك حالتان نقristستان توضحان كيف يمكن تدمير البيئة البحرية وكيف يمكن إنقاذهما، فالتطورات الاقتصادية غير المتحكم فيها عدة أميال من الساحل الإسبانى بينما نجد أن تطور الصناعة السياحية على الساحل دلاسيما (جنوب غرب كرواتيا حالياً على بحر الأدرياتيك) جرى تخطيطها بعناية في ظل حكم تيتو، بحيث غدت منطقة رائعة الجمال وقدرتها على جذب أحجام ضخمة من النشاط يمكن أن تستمر وتتواصل دون أن تترتب على ذلك آية كوارث، وإذا تطلعت إلى جانبي بحر الأدرياتيك، ريمينى Rimini من جهة (التي تقع على الساحل الإيطالى) ودلاسيما على الجهة الأخرى فسوف تعتقد أنك تتطلع إلى عالمين مختلفين، فكيف تضمن التجانس على نطاق عالى؟ ذلك هو السؤال.

- ألا يعد في رأيك انخفاض المواليد في أوروبا دلالة أيضاً على انعدام الثقة في المستقبل على نحو مأسوى وإثمار بالغ النفس أو أثانية مفرطة؟ وهل هناك أخطار تعرض بلدان مثل إيطاليا إلى الاختفاء التدريجي للإيطاليين؟

- لا أعتقد أن عدم إنجاب الأوروبيين لمزيد من الأطفال مرجعه عدم وجود مستقبل لهم، وأعتقد بالأحرى أن المرأة كانت تتوجب كثرة من الأطفال في الماضي؛ لأنها لم تكن تتصور أن تعيش بطريقة أخرى فتلت كانت إدارة اللورد، وإذا كان معدل المواليد يدل على أي شيء فهو يدل على ارتفاع مستوى التعليم وحتى ارتفاع مستوى التخطيط المالي، وهناك مرحلتان في الحياة عندما يقع الأفراد تحت وطأة ضغوط مالية شديدة : الأولى عندما يكون لديهم أطفال صغار السن والثانية حالما يصبحون من المسنين ولا تتوفر لديهم المدخلات التي تجعلهم مستقلين، ومن الجلي أن عدم إنجاب أولاد يعتبر ميزة اقتصادية كبيرة، وكان الأطفال في الماضي يمثلون دعماً ميزانيًّا للأسرة عندما يشارعون في العمل كفلاحين أو عمال، في سن صغيرة للغاية في كثير من الأحيان، أما اليوم فإن الأطفال لن يكسبوا رزقهم قبل بلوغ سن العشرين أو حتى الثلاثين، وكلما امتدت فترة تعليمهم وكلما ازداد تأهيلهم المهني كلما تحملت الأسرة العبء لفترة أطول، ولذلك فإن تحديد النسل يجعل من الممكن بادئ ذي بدء اتخاذ قرار مالي.

وقد اصطلع النظام القانوني الذي نظم الملكية والميراث في القرن التاسع عشر بدور مهم في المجال الديموغرافي، وقد تبطن معدل المواليد في فرنسا؛ لأن قانون نابليون استلزم تقسيم الأراضي بين الأبناء بينما تكاثر أبناء الطبقة الارستقراطية الإنجليزية، لأن الابن البكر - فقط - هو الذي يكول إليه الميراث وبذلك ظلت الملكية على حالتها الأصلية سليمة في الحجم والقيمة، وكما ترى فإن العوامل الاقتصادية يمكن أن تكون ذات أهمية بالغة، لكن الأمر الأكثر أهمية أيضاً في الوقت الحالي هووعي المرأة وإدراكها بأنها يمكن لها اختيار أساليب حياة بديلة؛ لأنَّه لم يعد يوجد النموذج الوحيد للأمومة، وتلك خطوة كبيرة إلى الأمام بكل وضوح، لكنها أيضاً خطوة نحو المجهول.

- وماذا عن متوسط العمر المتوقع في القرن الجديد؟ إذ من المتوقع أن تعيش المرأة الإيطالية حتى تبلغ سن الثمانين بينما لا يمكن للرجل الأوغندي أن يتطلع للعيش أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، ألا يعد هذا بمثابة ظلم فادح في عالم المستقبل؟

- من رأى أن الفارق في متوسط العمر المتوقع بين البلدان الغنية والفقيرة سيكون من الأيسر تخفيضه وعلى نحو متناقض من ذلك الفارق الموجود داخل المجتمع نفسه بين فئاته العليا وفئاته الدنيا، وإذا أخذنا - كمثال - بلداً فقيراً شهد توسيعاً اقتصادياً ضخماً للغاية مثل كوريا الجنوبية - وهو أروع مثال يرد سريعاً على خاطرى - فقد تضاءل الفارق في العمر المتوقع بين كوريا والسويد بشكل مذهل بالمقارنة مع ما كان عليه منذ ثلاثين عاماً مضت.

وما لا يزال واضحاً للعيان تماماً في البلدان الثرية هو أن أولئك الذين يستهلكون حياتهم - وهم يتمتعون ببعض المزايا - يمكنهم أن يتوقعوا مضاعفتها مرات عديدة إبان حيواتهم، وقد ثبتت بحوث عديدة أن الفقراء لا يمرون طويلاً كالأغنياء ولا يتمتعون الصحة الجيدة نفسها، ولا أشك في أن الآثرياء لديهم مشاكلهم، لكن الميزة النسبية التي يتمتعون بها فيما يتصل بمتوسط العمر المتوقع - مثلاً - تتجاوز أى شك.

وتقربهن منسابة الاتحاد السوقيتي السابق على هذا تماماً للغاية، فقد حدث انخفاض مذهل في متوسط العمر المتوقع للسكان؛ لأن عملية الإفقار تضعف بشدة الدعامة التي يمكن للإنسان أن يشد عليها مستقبله.



## خاتمة

### آمال المستقبل

- لقد كان القرن العشرين هو قرن "عامة الناس" فمن يمثلهم حالياً؟

- في مستهل القرن العشرين كان الفلاح هو الإنسان النموذجي الذي ينعم بخيرات الأرض لكن في نهاية القرن تغير الوضع ولم يعد كما كان، كما نستطيع اختيار العامل عضو الطبقة العاملة التي نمت نمواً ضخماً إبان القرن، وربما بلغت النزوة في الرابع الثالث من القرن العشرين لكن حجمها ونفوذها ينكشان بسرعة حالياً، وماذا عن موظف المكتب ذلك الشخص الجالس على مكتبه وأمامه الكمبيوتر ولا يمكنه أن يفعل أى شيء آخر؟ قد يكون هذا الموظف مناسباً لأوروبا الغربية أو الولايات المتحدة، لكن ما زالت هناك مناطق شاسعة في العالم قد لا تعنى هذه الصورة الكثير بالنسبة لها.

وإذا كنت تصر على البحث عن رمز للقرن العشرين فإنني أقترح صورة أم ومعها أطفالها ولعل أقصى ما هو مشترك بين البشر يتمثل في الأمهات، أينما عشن على ظهر البسيطة ويرغم اختلاف الثقافات والحضارات واللغات فيما بينهن، وتعكس تجربة الأم - من بعض النواحي - ماذا حدث لقطاع كبير من البشرية في القرن العشرين، وما لم يعد نموذجياً في الحقبة التي نعيشها هو البنية الأسرية التقليدية التي تتطور من حول الأم، وبطبيعة الحال لم يوجد نمط أو نموذج واحد، لكن وجدت في جميع الأرجاء تقريباً بنية أسرية ما، وهو ما لم يعد حقيقياً اليوم.

لكنه بالرغم من حقيقة أن تنوع البشرية والسرعة التي تغيرت بها إيان القرن العشرين يجعلان من الصعوبة البالغة اختيار رمز يشير إلى "عامة الناس"، وإذا ما تعين أن يوجد مثل هذا الرمز فابقني أختار رمز الأم ومعها أطفالها.

- لقد استحوذ عليك أحد كبار الشياطين في القرن العشرين : الولع بالسياسة، فقد كنت شيوعياً نشطاً منذ زمن بعيد أى منذ عام ١٩٣٦ ، وطوال أحداث الحرب وال فترة التي أعقبتها حتى عام ١٩٥٦ ، وبعد ذلك لم يتغير توجهك السياسي، لكن غدوات منفصلأ على نحو متزايد، فهل شعرت بالأسف في أى لحظة للنشاط الذى انغمست فيه ؟ وهل فكرت في أى وقت من الأوقات أن ذلك الوضع أعقاقي أو عرقى حريرتك الفكرية ؟

- أعتقد أنه لم يقييد حريرتي الفكرية البتة، بيد أنه علىَّ أن أسلم بأنَّ أى ارتباط حقيقي قوى، ديني أو سياسى يجنب إلى أن يفرض - لا أود أن أقول التزامات - لكن تفضيلاً أو تحيزاً مناصراً لكي تحرز القضية التي تؤمن بها تقدماً، وتدرك هذا عندما تحجم عن انتقادها، وعندما تحجم عن تطبيق الفكر القدى نفسه عليها كما تستخدمه في الحكم على القضايا الأخرى، والدارس الكاثوليكى أقل حماسة - بحكم تحيزه - في تجربة عن محاكم التفتيش من الملحد أو البروتستانى، وبالمثل فإنه من الواضح أن الدارسين النافدين للشيوعية كانوا أقل ترددًا في دراسة ظاهرة مثل الجولاچ (gulags)<sup>(١)</sup> بينما يفضل المؤرخ الشيوعى بكل تأكيد تفادى التعرض لها، ولذلك علىَّ أن أعترف أنه بينما كان فى عزمى ألا أكتب أو أقول شيئاً على الإطلاق عن الاتحاد السوفيتى قد يشعرنى بالذنب، فقد نزعت إلى تفادى تناوله مباشرة، لعلنى أتى إذا فعلت ذلك فقد كان يتبعنى علىَّ أن أكتب أشياءً كان من الصعب على الشيوعى أن يقولها دون أن يؤثر ذلك على نشاطه السياسى ومشاعر رفاقه.

(١) نظام معسكرات العمل الذى ظلل قائماً في الاتحاد السوفيتى من ١٩٢٠ إلى ١٩٥٥، وأدى إلى وفاة أعداد غفيرة، وتعنى هذه الكلمة بالروسية "الإدارة المركزية لمعسكرات العمل الإصلاحى" (م).

ولهذا السبب - أيضاً - اخترت أن أصبح مؤرخ القرن التاسع عشر بدلاً من مؤرخ القرن العشرين، وفي وسعي أن أدرك أن ما صدر عن الحزب الشيوعي السوفيتي خاصاً بالتاريخ المعاصر لم يكن مقبولاً، وهكذا لم أرد أن أشتراك في مناقشات إما أن تحملنى إلى الجانب الآخر أو تدخلنـى في صراع مع ضمـيرى كـدـارـس أـكـادـيـمى.

وبعد عام ١٩٥٦ تحول نشاطى العملى إلى شىء مختلف وأكثر انفصالاً، فقد اتضح لي منذ ذلك الوقت أنـ الحـلـمـ ولـىـ الأـدـبـارـ، وقد اعتاد السكرتير العام للـحزـبـ الشـيـوعـىـ فـىـ بـرـيـطـانـياـ الـعـظـمىـ - الذى ظـلـلـتـ عـضـواـ فـيـهـ حـتـىـ وقتـ حلـهـ تقـرـيبـاـ - أنـ يـقـولـ فـىـ الـأـوـقـاتـ الـعـصـيـبـةـ إـنـ كـانـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـعـالـجـ المـوـقـعـ وـيـنـهـىـ الـوـضـعـ عـبـرـ خطـ هـاـقـىـ مـباـشـرـ مـعـ مـوـسـكـوـ، وقد أـعـتـبـرـ الـحـزـبـ جـيـشـاـ مـنـ الرـسـلـ، بينما أـدـرـكـ الـعـامـلـوـنـ فـىـ مـجـالـ الـمـهـنـ الـفـكـرـيـ وـالـثـقـافـيـ أـنـ يـتـعـينـ عـلـىـنـاـ أـنـ نـحاـوـلـ الـتـفـكـيرـ اـنـطـلـقاـ مـنـ أـوـضـاعـنـاـ الـخـاصـةـ بـنـاـ.

وفي عام ١٩٥٦ أـبـلـغـ قـادـةـ الـحـزـبـ أـنـنـىـ عـاـقـدـ النـيـةـ تـامـاـ عـلـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ صـدـاقـتـىـ مـعـ أـولـئـكـ الـذـيـنـ تمـ طـرـدـهـمـ مـنـ الـحـزـبـ، وـعـلـىـ الـأـخـصـ مـعـ T.O.M. Thomson وغيره من النشـقـيـنـ الـذـيـنـ أـتـعـاطـفـ مـعـهـمـ، وـإـذـاـ لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ مـتـوـافـقـاـ مـعـهـمـ فـفـىـ وـسـعـهـمـ إـقـصـائـىـ أـوـ طـرـدـىـ. غيرـ أـنـنـىـ لـمـ أـرـدـ تـرـكـ الـحـزـبـ فـىـ ذـلـكـ الـوقـتـ؛ لأنـنـىـ لـمـ أـرـغـبـ فـىـ أـنـ أـنـهـىـ حـيـاتـىـ فـىـ صـحـبـةـ كـلـ أـولـئـكـ الشـيـوعـيـنـ السـابـقـيـنـ الـذـيـنـ أـصـبـحـوـ مـعـاـبـيـنـ لـلـشـيـوعـيـيـنـ.

ولـاـذاـ بـقـيـتـ فـىـ الـحـزـبـ كـلـ تـلـكـ السـنـوـاتـ بـعـدـ أـزـمـةـ ١٩٥٦ـ ؟ـ لـقـدـ كـانـ فـىـ اـعـتـقـادـىـ نوعـاـ مـنـ الـوـلـاءـ لـقـضـيـةـ كـبـرىـ، وـلـكـ أـولـئـكـ الـذـيـنـ ضـحـواـ بـحـيـاتـهـمـ مـنـ أـجـلـهـاـ فـعـنـدـمـاـ غـوـتـ شـيـوعـيـاـ فـىـ عـامـ ١٩٣٢ـ كـانـ ذـلـكـ هوـ مـاـ كـانـ جـمـيـعـاـ عـلـىـ اـسـتـعـدـادـ لـلـقـيـامـ بـهـ، وـأـسـتـطـعـ أـنـ أـتـذـكـرـ جـمـيـعـ الـأـصـدـقـاءـ وـالـرـفـاقـ الـذـيـنـ مـاتـواـ فـيـ سـبـيلـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ وـالـذـيـنـ عـانـواـ مـرـارـةـ السـجـنـ وـالـتـعـنـيـبـ مـنـ قـبـلـ النـظـمـ الشـيـوعـيـةـ وـكـذـلـكـ النـظـمـ الرـأـسـمـالـيـةـ، وـلـاـ يـنـبـغـىـ لـنـاـ أـنـ نـنـسـىـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ الـذـيـنـ تـخلـواـ عـنـ فـرـصـةـ الـحـصـولـ عـلـىـ مـهـنـةـ نـاجـحةـ؛ـ لـكـ يـعـمـلـوـ سـاعـاتـ طـوـيـلـةـ عـلـىـ نـحوـ مـدـهـشـ وـلـاـ يـصـدـقـ فـيـ ظـلـ فـقـرـ نـسـبـيـ كـمـسـئـوـلـيـنـ فـيـ الـحـزـبـ وـيـحـصـلـوـنـ عـلـىـ أـجـرـ ضـئـيلـ مـتـلـ الـأـجـرـ الـذـيـ يـحـصـلـ عـلـيـهـ أـىـ عـاـمـ، وـلـمـ أـضـطـرـ

أبداً إلى القيام بمثل هذه التضحيات، وإن أقل ما كنت أستطيع أن أفعله هو أن أبدي بعض التضامن عن طريق رفض المزايا المادية وتلك المرتبطة بالمستقبل المهني والتي يمكن للمرء أن يجنيها من وراء ترك الحزب الشيوعي.

وفضلاً عن هذا فإن الشيوعية لم تكن متمثلة في روسيا بل هي قضية كونية شاملة، وفي بداية خبراتي السياسية عندما أصبحت عضواً في الحزب أثناء دراستي في برلين جرت مناقشة بيني وبين الرفيق الذي كان مسؤولاً عن تجنيدى، وقد أثرت ارتباكه واضطرابه لأننى قلت له : "حسناً، نحن نعلم أن روسيا بلد مختلف، ولذا فتحن تتوقع أن تلقي الشيوعية في روسيا "الهزائم". ولم يكن هو - بوضوح - من أنصار هذا الرأى، بينما لم أتوقف أنا أبداً عن الاعتقاد به، ولم أوفق إطلاقاً على تلك الأشياء المربعة التي حدثت في ظل هذا النظام، وذلك على غرار كثير من الشيوعيين الآخرين، غير أنك إذا فكرت في أن الشيوعية هي أعظم وأكبر من التاريخ البلدان المختلفة التي حدث أن تسنم فيها الشيوعيون السلطة، فعندها لن يكون هذا التاريخ علة كافية أو سبباً يبرر هجر القضية المختارة ونبذها.

هل أنا أسف على ذلك؟ لا أعتقد وأن كنت أدرك جيداً إن القضية التي اعتنقتها وأمنت بها قد ثبت أنها لم تجد طريقها إلى التنفيذ، وربما كان ينبغي ألا أختارها، ولكن - من الناحية الأخرى - إذا لم يؤمن الناس بمثل أعلى لعالم أفضل فعندها يخسرون شيئاً ما، وإذا كان المثل الأعلى الوحيد الذي يؤمن به الرجال والنساء يتمثل في الجري وراء السعادة الشخصية، من خلال نيل المزايا والممتلكات المادية فائزنا تصبح الإنسانية جنساً أو نوعاً منتقساً.

لقد استوقفت نظرى شخصية أندرو كارنيجي المليونير الأمريكى الوحيد الذى كان ملحداً وراديكالياً سياسياً، وقد قال ذات مرة "إن صاحب المليون الذى توافيه المنيه وهو صاحب ملايين فقد أضاع حياته سدى" ويعنى هذا وجود شيء آخر له معناه ومغناه بالإضافة إلى كون المرء ثرياً وشهيراً، وقد تكون هذه الرغبة أو لا تكون متصلة فى الطبيعة البشرية أو ملزمة لها، غير أنها كانت على وجه اليقين ظاهرة تاريخية منذ

القرن الثامن عشر فصاعداً، حاما بذات الإنسانية تدرك أن ثمة إمكانية لتحسين العالم وانعتاقه.

ولا تمثل المشكلة في الرغبة في عالم أفضل، بل في الاعتقاد بيتوبيا عالم كامل، والمفكرون الليبراليون محقون عندما يوضحون أن أسوأ الأمور المتعلقة لا بالشيوعية فحسب، وإنما جميع القضايا الكبرى هو أنها عظيمة لدرجة أنها تبرر جميع التضحيات التي تتم باسمها، سواء فرضها المرء على نفسه أو فرضت على الآخرين. وهذه الحجة الليبرالية صحيحة عندما تزعم أن أولئك الذين لديهم تطلعات معتدلة إلى العالم هم – فقط – الذين في وسعهم تقادى إزالة الأضرار الرهيبة ومعاناتها، وليس في مقدوري أن أتحاشي الشعور بأن الإنسانية لا يمكنها أن تعمل وتسير بدون كبار الآمال والعواطف المشبوبة، حتى عندما تنهمز وتنكسر هذه التجارب، ويغدو واضحاً أن الفعل الإنساني لا يستطيع إزالة البؤس الإنساني، وقد كان الثوريون العظام يدركونحقيقة أن بعض جوانب الحياة الإنسانية تتجاوز جهودهم، مثل عدم السعادة في الحب، لكن عندما يبلغ المرء السابسة عشر من عمره فإنه يعتقد في هذا ويؤمن به أيضاً.

وإذا نظرت إلى القضايا الكبرى التي اشتراك فيها ممن كانوا في مثل سني مثل الحرب لนาهضة النازية، فإنه يستحيل القول إن الثمن الذي دفع يتجاوز النتيجة التي تحققت، فهل كان يمكن، للعالم أن يكون أفضل ما لم نقاوم؟ لا أعتقد أنه يوجد شخص واحد اشتراك في تلك المعركة على استعداد اليوم، لكي يقول إنها لم تكن جديرة بذلك، وحتى مع تصور الأحداث بعد وقوعها أى مع إدراكتنا المتأخر، فإنه يستحيل إلا نعترف ونقر بأننا فعلنا قدرًا كبيرًا من الشر، ولكن فعلنا أيضًا قدرًا كبيرًا من الخير.

وال المشكلة ليست مشكلة التزام سياسي، بل بالأحرى طبيعة هذا الالتزام، فهل هو موجه صوب قضايا التtotior الكبرى : العقل، والتقدير، وتحسين أوضاع الإنسان؟ أو هو موجه نحو قضايا أخرى يمكن أن تستمد قوتها من مجرد طبيعتها العاطفية والشعورية على غرار النزعة القومية والعنصرية، وهذا النوعان من القضايا مختلفان وليس من النوع نفسه، وأعتقد أن الشيوعية تشكل جزءاً من موروث الحضارة الحديثة التي ترجع

جنورها إلى عصر التنوير وإلى الثورتين الأمريكية والفرنسية، ولست نادماً على ذلك، وعلى أية حال، فإن أولئك النشطاء الذين وجدوا في بلدان مثل إيطاليا أو بريطانيا العظمى لا يمكن اعتبارهم مسؤولين عما حدث في بلدان أخرى، ولا في روسيا على وجه اليقين، وأقصى ما يمكنني أن أقوله عنا هو أننا عرفنا في بعض الأحوال أو خمنا بالبداهة أشياء احتفظنا بها لأنفسنا، غير أنه كل ما كان في وسعنا أن نقوله لم يكن من الممكن أن يؤثر في الاتحاد السوفيتي.

- هل يراودك نوع من الحنين إلى القرن الذي شارف على نهايته؟ وهل تناصر ما قاله إ. برلين <sup>(١)</sup> Isaiah Berlin التفت إلى الوراء متطلعاً إلى القرن العشرين بوصفه أكثر القرون فضاعة في التاريخ العربي ولكن هل يمكن استخلاص أو استرداد شيء منه؟

- ما قاله أ. بيرلين حقيقة ولكنه ليس الحقيقة الكاملة، فقد كان قرناً حارقاً للعادة من أى وجهاً نظر كانت وليس مجرد كوارثه، والحق أن العالم في نهاية هذا القرن أفضل مما كان في مطلعه مع استثناءات طفيفة، وليس من الصواب إذن أن نطرح جانباً القرن العشرين باسره، فأطفال هذا القرن عاشوا في ظروف أفضل مادياً وروحياً مما عاشوا آباؤهم وأجدادهم.

وال المشكلة هي ماذا سوف يشبه المستقبل؟ ذلك هو مثار قلقى، ومن المؤكد أن الإنسانية - من الناحية التكنولوجية - سوف تواصل الاحتفاء بالانتصارات التي سوف تتحققها العبرية البشرية، كما سوف تكون في حال أفضل من الناحية الاقتصادية، وربما سوف تقدر على التكيف مع البيئة الجديدة ويتعلم استخدام القوى الهائلة الموضوعة تحت تصرفها دون أن تعمل على تدمير ذاتها وظروف الحياة كما نعرفها، وما إذا كانت ستفعل ذلك فعلاً وحقاً سوف يتوقف على اتخاذ قرارات سياسية شاملة وكونية وتلك مسألة أخرى.

(١) فيلسوف بريطاني (١٩٠٩ - ١٩٩٧) ولد في لاتفيا اهتم بتاريخ الأفكار، ومن أشهر أعماله كارل ماركس (١٩٣٩) و تربيع مقالات عن الحرية (١٩٥٩) و تيكيو وهربر (١٩٧٦). (م).

وقد تعرضنا فيما سبق لافتقاد وجود سلطات قادرة على اتخاذ قرارات كهذه، ولهذا لست واثقاً من إمكانيات حدوث ذلك، إلا أنه لا مثيل للخوف الذي يتضخم إلى درجة الذعر والهلع بفعل عملية الانتشار الذاتي للرعب، الذي تبته وسائل الإعلام، فهو وحده - أى ذلك الخوف - الذي يجعل باتخاذ إجراءات، ولا سيما في الولايات المتحدة التي تتمتع بحق النقض (الفيتو) في هذه المسائل. وإذا ما أسفر ارتفاع درجة الحرارة على النطاق الكوني وتصاعد منحنى الأعاصير والفيضانات عن مركب مرعب من الكوارث المناخية، فإن هذا الوضع يمكنه - ويمكّنه فقط - أن يفي ذات يوم بالغرض الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وما هو أكثر إزعاجاً - وليس لأسباب أخلاقية فقط - ذلك الاتساع المثير للمشاوير في ضروب التفاوت الاجتماعي والاقتصادي سواء داخل الدول أو فيما بين المناطق والبلدان الثرية على أساس أنه لا يهم اتساع الفجوة بين الأغنياء "على نحو جاد" وبقية الناس، ما دام الفقراء (أى أولئك الذين يحصلون على أقل من نصف متوسط الدخل القومي) في حال أفضل من الناحية المادية، وإن أدنى الفئات الاجتماعية لا تمثل على أى حال سوى أقلية ضئيلة من السكان، ولا أعتقد أنتا نستطيع أو ينبعى لنا أن نتفاوضى عن ذلك، فهل في وسعنا أن تكون راضين - فعلاً - عن وضع موجود في الولايات المتحدة ازدادت فيه نسبة أجر كبار المسؤولين التنفيذيين في الشركات إلى أجر عمال المصانع بعشرة أضعاف في أقل من عشرين عاماً، وبلغت في عام ١٩٩٨ رقماً غير عادي عبارة عن ١٠٤١٩ وفقاً لما ذكرته صحيفة International herald tribune في ٦ سبتمبر ١٩٩٩ . وهل قد ترتضى بالفعل وضعاً آخر يحصل فيه أفقراً ٢٠٪، بعد عقدين من الثراء القومي المذهل، على دخل أقل نسبة ١٠٪ (بعد احتساب التضخم) مما كان في عام ١٩٧٧ ؟

ومع ذلك - ومهما يكن من أمر - فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن الزيادة غير العادية في الفجوة العالمية بين الأغنياء والفقراء في حقبة أصولية السوق الحرة، وباجراء تقدير واحد، فإن الفتنة الطبيعية من سكان العالم البالغة نسبتها ٢٠٪ تتمتع بدخل يزيد ١٥٠ مرة عن دخل الفتنة الدنيا من السكان البالغة نسبتها ٢٠٪ كما جاء في الصحيفة المذكورة أعلاه بتاً - غيراً، وتواصل الفجوة الاتساع.

ومن الجلى أن بليون شخص يعيشون فى فقر مدقع إلى جانب بليون شخص يعيشون فى فخامة مطردة، وذلك فى كوكب يزداد صغرًا وتكاملاً على التوأم ولا يعد ذلك سيناريو يمكن استدامته وتحمله.

ولا يمكن أن يدوم أو يتحمل حتى ولو تحسن قليلاً الوضع الأساسى للبليون الذين يعيشون فى القاع، خاصة فى حقبة تتسم بتغير متسارع ووضع عالى غير مستقر بشكل لافت للنظر ولا يمكن التكهن به، والحق أن هذا قد يعني أنه من الأفضل لفقراء العالم أن ينظروا فى وضعهم وأن يشرعوا فى العمل بدلاً من تبديد وقتهم وقوتهم فى السعي وراء سد الرقم فى اليوم资料.

وعلاوة على ذلك، فإن استقطاب الثروة يضغط بشدة وقسوة على الطبقة الوسطى من السكان التى اعتمد الوضع الراهن السياسى والاجتماعى فى البلدان الرأسمالية وبصفة دائمة على رضائهما القنوع ولا سيما عندما تتعرض لزلزال اقتصادية التى تفرزها السوق الحرة العالمية غير المتحكم فيها، ومنذ أن سجل مقياس ريختر الاقتصادي فى تسعينيات القرن العشرين هزات متواضعة فقط فى أمريكا الشمالية والاتحاد الأوروبي، فإننا نميل إلى الحط من شأن التأثير المحتمل لمثل تلك التقلبات، وماذا عن انخفاض السوق الأمريكية أو الأوروبية للسيارات التى انخفضت أخيراً بنسبة ٤٠٪ في مدى عامين على غرار سوق السيارات البرازيلية منذ ١٩٩٧ ؟ (انظر *frankfurter allgemeine* في ٢٠/٩/١٩٩٩) وقبل الركود الذى شهدته سنوات ١٩٩٧ - ١٩٩٩ فإن ٦٪ من قراء إحدى الصحف فى كوريا الجنوبية اعتبروا أنفسهم ينتمون إلى "الطبقة العليا" و ٧٠٪ ينتمون إلى "الطبقة الوسطى" و ٢٤٪ ينتمون على "فئة نوى الدخل الأدنى"، وفي يونيو ١٩٩٩ فإن الأرقام المقلبة أصبحت : ١٪ و ٤٦٪ و ٥٣٪ ، وقد قال آنذاك حوالي نصف من تم استجوابهم فى هذا الاستفتاء إن انخفاض بقاربة الثلث منذ بداية الركود.

ويمثل خطورة هذا الاستقطاب المتنامي، فى ظل عالم يجرى اندماجه أو تكامله بطريقة واحدة عن طريق العولمة، فى أن العالم يزداد انقسامه بطريقة أو أخرى إلى غالبية من الدول فى وضع أدنى بصفة دائمة وأقلية من الدول تتمتع بامتيازات وترضى

عن نفسها، وتحظى هذه الأقلية بتفوق يتعزز ذاتياً في مجال الثروة والتكنولوجيا والقوة (بما في ذلك القوة العسكرية) وذلك التفوق والرضا الذاتي من المرجح لغاية أن يثير الشعور بالاستياء والامتعاض على نحو ما أثاره في الأيام الخوالي في زمن تفوق الإمبراطوريات، وربما ازداد هذا الاحتمال حالياً لأنه يمكن للمعلومات التي غدت متاحة أكثر من أي وقت مضى أن تجعل من الأيسر تبين أوجه التفاوت والتناقض، وحتى اليوم فإن هذين الفريقين من البشرية ليس في وسعها التفاهم أو تبادل الاتصالات فيما بينهما.

ولبيان الحرب التي شنتها الناتو على صربيا فإن أحد الصحفيين الإيطاليين - الذي أجرى مقابلة معه - هاله أن أدللي بالديهيات عندما قلت : إن مناقشة مشروعية هذا الحرب، برغم أنها ملحة ومبررة لا تعد.

مناقشة عالمية وإنما هي تتعلق بالمركزية الأوروبية قديمة الطراز أو بالأحرى قضية شمال الأطلنطي... وبالنسبة للشطر الأعظم من العالم، بما في ذلك المثقفون فإن هذه القضية لا شأن لها بالموضوع الأساسي، الذي يعتبره معظمهم بمثابة عملية إمبراطورية الغرب في البلقان... ولا تعنيهم مسألة ما إذا كانت حرباً عادلة أو كيف يمكن تبريرها... ولا تدرج هذه المسألة في اهتمام المثقفين في الصين أو الهند أو أمريكا اللاتينية، لعدم اعتقادهم - ببساطة - أنها تمثل حرباً من نوع جديد.

وعلى المنوال نفسه تقريراً فإن المراقبين في العالم الثالث وجدوا أنه يكاد يكون من غير المتصور عقلياً ألا يعد ضرب السفاراة الصينية في بلغراد بالقنابل تكيداً للهيمنة العالمية، وأنه مجرد مثال - وإن كان الحق يقال مثالاً صارخاً - على عدم الكفاءة العسكرية - البيروقراطية.

ومن الناحية الجوهرية فإن هذين العالمين لا يتحثان اللغة نفسها، لأنهما عندما يلتقيان فإن ما يستطيع أن يراه العالم الفقير في العالم الغني هو تفوقه الكاسح، وربما المطلق : وتتكيد له لصالحه الخاص - الثراء والتكنولوجيا والقوة. ولا يساورني كثيراً من الشك في أن تلك هي الطريقة التي يبعدها تدخل الأمم المتحدة في تيمور الشرقية

في نظر معظم السكان - جنوب وجنوب شرق آسيا - الذين اهتموا به حتى ولو كانت حجتها - على خلاف ما حدث في كوسوفا - تبدو مقنعة باستخدام المعايير المقبولة في المنطقة.

وبالعكس فإننا نواجه باطراد بالمنظرين الإيديولوجييin الغربيين - وهنا يرد على الخاطر المستر فوكوياما، الدكتور بانجلوس Pangloss<sup>(١)</sup> عام ١٩٩٠ - الذين يرون أن تفوق العالم الغني يعبر ببساطة عن اكتشافه لأفضل الخطط الممكنة كافة من أجل ترتيب الشئون الإنسانية، كما أثبت ذلك انتصاره التاريخي، ويقول أبسط فإن هؤلاء المنظرين الإيديولوجييin على اقتناع بأن الغربيين يعرفون أفضل من غيرهم - وهو أمر بعيد عن أن يكون بدليهياً - وكما يبين السجل التراجيدي للمستشارين الاقتصاديين الغربيين في روسيا ما بعد السوفيتية، فإنه قد يشق على الأكاديميين الأذكياء وحسنii البنية حتى أن يدركون ماذا يحدث في بيئات مختلفة عن بينتهم، والتي شكلتها تلك الأحداث التاريخية والثقافات المختلفة.

والحق أنه في عالم مليء بكل هذه التفاوتات فإن تعيش في مناطق متميزة يجعلك فعلياً في عزلة عن الخبرات التجارب - بصرف النظر عن ردود الأفعال - التي يعيشها الناس الذين يوجدون خارج هذه المناطق، ويقتضي الأمر بذلك جهد تخيلي ضخم وتغيير قدر هائل من المعلومات والمعارف للتخلص من معازلنا المريحة والمحمية والمنهكة في شئونها الذاتية، والولوج إلى العالم الأوسع غير المريح وغير المحمى الذي تقطنه غالبية الجنس البشري، ونحن معزولين عن هذا العالم حتى ولو كان المجموع الكلى للمعلومات المكذبة سهل المثال في كل مكان بمجرد الضغط على الزر أو استعمال "ماوس" الكمبيوتر، حتى ولو وصلتنا الصور من أقصى نقاط العمورة في جميع الأوقات، - ليلاً وإنهاراً - ولو أكثرنا من السفر وتجولنا في الحضارات المختلفة بأكثر من ذى قبل.

ذلك هو التناقض الظاهري للقرن الحادى والعشرين المعلوم.

(١) مصييات كانبير أو التقاول لفولتير (١٧٥٩) التي ترمي إلى التقاول الشديد برغم أي شيء آخر(م).

بيد أن هناك جانباً، آخر للمستقبل لا أستطيع أن أتوقع إبعاده بأى قدر من الوضوح ويتعلق بالعلاقات السياسية والثقافية.

لقد دمرت الديناميكية غير العادية للاقتصاد الذى نعيش فيه الكثير من الطول والهيكل، التى كانت متوفرة لنا فى الماضى، مما يلقى بعدد متزايد من الرجال والنساء فى وضع لا يمكنهم من الاحتكام إلى معايير واضحة والتطلع إلى آفاق مختلفة والتمسك بقيم مشتركة، وهو وضع لا يعرفون فيه ماذا يفعلون بوجودهم الفردى والجماعى.

ويصدق ذلك على مؤسسات مثل الأسرة وكذلك على مؤسسات السياسية التى هي ركائز الحضارة وعمدها والتى يسميه هير ماس *Habermas* "المجال العام". فالسياسة والأحزاب والصحف والمنظمات والهيئات التمثيلية (النيابية) والدول : لا يعمل أى منها بالطريقة التى كانت متبرعة من قبل، والتى افترضنا أنها يمكن أن تواصل العمل لزمن طويل قادم، فمستقبلها مبهم؛ ولهذا السبب فإننى لا أستطيع مع مستadar قرن ومطلع قرن جديد أن أتطلع إلى المستقبل بتفاؤل كبير.



## المؤلف في سطور

إريك هوبيسوبوم

وُلد في الإسكندرية عام ١٩١٧ ، ويُعد من أشهر المؤرخين الأوروبيين المعاصرين تخصصاً في تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، له إسهاماته المهمة في التاريخ العمالى البريطانى وفي دراسة التمردات الفلاحية وهبات المزارعين فى الفترة السابقة على العصر الصناعي ، وهو من الرواد الذين درسوا التاريخ فى حركته بين الجماهير وعامة الناس الصانعة لأحداث التاريخ .

وهو كاتب غزير الإنتاج ، خصب القرحة ، رفيع الثقافة ، تصفه المراجع العلمية بالصانع الماهر ، ولقد أكسبته ثلاثيته الشهيرة مكانة علمية جعلته يتربع على عرش التاريخ الأوروبي .



## **المشروع القومى للترجمة**

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى بالإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركبة الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعرفة الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تخضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المתרגمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .



## المشروع القو من للترجمة

- |  |  |   |
|--|--|---|
| <p>أحمد درويش</p> <p>أحمد فؤاد بلبع</p> <p>شوقي جلال</p> <p>أحمد الحضري</p> <p>محمد علاء الدين منصور</p> <p>سعد مصلوح وفاء كامل فايد</p> <p>يوسف الأنطكي</p> <p>مصطفى ماهر</p> <p>محمود محمد عاشور</p> <p>محمد عتمان وبعد الجليل الأزدي وعمر حل</p> <p>هنا عبد الفتاح</p> <p>أحمد محمود</p> <p>عبد الوهاب علوب</p> <p>حسن المولى</p> <p>أشرف رفيق عتيقى</p> <p>يلشارف تحمد عثمان</p> <p>محمد مصطفى بدوى</p> <p>طلعت شاهين</p> <p>نجم عطية</p> <p>يمنى طريف الخولي وبعدى عبد الفتاح</p> <p>ماجدة العتاني</p> <p>سيد أحمد على الناصرى</p> <p>سعید توفيق</p> <p>بكر عباس</p> <p>إبراهيم الدسوقي شتا</p> <p>أحمد محمد حسين هيكل</p> <p>ياشراف: جابر مصطفى</p> <p>منى أبو سنة</p> <p>بدر الدين</p> <p>أحمد فؤاد بلبع :</p> <p>عبد السلطان الطوخي وبعد الوهاب علوب</p> <p>مصطفى إبراهيم فهمي</p> <p>أحمد فؤاد بلبع</p> <p>حصة إبراهيم المنيف</p> <p>خليل كفت</p> <p>حياة جاسم محمد</p> | <p>چون کوین</p> <p>ک. مادھو بانیکار</p> <p>چرچ جیس</p> <p>إنجا کاریتیکوٹا</p> <p>إسماعیل فصیح</p> <p>میلکا اپیتش</p> <p>لوسیان غولمان</p> <p>ماکس فریش</p> <p>أندرو. س. جودی</p> <p>چیرار چینت</p> <p>ثیساواٹا شیمبوریسکا</p> <p>یشید براونیستین وایرین فرانک</p> <p>بوبرتسن سمیت</p> <p>چان بیلمان نوول</p> <p>ابوارد لوس سمعیت</p> <p>مارتن برثال</p> <p>شلیپ لارکین</p> <p>مختارات</p> <p>چورج سفیریس</p> <p>ج. ج. کراوثر</p> <p>حمد بهرنجی</p> <p>چون انتیس</p> <p>ہائز جیبورج جادامر</p> <p>باتریک پارندر</p> <p>مولانا جلال الدین الرومي</p> <p>محمد حسین هيكل</p> <p>مجموعه من المؤلفين</p> <p>چون لوك</p> <p>چیمس ب. کارس</p> <p>ک. مادھو بانیکار</p> <p>جان سوفارجیه - کلود کاپن</p> <p>یشید روپ</p> <p>آ. ج. هویکنز</p> <p>درج آن</p> <p>پول ب. دیکسون</p> <p>والاس مارتین</p> | <p>اللغة العليا</p> <p>الوثبة والإسلام (١٦)</p> <p>الترااث المسروق</p> <p>كيف تم كتابة السيناريو</p> <p>ثيريا في غيبوبة</p> <p>اتجاهات البحث اللسانى</p> <p>العلوم الإنسانية والفلسفة</p> <p>مشعل الحرائق</p> <p>التغيرات البيئية</p> <p>خطاب الحكاية</p> <p>مختارات شعرية</p> <p>طريق الحرير</p> <p>بيانة الساميين</p> <p>التحليل النفسي للأدب</p> <p>الحركات الفنية منذ ١٩٤٥</p> <p>اثيبة السوداء (ج١)</p> <p>مختارات شعرية</p> <p>الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية</p> <p>الأعمال الشعرية الكاملة</p> <p>قصة العلم</p> <p>خوقة وألق خوقة وقصص أخرى</p> <p>مذكرات رحلة عن المصريين</p> <p>تجلى الجميل</p> <p>ظلال المستقبل</p> <p>مثنوى (٦ أجزاء)</p> <p>دين مصر العام</p> <p>التنوع البشري الخلائق</p> <p>رسالة في التسامح</p> <p>الموت والوجود</p> <p>الوثبة والإسلام (٤٦)</p> <p>مصادر دراسة التاريخ الإسلامي</p> <p>الانقراض</p> <p>التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية</p> <p>رواية العربية</p> <p>الأسطورة والحداثة</p> <p>نظريات السرد الحديثة</p> |
|--|--|---|

- جمال عبد الرحيم -٢٧  
 أنور مغيث -٢٨  
 منيرة كروان -٢٩  
 محمد عبد إبراهيم -٣٠  
 عاطف أحمد وإبراهيم فتحى و محمود ماجد -٣١  
 أحمد محمود -٣٢  
 المهدى آخريف -٣٣  
 مارلين تادرس -٣٤  
 أحمد محمود -٣٥  
 محمود السيد على -٣٦  
 مجاهد عبد المنعم مجاهد -٣٧  
 ماهر جوهرجاتى -٣٨  
 عبد الوهاب علوب -٣٩  
 محمد براة و عثمانى المليون و يوسف الأنصى -٤٠  
 محمد أبو العطا -٤١  
 لطفى فطيم و عادل دمرداش -٤٢  
 مرسى سعد الدين -٤٣  
 محسن مصيلحى -٤٤  
 على يوسف على -٤٥  
 محمد على مكى -٤٦  
 محمد السيد و ماهر البطرى -٤٧  
 محمد أبو العطا -٤٨  
 السيد السيد سهيم -٤٩  
 صبرى محمد عبد الغنى -٥٠  
 بإشراف : محمد الجوهري -٥١  
 محمد خير البقاعى -٥٢  
 مجاهد عبد المنعم مجاهد -٥٣  
 رمسيس عوض -٥٤  
 رمسيس عوض -٥٥  
 عبد اللطيف عبد الحليم -٥٦  
 المهدى آخريف -٥٧  
 أشرف الصياغ -٥٨  
 أحمد فؤاد متولى وهودا محمد فهمى -٥٩  
 عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد -٦٠  
 حسين محمد -٦١  
 فؤاد مجلبي -٦٢  
 حسن ناظم وعلى حاكم -٦٣  
 حسن بيومى -٦٤
- بروچيت شیفر -٢٧  
 آلن تورین -٢٨  
 پیتر والکوت -٢٩  
 آن سکستون -٣٠  
 پیتر جران -٣١  
 بنجامین باربر -٣٢  
 اوکاتانیو پاٹ -٣٣  
 الپوس هکسلی -٣٤  
 رویرت بینا وجون فاین -٣٥  
 پابلو نیرودا -٣٦  
 رونیه ویلیک -٣٧  
 فرآنسوا دوما -٣٨  
 ه . ت . نوریس -٣٩  
 جمال الدين بن الشیخ -٤٠  
 داريو بیانوپیا رخ . م . بیانیالیستی -٤١  
 ب . نیالاپیس وس . یوجسیلیت نیدرجل . یل -٤٢  
 ا . ف . النجتون -٤٣  
 ج . مایکل والتتن -٤٤  
 چون بلاکچیوم -٤٥  
 فلیریکو غرسیه لورکا (۱) -٤٦  
 فلیریکو غرسیه لورکا (۲) -٤٧  
 فلیریکو غرسیه لورکا -٤٨  
 کارلوس موئیت -٤٩  
 چوهانز ایتن -٤٩  
 شارلوت سیمپور - سمیت -٤١  
 رولان بارت -٤٢  
 رونیه ویلیک -٤٣  
 آلان رود -٤٤  
 برتراند راسل (سیرة حیاة) -٤٥  
 برتراند راسل (مذکوٰر) -٤٦  
 انطونیو جالا -٤٧  
 فرناندو بیسوا -٤٨  
 ٹالنتین واسیوین -٤٩  
 عبد الرشید إبراهيم -٤٩  
 أrixينير تشانج روبریچت -٥٠  
 داریو فو -٥١  
 ت . س . الیوت -٥٢  
 چین ب . تومیکنز -٥٣  
 ل . ا . سیمینویا -٥٤
- واحدة سبعة وموسيقىاما -٢٧  
 نقد الحداثة -٢٨  
 الحسد والإغريق -٢٩  
 قصائد حب -٣٠  
 ما بعد المركزية الأوروبية -٣١  
 عالم ماك -٣٢  
 الهب المزدوج -٣٣  
 بعد عدة أصياف -٣٤  
 التراث المغير -٣٥  
 عشرين قصيدة حب -٣٦  
 تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج1) -٣٧  
 حضارة مصر الفرعونية -٣٨  
 الإسلام في البلقان -٣٩  
 ألف ليلة وليلة أو القول الأسير -٣٩  
 مسار الرواية الإسبانية أمريكية -٤١  
 العلاج النفسي التداعي -٤٢  
 الدراما والتعليم -٤٣  
 المفهوم الإغريقي للمسرح -٤٤  
 ما وراء العلم -٤٥  
 الأعمال الشعرية الكاملة (ج1) -٤٦  
 الأعمال الشعرية الكاملة (ج2) -٤٧  
 مسرحيتان -٤٨  
 المجرة (مسرحية) -٤٩  
 التصميم والشكل -٤٩  
 موسوعة علم الإنسان -٥١  
 لذة النص -٥٢  
 تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج2) -٥٣  
 برتراند راسل (سیرة حیاة) -٥٤  
 في مدح الكسل ومقابلاته أخرى -٥٥  
 خمس مسرحيات أندلسية -٥٦  
 مختارات شعرية -٥٧  
 تنانشا العجوز وقصمن آخرى -٥٨  
 التعليم الإسلامي في قلائل القرن العشرين -٥٩  
 ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية -٦٠  
 السيدة لا تصلح إلا للرمى -٦١  
 السياسي العجوز -٦٢  
 نقد استجابة القارئ -٦٣  
 مصالح الدين والملك في مصر -٦٤

- أحمد درويش  
عبد المقصود عبد الكريم  
مجاهد عبد المنعم مجاهد  
أحمد محمود ونوراً أمين  
سعيد الفانسي وناصر حاردي  
مكارم الغمرى  
محمد طارق الشرقاوى  
محمود السيد على  
خالد العالى  
عبد الحميد شيخة  
عبد الوارد بركات  
أحمد فتحى يوسف شتا  
ماجدة العنانى  
إبراهيم الدسوقي شتا  
أحمد زايد ومحمد محى الدين  
محمد إبراهيم ببروك  
محمد هناء عبد الفتاح  
نادية جمال الدين  
عبد الوهاب علوب  
فريدة العشماوى  
سرى محمد عبد اللطيف  
إنوار الغراظ  
بشير السباعى  
أشرف الصياغ  
إبراهيم قنديل  
إبراهيم فتحى  
رشيد بنحو  
عن الدين الكتانى الإدريسى  
محمد بنیس  
عبد الغفار مكارى  
عبد العزىز شبل  
أشرف على دعور  
محمد عبد الله الجعیدى  
محمود على مکى  
هاشم أحمد محمد  
منى قطان  
روهام حسين إبراهيم  
إكرام يوسف
- أندريه موروا  
مجموعة من المؤلفين  
ريثي ويليك  
رونالد روبرتسون  
بوريس أوسپنسكى  
ألكسندر بوشكين  
بندران اندرسن  
ميجل دى أونامونو  
غوفرييد بن  
مجموعة من المؤلفين  
صلاح ذكى أقطاى  
جمال مير صادقى  
جلال آل أحداد  
جلال آل أحداد  
أنتونى جيدنز  
بروجيس وأخرين  
باريرا لاستسكا - بشوباك  
كارلوس ميجيل  
مايك فيذرستون وسكوت لاش  
صموئيل بيكت  
أنطونيو بوريلو بايلخو  
ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى نخبة  
فرنان برودل  
هوية فرنسا (مح)  
الهم الإنساني والإيتزا الصهيوني مجموعة من المؤلفين  
ديفيد روينسون  
بول هيرست وجراهام تومبسون  
بيرنار فالب  
عبد الكبير الخطيبى  
عبد الوهاب المؤذب  
برتوس بريشت  
أوريما هاجوجنى (مسرحية)  
جيبراجينيت  
ماريا خيسوس روبيرامى  
صورة للناس فى الشعر التركى للآتىش الماسى نخبة من الشعراء  
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى مجموعة من المؤلفين  
چون بولوك وعادل درويش  
حسنة بيرجم  
فرانسنس هيدين  
أرلين علرى ماكليود
- فن الترائم والسير الذاتية  
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي  
تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ ٣)  
العزلة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكوبية  
بوشكين عند «نافورة الدمع»  
الجماعات المتختلة  
مسرح ميجيل  
مخترات شعرية  
موسوعة الأدب والنقد (جـ ١)  
منصور الحالج (مسرحية)  
طول الليل (رواية)  
نون والقلم (رواية)  
الابتلاء بالنقوب  
الطريق الثالث  
رسم السيف وقصص أخرى  
المسرح والتجربة بين النظرية والتطبيق  
لابواب مخامن المسرح الإسبانى الماسى  
حدثات العولمة  
مسرحيتا الحب الأول والصحبة  
مخترات من المسرح الإسبانى  
ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى نخبة  
هوية فرنسا (مح)  
الهم الإنساني والإيتزا الصهيوني  
تاريخ السينما العالمية (١٩٦٠-١٩٩٥) (ديفيد روينسون  
مساطة العولمة  
النص الروانى: تقنيات ومنهج  
السياسة والتسامح  
قبر ابن عربى يليه آيات (شعر)  
برتوس بريشت  
جيبراجينيت  
الأدب الأندلسى  
صورة للناس فى الشعر التركى للآتىش الماسى نخبة من الشعراء  
ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى مجموعة من المؤلفين  
حروب المياه  
النساء فى العالم النامى  
المراة والجريمة  
الاحتجاج الهدائى
- ٧٥  
-٧٦  
-٧٧  
-٧٨  
-٧٩  
-٨٠  
-٨١  
-٨٢  
-٨٣  
-٨٤  
-٨٥  
-٨٦  
-٨٧  
-٨٨  
-٨٩  
-٩٠  
-٩١  
-٩٢  
-٩٣  
-٩٤  
-٩٥  
-٩٦  
-٩٧  
-٩٨  
-٩٩  
-١٠٠  
-١٠١  
-١٠٢  
-١٠٣  
-١٠٤  
-١٠٥  
-١٠٦  
-١٠٧  
-١٠٨  
-١٠٩  
-١١٠  
-١١١  
-١١٢

- أحمد حسان  
تسيم مجل  
سمية رمضان  
نهاد أحمد سالم  
مني إبراهيم وهالة كمال  
ليس النقاش  
ياشراوف: روف عباس  
مجموعة من المترجمين  
محمد الجندي وإيزابيل كمال  
منيرة كروان  
أنور محمد إبراهيم  
أحمد فؤاد بلبع  
سمحة الخولي  
عبد الوهاب علىب  
 بشير السباعي  
أميرة حسن نورية  
محمد أبو العطا وأخرين  
شوقى جلال  
لويس بقطر  
عبد الوهاب علىب  
طلعت الشايب  
أحمد محمود  
ماهر شفيق فريد  
سحر توفيق  
كاميليا صبمى  
وجيه سمعان عبد المسيح  
محطفى ماهر  
أمل الجبورى  
تيم عمطية  
حسن بيومى  
على السمرى  
سلامة محمد سليمان  
أحمد حسان  
على عبد الرؤوف اليمى  
عبدالنفار مكاوى  
على إبراهيم منوفى  
اسامة إسبر  
منيرة كروان
- سادى بالات  
مسرحيتا حصل كنجى وسكن المستنقع وول شونيكا  
غرفة تخص المرأة وحده  
فريجينا ولاف  
سبيثيا نلسون  
امرأة مختلفة (دربة شقيق)  
المرأة والجنسية في الإسلام  
النضوة النسائية في مصر  
النساء والآسرة وتراث العلاقة في التاريخ الإسلامي أميرة الأزفري سنبل  
الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليليان أبو لقد  
الدليل الصنفين في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
نظام القيمة الديموقراطي المثال للإحسان چوزيف فوجت  
الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنييل الكسندر وفناولينا  
اللجر الكاتبة: أيام الرأسمالية العالمية چون جرائى  
التحليل الموسيقى سيدريك ثوب بيفش  
فن القراءة ٹوللانچ إيسن  
صفاء فتحى  
سوزان باستيت  
ماريا نولوس أسبس جاروته  
أندريه جوندر فرانك  
مجموعة من المؤلفين  
مايك فينرستون  
طارق على  
بارى ج. كيمب  
ت. س. إلبيت  
كينيث كونو  
چوزيف ماري موارة  
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكمان  
ريتشارد فاجنر  
هورت ميسن  
مجموعة من المؤلفين  
أشتراشر عشرة مسرحية يونانية  
أ. م. فورستر  
ديرك لايدر  
كارلو جوالدونى  
كارلوس فرينتس  
موت أرتيميو كروث (رواية)  
الورقة الحمراء (رواية)  
ميجيل دي ليبس  
ثانكريد بورست  
مسرحيتان  
القصة القصيرة: النظرية والتقدمة إبرىكى أندرسن إمبرت  
النظرة الشعرية عند إلبيت وأندريس عاطف فضول  
 التجربة الإغريقية روبيرت ج. ليتمان
- ١١٣ - رأى التمرد .  
١١٤ - مسرحيتا حصل كنجى وسكن المستنقع وول شونيكا .  
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده فريجينا ولاف .  
١١٦ - امرأة مختلفة (دربة شقيق) سبيثيا نلسون .  
١١٧ - المرأة والجنسية في الإسلام ليليان أبو لقد .  
١١٨ - النضوة النسائية في مصر بث بارون .  
١١٩ - النساء والآسرة وتراث العلاقة في التاريخ الإسلامي أميرة الأزفري سنبل .  
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليليان أبو لقد .  
١٢١ - الدليل الصنفين في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى .  
١٢٢ - نظام القيمة الديموقراطي المثال للإحسان چوزيف فوجت .  
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنييل الكسندر وفناولينا .  
١٢٤ - اللجر الكاتبة: أيام الرأسمالية العالمية چون جرائى .  
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثوب بيفش .  
١٢٦ - فن القراءة ٹوللانچ إيسن .  
١٢٧ - إرهاب (مسرحية) .  
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باستيت .  
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولوس أسبس جاروته .  
١٣٠ - الشرق يقصد ثانية أندريه جوندر فرانك .  
١٣١ - مصر القديمة: التاريخ الاجتماعي مجموعة من المؤلفين .  
١٣٢ - ثقافة العزة مايك فينرستون .  
١٣٣ - الخرف من المرايا (رواية) طارق على .  
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب .  
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إلبيت .  
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو .  
١٣٧ - مذكرات خاطب في العملة الفرنسية على مصر چوزيف ماري موارة .  
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكمان .  
١٣٩ - بارسيفال (مسرحية) ريتشارد فاجنر .  
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهاres هورت ميسن .  
١٤١ - أشتناشر عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين .  
١٤٢ - الإسكندرية: تاريخ ودليل أ. م. فورستر .  
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي ديرك لايدر .  
١٤٤ - صاحبة اللكاندة (مسرحية) كارلو جوالدونى .  
١٤٥ - موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فرينتس .  
١٤٦ - الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دي ليبس .  
١٤٧ - مسرحيتان ثانكريد بورست .  
١٤٨ - القصة القصيرة: النظرية والتقدمة إبرىكى أندرسن إمبرت .  
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إلبيت وأندريس عاطف فضول .  
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبيرت ج. ليتمان .

- بشير السباعي  
محمد محمد الخطابي  
فاطمة عبدالله محمود  
خليل كفت  
أحمد مرسى  
من التمسانى  
عبدالعزيز بقشيش  
بشير السباعي  
إبراهيم فتحى  
حسين بيومى  
زيдан عبد الحليم زيدان  
صلاح عبد العزيز حجوب  
ياشراط: محمد الجومرى  
نبيل سعد  
سهير المصايفه  
محمد محمود أبوغدير  
شكري محمد عياد  
شكري محمد عياد  
شكري محمد عياد  
بسام ياسين رشيد  
هدى حسين  
محمد محمد الخطابي  
إمام عبد الفتاح إمام  
أحمد محمود  
وجيه سمعان عبد المسيح  
جلال البناء  
حصنة إبراهيم المنيف  
محمد حمدى إبراهيم  
إمام عبد الفتاح إمام  
سليم عبد الأمير حمدان  
محمد يحيى  
باسين طه حافظ  
فتحى المشرى  
دسوقى سعيد  
عبد الوهاب علوب  
إمام عبد الفتاح إمام  
محمد علاء الدين منصور  
بدر الدبى
- فرنان برودل  
مجموعة من المؤلفين  
فيولين فاتويك  
فيل سليتر  
نخبة من الشعراء  
چى أتى بال لأن وأربيت ثيرو  
النظامى التجووى  
فرنان برودل  
ديفيد هوكن  
پول إبريليش  
اليخاندو كاسوتا وأنطونيو جالا  
يوحنا الأسيپى  
جوردون مارشال  
چان لاكتينر  
أ.ن. أفاناسيفا  
يشماهور ليقمان  
رابينرات طاغور  
مجموعة من المؤلفين  
مجموعة من المؤلفين  
مجيبل دليليس  
فراونك بيجو  
نخبة  
واتر. ستيس  
إيليس كاشمور  
لوريزرو فيلاشس  
تم تعييرج  
هنرى تروايا  
نخبة من الشعراء  
ايسبوب  
إسماعيل فمبع  
فنسنت ب. لينش  
وب. بيتس  
ريبيه جيلسون  
هانز إيندورفر  
توماس تووسن  
ميغائيل إنوره  
بُدرج على  
الثفن كرمان  
هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)  
عدالة الهند وقصص أخرى  
غرام القراءة  
مدرسة فرانكفورت  
الشعر الأمريكي المعاصر  
المدارس البمالية الكبرى  
خسر وشيران  
هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)  
الأبيولوجية  
آل الطبيعة  
مسرحيات من المسرح الإسباني  
تاريخ الكنيسة  
موسوعة علم الاجتماع (ج ١)  
شامبوليون (حياة من ثور)  
حكايات الثعلب (قصص أطفال)  
العلاقات بين التقىن والطباين فى إسرائيل  
فى عالم طاغور  
دراسات فى الأدب والثقافة  
ابداعات أدبية  
الطريق (رواية)  
وضع حد (رواية)  
حجر الشمس (شعر)  
معنى الجمال  
صناعة الثقافة السوداء  
التليفزيون فى الحياة اليومية  
نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية  
أنطون تشيكوف  
مخترات من الشعر اليابانى الحديث  
حكايات أيسوب (قصص أطفال)  
قصة جاود (رواية)  
الله الائمى الأمريكى من التقىن إلى التقىن  
العنف والبنوة (شعر)  
چان كوكتر على شاشة السينما  
القاهرة: حالة لا تنام  
أسفار العهد القديم فى التاريخ  
معجم مصطلحات هيجل  
الأرضة (رواية)  
موت الأدب

- ١٨٩- النس والبسيره: مقالات في بلادة النقد المعاصر بول دي مان
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
- ١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وأخرين
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراغي
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهمز
- ١٩٤- مختارات من النقد الأدبي-أمريكي الحديث مجموعة من النقاد
- ١٩٥- شناء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) ثالثتين راسبوتين
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلامة شبل التعماني
- ١٩٨- الاتصال الجماهيري إدوبن إمرى وأخرين
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية يعقوب لانداو
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل چيرمى سيبيروك
- ٢٠١- الجائب الدين الفلسطنى جوزايا رويس
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأربعى الحديث (ج٤) رينيه ويلك
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى
- ٢٠٤- تاريخ تقد العهد القديم زالمان شازار
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لوچيان لوقا كافاللى- سفورزا
- ٢٠٦- البيولية تصنع علمًا جديداً چيمس جلايك
- ٢٠٧- لبل أفريقي (رواية) رامون خوتاستنير
- ٢٠٨- شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي دان أدريان
- ٢٠٩- المسرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنانى (شعر) ستانى الغزوى
- ٢١١- فريبنان نوسوسير جوناثان كلر
- ٢١٢- تضمن الأمير مرتzan على لسان الحيوان مرتzan بن رستم بن شربين
- ٢١٣- مصر منذ قديم تابلين حتى وجيء ميدان التisser ريمون فلاور
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع أنتونى جيدنز
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغي
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
- ٢١٧- مسرحيتان طليبيتان صموئيل بيكت ومارولد بيتر
- ٢١٨- لعبة المجلة (رواية) خوليوب كورنثيان
- ٢١٩- بقایا الیوم (رواية) کائز ایشجورو
- ٢٢٠- البيولية في الكتب بارى پارکر
- ٢٢١- شعرية كافافي جرجيجوري جوزدانيس
- ٢٢٢- فرانز كافاكا دوناك جراي
- ٢٢٣- العلم في مجتمع حر باول فيرابند
- ٢٢٤- نمار يوخسلافيا برانكا ماجاس
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابريل جارثيا ماركبيث
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى بيشيد هربت لورانس
- سعید الفانسى  
محسن سيد فرجانى  
محطفى حجازى السيد  
محمود علاوى  
محمد عبد الواحد محمد  
 Maher شقيق فريد  
محمد علاء الدين منصور  
أشرف الصباغ  
جلال السعيد الحفناوى  
إبراهيم سلامة إبراهيم  
جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد  
خنزى لبيب  
أحمد الأنصارى  
مجاحد عبد المنعم مجاهد  
جلال السعيد الحفناوى  
أحمد هويدى  
أحمد مستجير  
على يوسف على  
محمد أبو العطا  
محمد أحمد صالح  
أشرف الصباغ  
يوسف عبد الفتاح فرج  
 محمود حمدى عبد الفتى  
يوسف عبد الفتاح فرج  
سيد أحمد على الناصرى  
محمد محى الدين  
محمود علاوى  
أشرف الصباغ  
نادية البتهارى  
على إبراهيم منوفى  
طلعت الشايب  
على يوسف على  
رفعت سلام  
نسيم مجلى  
السيد محمد تقادى  
منى عبد الظاهر إبراهيم  
السيد عبد الظاهر السيد  
ظاهر محمد على البربرى

- السيد عبد الناظر عبد الله
- ماري تيريز عبد المسبيح وخالد حسن
- أمير إبراهيم العمري
- مصطفى إبراهيم فهمي
- جمال عبدالرحمن
- مصطفى إبراهيم فهمي
- طلعت الشايب
- فؤاد محمد عكود
- إبراهيم الدسوقي شتا
- أحمد الطيب
- عنایات حسین طلعت
- یاسر محمد جادالله وعمری مدبولی احمد
- نادیة سليمان حافظ وإیهاب صلاح فایق
- صلاح مجحوب إبریس
- ایتسام عبدالله
- صبری محمد حسن
- باشراف: صلاح فضل
- نادیة جمال الدين محمد
- توقف على منصور
- على ابراهيم منوفي
- محمد طارق الشرقاوى
- عبداللطيف عبد الحليم
- رفعت سلام
- ماجدة محسن أباظة
- باشراف: محمد الجوهري
- على بدران
- حسن بيبي
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمود سيد أحمد
- عيادة كحبيله
- فاروجان كازانجيان
- باشراف: محمد الجوهري
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد أبو العطا
- على يوسف على
- لويس عوض
- خوسيه ماريا ديث بورکي
- چانیت ولوف
- نیرمان کیجان
- فرانسواز چاکوب
- خایمی سالیم بیدال
- توم ستونیر
- فكرة الانضاحل في التاريخ النروي أثر هیرمان
- الإسلام في السودان ج. سینتر ترینجهام
- مولانا جلال الدين الرومي
- میشیل شودکیفیتش
- روین فیدین
- تتریز لنظمۃ الانکشار
- جیلا رامراز - رایخ
- کای حافظ
- فی انتظار البرایبرة (رواية) ج . م. کوتزی
- ولایم ایمسون
- لیفی بروفسال
- لورا ایسکیبل
- الیزاپیتا آئیس وأخرون
- جاپریل جارثیا مارکیٹ
- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر والتر أرمبرست
- حقول عن الخضراء (مسرحية) انطونيو جالا
- دراجو شتمابوك
- دومنیک فینک
- چوردون مارشال
- مارجو بدران
- ل. ا. سیمینوٹا
- دیف روینسون وجوہی جروفز
- دیف روینسون وجوہی جروفز
- دیف روینسون وکریس جارات
- ولایم کلی رایت
- سین انجوس فریند
- نخبة
- چون جرین
- موراس وشلی
- تاریخ الملاسفة الحديثة
- اقدم لك الفلسفة
- اقدم لك: أنا لاطون
- اقدم لك: بیکارت
- النجر
- مخترات من الشعر الأرمني عبر العصور
- موسوعة علم الاجتماع (جـ ۲)
- رحلة في فكر زكي نجيب محمود
- مدينة المجرفات (رواية)
- الكشف عن حافة الزمن
- ابداعات شعرية مترجمة
- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
- ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
- ٢٢٩- مازق البطل الوحيد
- ٢٣٠- عن النباب والفنران والبشر
- ٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) خایمی سالیم بیدال
- ٢٣٢- ما بعد المعلومات
- ٢٣٣- فكرة الانضاحل في التاريخ النروي أثر هیرمان
- ٢٣٤- الإسلام في السودان ج. سینتر ترینجهام
- ٢٣٥- دیوان شمس تبرینی (جـ ۱)
- ٢٣٦- الولایة
- ٢٣٧- مصر أرض الوادي
- ٢٣٨- العولمة والتحرير
- ٢٣٩- العرب في الأدب الإسرائيلي جیلا رامراز - رایخ
- ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية العوار
- ٢٤١- فی انتظار البرایبرة (رواية)
- ٢٤٢- سبعة أنماط من الغوص
- ٢٤٣- تاریخ إسبانيا الإسلامية (جـ ۱)
- ٢٤٤- الغلابان (رواية)
- ٢٤٥- نساء مقاتلات
- ٢٤٦- مختارات قصصية
- ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر والتر أرمبرست
- ٢٤٨- حقول عن الخضراء (مسرحية) انطونيو جالا
- ٢٤٩- لغة الترق (شعر)
- ٢٥٠- علم اجتماع العلم
- ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ ۲)
- ٢٥٢- رائدات الحركة النسوة المصرية
- ٢٥٣- تاریخ مصر الفاطمية
- ٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة
- ٢٥٥- أقدم لك: أنا لاطون
- ٢٥٦- أقدم لك: بیکارت
- ٢٥٧- تاريخ الملاسفة الحديثة
- ٢٥٨- رحلة في فكر زكي نجيب محمود
- ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ ۳)
- ٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود زکی نجيب محمود
- ٢٦٢- مدينة المجرفات (رواية)
- ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن
- ٢٦٤- ابداعات شعرية مترجمة

- |                                       |   |  |
|---------------------------------------|---|--|
| لويس عوض                              | أوسكار وايلد وصمويل جونسون                              | روايات مترجمة                              |
| عادل عبدالمتن على                     | جلال آل أحمد  | -٢٦٦ مدير المدرسة (رواية)                  |
| بدر الدين عرب يكنى                    | ميان كونتيرا  | -٢٦٧ فن الرواية                            |
| إبراهيم الدسوقي شتا                   | مولانا جلال الدين الرزمي                                | -٢٦٨ ديوان شمس تبريزى (جـ ٢)               |
| صبرى محمد حسن                         | وليم چيفور بالجريف                                      | -٢٦٩ وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ ١)     |
| صبرى محمد حسن                         | وليم چيفور بالجريف                                      | -٢٧٠ وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ ٢)     |
| شوقى جلال                             | الخماررة الغربية: الفكرة والتاريخ توamas سي. باترسون    | -٢٧١                                       |
| إبراهيم سلامة إبراهيم                 | سي. سي. والتزد  | -٢٧٢ الآلية الأثرية في مصر                 |
| عنان الشهابى                          | الأصول الابتدائية والثانوية لحركة طرابى فى مصر چوان كول | -٢٧٣                                       |
| محمود على مكى                         | السيد باربارا (رواية)                                   | -٢٧٤                                       |
| ماهر شقيق فريد                        | ديمولو جايجوس   | -٢٧٥ ث. س. إلبه شامرًا بناً وكتابًا سرميًا |
| عبدالقادر التلمسانى                   | مجموعة من القائد  | -٢٧٦ فنون السينما                          |
| أحمد فوزى                             | مجموعة من المؤلفين                                      | -٢٧٧                                       |
| ظريف عبدالله                          | البيجتان والصراع من أجل الحياة براين فورد               | -٢٧٨                                       |
| طلعت الشايب                           | البداءيات   | -٢٧٩                                       |
| سمير عبد الحميد إبراهيم               | إسحاق عظيموف  | -٢٨٠                                       |
| جلال الخطأوى                          | العرب الباردة الثقافية                                  | -٢٨١                                       |
| سمير حنا صادق                         | فنس. سوندرز   | -٢٨٢                                       |
| على عبد الرؤوف البعبى                 | بريم شند وأخرين   | -٢٨٣                                       |
| أحمد عثمان                            | عبد الحليم شرر  | -٢٨٤                                       |
| سمير عبد الحميد إبراهيم               | طبيعة العلم غير الطبيعية                                | -٢٨٥                                       |
| محمد علاوى                            | خوان روافرو   | -٢٨٦                                       |
| محمد يحيى وأخرين                      | هرقل مجنوئاً (مسرحية)                                   | -٢٨٧                                       |
| ماهر البطوطى                          | رحالة خواجه حسن نظامى الدهلى                            | -٢٨٨                                       |
| محمد نور الدين عبدالمتن               | حسن نظامى الدهلى  | -٢٨٩                                       |
| أحمد زكريا إبراهيم                    | سياحت نامه إبراهيم بك (جـ ٢)                            | -٢٩٠                                       |
| السيد عبد الظاهر                      | أنتونى كنج  | -٢٩١                                       |
| السيد عبد الظاهر                      | بيثيد لودج  | -٢٩٢                                       |
| مجدى توفيق وأخرين                     | أبو تجم أحmed بن قوص                                    | -٢٩٣                                       |
| رجاء ياقوت                            | علم اللغة والترجمة                                      | -٢٩٤                                       |
| بدر الدبيب                            | چورج مونان  | -٢٩٥                                       |
| محمد مصطفى بدوى                       | تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ ١)           | -٢٩٦                                       |
| ماجدة محمد أنور                       | فرانشيسكو رويس رامون                                    | -٢٩٧                                       |
| مصطفى جازى السيد                      | فرانشيسكو رويس رامون                                    | -٢٩٨                                       |
| هاشم أحمد محمد                        | روجر آن   | -٢٩٩                                       |
| جمال الجزارى ويهاء جامعى وإيزابيل كال | فقمة للأدب العربي                                       | -٣٠٠                                       |
| جمال الجزارى و محمد الجندي            | فن الشعر  | -٣٠١                                       |
| إمام عبد الفتاح إمام                  | سلطان الأسطورة  | -٣٠٢                                       |

- ٢٠٣ - أقدم لك: بودا
- ٢٠٤ - أقدم لك: ماركس
- ٢٠٥ - الجلد (رواية)
- ٢٠٦ - الحاسة: النقد الكانطي للتاريخ
- ٢٠٧ - أقدم لك: الشعور
- ٢٠٨ - أقدم لك: علم الوراثة
- ٢٠٩ - أقدم لك: الفن واللغة
- ٢١٠ - أقدم لك: يونج
- ٢١١ - مقال في المنهج الفلسفى
- ٢١٢ - درج الشعب الأسود
- ٢١٣ - أمثل فلسطينية (شعر)
- ٢١٤ - مارسيل دوشامب: الفن كتمدن
- ٢١٥ - جراماش فى العالم العربى
- ٢١٦ - محاكمة سقراط
- ٢١٧ - بلا غد
- ٢١٨ - الأدب الرئيس فى السنوات العشر الأخيرة
- ٢١٩ - صور دريدا
- ٢٢٠ - لعنة السراح لحضره الناج
- ٢٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مح ٢، ج ١)
- ٢٢٢ - وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن القديم
- ٢٢٣ - فن الساتورا
- ٢٢٤ - اللعب بالنار (رواية)
- ٢٢٥ - عالم الآثار (رواية)
- ٢٢٦ - المعرفة والمصلحة
- ٢٢٧ - مختارات شعرية مترجمة (جا)
- ٢٢٨ - يوسف زيدلخا (شعر)
- ٢٢٩ - رسائل عبد الميلاد (شعر)
- ٢٣٠ - كل شيء عن التصليل الصامت
- ٢٣١ - عندما جاء السريين وقصص أخرى
- ٢٣٢ - شهر العسل وقصص أخرى
- ٢٣٣ - الإسلام في بريطانيا من ١٦٤٥-١٥٥٤
- ٢٣٤ - لقطات من المستقبل
- ٢٣٥ - عصر الشك: دراسات عن الرواية
- ٢٣٦ - مقتني الأفراط
- ٢٣٧ - فلسفة الولاء
- ٢٣٨ - نظرات حائزة وقصص أخرى
- ٢٣٩ - تاريخ الأدب في إيران (جا ٢)
- ٢٤٠ - انتصار في الشرق الأوسط
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- صلاح عبد الصبور
- نبيل سعد
- جيون هوب ويورين فان لون
- ريوس
- كريزيو مالابارته
- جان فرانسوا ليوتار
- بيشيد يابينو وهوارد سلينا
- ستيف چونز ويورين فان لو
- أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريته
- ماجي هايد ومايك ماكنجنس
- رج. كولن جورود
- وليم بيروس
- خابرير بيان
- چاتيس مينبك
- مشيل بروندينو والطاهر لبيب
- أى. ف. ستون
- س. شير لاميوفا- س. زنيكين
- مجموعة من المؤلفين
- جيانتي سبيٹاك وكرستوف نوريس
- مؤلف مجهول
- ليتشي برو فنسال
- دبليو يوجين كلينباور
- تراث يوناني قديم
- شرف أسدى
- فيليب بوسان
- يورجين هابرماس
- نخبة
- تود الدين عبد الرحمن الجاوى
- تد هيبوت
- مارفن شبرد
- ستيفن جرادي
- نخبة
- تبيل مطر
- قوشو كلارك
- ناتالي ساربوت
- نصوص مصرية قديمة
- چوزايا ريوس
- نخبة
- إيوارد براون
- بيرش بيدرو جلو
- على إبراهيم منوفي
- بكر عباس
- مصطفى إبراهيم قهمى
- فتحى العشري
- حسن صابر
- محمد الاتصاري
- جلال الحقنارى
- محمد علاء الدين منصور
- فخرى لبيب
- محمد علاء الدين منصور
- ياشراف: صلاح فضل
- خالد مقلح حمزة
- هاتم محمد فوزى
- محمود علوى
- كرستين يوهوف
- حسن صقر
- توقيع على منصور
- عبد العزيز بقوش
- محمد عبد إبراهيم
- سامي صلاح
- سامية بباب
- على إبراهيم منوفي

- ٢٤١- قصائد من روك (شعر)  
 ٢٤٢- سلامان وباسال (شعر)  
 ٢٤٣- نور الدين عبدالرحمن الجامي  
 ٢٤٤- العالم البرجوانى الزائل (رواية)  
 ٢٤٥- نابين جوربىير  
 ٢٤٦- بيت بالإنجليزى  
 ٢٤٧- بونه نداني  
 ٢٤٨- الركض خلت الزمان (شعر)  
 ٢٤٩- رشاد رشدى  
 ٢٤٩- سحر مصر  
 ٢٤٧- جان كوكتو  
 ٢٤٨- المصيبة الطائشين (رواية)  
 ٢٤٩- محمد فؤاد كويريلى  
 ٢٤٩- المتصورة الأولى في الأدب التركي (جا)  
 ٢٥٠- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة  
 ٢٥٠- أرثر والدهوبين وأخرين  
 ٢٥١- مجموعة من المؤلفين  
 ٢٥١- باوراما الحياة السياحية  
 ٢٥٢- ميدانى النطق  
 ٢٥٢- قصائد من كنافيس  
 ٢٥٣- قسطنطين كنافيس  
 ٢٥٣- النَّفْ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْأَنْتِلُسِ: الْخَرْخَةُ الْهِشْمِيَّةُ  
 ٢٥٤- باسيلى بابن مالدونا  
 ٢٥٤- باسيلى بابن مالدونا  
 ٢٥٥- المتصورة الأولى في إيران المعاصرة حجت مرتجى  
 ٢٥٥- حجت مرتجى  
 ٢٥٦- بول سالم  
 ٢٥٦- الميراث المر  
 ٢٥٧- متون هومس  
 ٢٥٧- تيموش فوك وبيتر غاندى  
 ٢٥٨- نخبة  
 ٢٥٨- أمثال الهوس العالمية  
 ٢٥٩- أفلاطون  
 ٢٥٩- محاربة بارمنيس  
 ٢٦٠- اندرى چاكوب زويلا باركان  
 ٢٦٠- آشوريوچينا اللغة  
 ٢٦١- آلان جرينجر  
 ٢٦١- التصحّر: التهديد والمجابهة  
 ٢٦٢- هاينريش شبرول  
 ٢٦٢- ثلثيذ بابنبرج (رواية)  
 ٢٦٣- روتشارد چيسين  
 ٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية  
 ٢٦٤- إسماعيل سراج الدين  
 ٢٦٤- حداثة شكسبيير  
 ٢٦٥- شارل بوليلير  
 ٢٦٥- سام باريس (شعر)  
 ٢٦٦- كلاريسا بنكلرا  
 ٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب  
 ٢٦٧- مجموعة من المؤلفين  
 ٢٦٧- القلمجرى  
 ٢٦٨- المصطلح السرى: معجم مصطلحات  
 ٢٦٨- جيرالد پرينس  
 ٢٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ  
 ٢٦٩- فروزنة العثماني  
 ٢٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية  
 ٢٧٠- كليرلا لويت  
 ٢٧١- المتصورة الأولى في الأدب التركي (جا)  
 ٢٧١- محمد فؤاد كويريلى  
 ٢٧٢- وانغ مينغ  
 ٢٧٢- عاش الشباب (رواية)  
 ٢٧٣- أوربرتو إيكو  
 ٢٧٣- كيف تعدد رسالة دكتوراه  
 ٢٧٤- أندرى شيد  
 ٢٧٤- اليوم السادس (رواية)  
 ٢٧٥- ميلان كونديرا  
 ٢٧٥- الخلود (رواية)  
 ٢٧٦- جان أنثى وأخرين  
 ٢٧٦- الفقسب واختال السنين (مسرحيات)  
 ٢٧٧- إينوارد برانن  
 ٢٧٧- تاريخ الأدب في إيران (ج٤)  
 ٢٧٨- محمد إقبال  
 ٢٧٨- المسافر (شعر)

- ٣٧٩ - ملك في الحديقة (رواية)  
 ٣٨٠ - حديث عن الخسارة  
 ٣٨١ - أساسيات اللغة  
 ٣٨٢ - تاريخ طبرستان  
 ٣٨٣ - هدية الحجاز (شعر)  
 ٣٨٤ - الشخص الذي يحكيها الأطفال  
 ٣٨٥ - مشترى العشق (رواية)  
 ٣٨٦ - بقاعاً عن التاريخ الأدبي النسوى  
 ٣٨٧ - أغانيات وسوناتات (شعر)  
 ٣٨٨ - مواطن سعدى الشيرازى (شعر)  
 ٣٨٩ - تفاصيل وقصص أخرى  
 ٣٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى  
 ٣٩١ - الحافظة الالكترونية (رواية)  
 ٣٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية  
 ٣٩٣ - في قلب الشرق  
 ٣٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكون  
 ٣٩٥ - أيام سياوش (رواية)  
 ٣٩٦ - السلاطان  
 ٣٩٧ - أقدم لك: نينيشه  
 ٣٩٨ - أقدم لك: ساوتر  
 ٣٩٩ - أقدم لك: كامي  
 ٤٠٠ - موهو (رواية)  
 ٤٠١ - أقدم لك: علم الرياضيات  
 ٤٠٢ - أقدم لك: ستيفن هوكنج  
 ٤٠٣ - ربة المطر والملائكة تصنع النساء (روايات)  
 ٤٠٤ - تعويدة الحسى  
 ٤٠٥ - ليزايل (رواية)  
 ٤٠٦ - المستعربون الإسبان في القرن ١٩ مانويل مانتاناريس  
 ٤٠٧ - الأدب الإسباني المعاصر بتألهم كتابه مجموعة من المؤلفين  
 ٤٠٨ - معجم تاريخ مصر  
 ٤٠٩ - انتصار السعادة  
 ٤١٠ - خلاصة القرن  
 ٤١١ - حمس من الماضي  
 ٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ج. ٢) ليش برونسال  
 ٤١٣ - أغانيات المنفى (شعر)  
 ٤١٤ - الجمهورية العالمية للآداب  
 ٤١٥ - صورة كوكب (مسرحية)  
 ٤١٦ - ميدان النقد الأدبي والعلم والشعر ١.١. ريتشاردز

- ٤١٧ تاریخ النقد الابنی الحدیث (جءٰ) رینیہ ولیک
- ٤١٨ سیاسات الزیر العاکف فی مصر العثمانی چین هائوای
- ٤١٩ العصر النهیئی للبسکترونی چون مارلو
- ٤٢٠ مکو میجانس (قصة فلسفیة) فولتیر
- ٤٢١ الولاد والیادی فی المجتمع الإسلامی الأول روی متھدة
- ٤٢٢ رحلۃ لاستکشاف آفریقیا (ج١) ثلاثة من الرحالة
- ٤٢٣ إسرامات الرجل الطیف نخبة
- ٤٢٤ لوایح الحق ولوایم العشق (شعر) نور الدین عبدالرحمن الجامی
- ٤٢٥ من طاویں إلى فرج محمود طلوعی
- ٤٢٦ الخفاکیش وقصص اخرى بای انگلان
- ٤٢٧ پاندریاس الطاغیة (رواية)
- ٤٢٨ الخزانة الخفیة محمد هویک بن داود خان
- ٤٢٩ اقدم الک: هیجل لیوپ سپنسر واندرزی کریز
- ٤٣٠ اقدم الک: کانط کرستوفر وانت واندرزی کلیموفسکی
- ٤٣١ اقدم الک: فوکو امام عبدالفتاح امام
- ٤٣٢ اقدم الک: ماکیافاللی امام عبدالفتاح امام
- ٤٣٣ اقدم الک: جویس پاتریک کری و اویسکار زاروت
- ٤٣٤ اقدم الک: الرومانسیة بیفید نوریس وکارل فلت
- ٤٣٥ توجهات ما بعد الحادیة دونکان هیث وجوبی بورهام
- ٤٣٦ تاریخ الفلسفة (ج١) فردریک کویلسٹون
- ٤٣٧ رحلۃ هندی فی بلاد الشرق العربي شبیل التعمانی
- ٤٣٨ بطایل وضحاکایا ایمان ضیاء الدین بیرس
- ٤٣٩ موت المراہی (رواية)
- ٤٤٠ قواعد الہجات العربیة الحدیثہ کرستن بروستاد
- ٤٤١ رب الاشیاء الصنفیة (رواية)
- ٤٤٢ حشیبسوت: المرأة الفرعونیة اوریناتی روی
- ٤٤٣ اتفقة العربیة: تاریخها ومستریخها ومتیرها فوزیہ اسعد
- ٤٤٤ أمريكا اللاتینیة: الثقافات القبیبة کیس فرستینغ
- ٤٤٥ حول دنی الشعر لارویت سیجورنے
- ٤٤٦ التحالف الأسود پیڈریز نائل خاتلی
- ٤٤٧ ملحمة السيد الکسندر کرکبین وجبیری سانت کلیر احمد محمد
- ٤٤٨ الفلاحون (میراث الترجمة)
- ٤٤٩ اقدم الک: الحركة النسویة تراٹی علیم الدین مکی
- ٤٥٠ اقدم الک: ما بعد الحركة النسویة صوفیا فوکا ورویسیکا رایت
- ٤٥١ اقدم الک: الفلسفة الشرقیة دیشارد ایندیزین ویوین فلن لون
- ٤٥٢ اقدم الک: لینین والثورة الروسیة ریتشارد اینجینائزی وایسکار زاروت محبی الدین مژید
- ٤٥٣ القاهرة: إقامۃ مدينة حديثة جان لوک ارنو
- ٤٥٤ خمسین عاماً من السینما الفرانسیسی دینیہ بردال

- ٤٤٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مجه)  
 ٤٤٦- لا تنسني (رواية)  
 ٤٤٧- النساء في الفكر السياسي العربي  
 ٤٤٨- الوديسكيون الاندلسيون  
 ٤٤٩- نحو مليون لاقتراحات الموارد الطبيعية  
 ٤٥٠- أقلم لك: الفاشية والنازية  
 ٤٥١- مل حسين من الأذمر إلى السودانيون  
 ٤٥٢- الولدة المارقة  
 ٤٥٣- ديمقراطية للقلة  
 ٤٥٤- قصص اليهود  
 ٤٥٥- حكايات حب ويطولات فرعونية  
 ٤٥٦- التفكير السياسي والنظرة السياسية  
 ٤٥٧- روح الفلسفة الحديثة  
 ٤٥٨- جلال الملوك  
 ٤٥٩- الأرضي والجودة البيئية  
 ٤٦٠- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جزء ٢)  
 ٤٦١- دون كيخوتي (القسم الأول)  
 ٤٦٢- دون كيخوتي (القسم الثاني)  
 ٤٦٣- الأدب والتلوّن  
 ٤٦٤- صوت مصر: أم كلثوم  
 ٤٦٥- أرض الحباب بعيدة: بيدم التونسي  
 ٤٦٦- غريب السنـ ما قبل التاريخ حتى القرن العاشر  
 ٤٦٧- الصين والولايات المتحدة  
 ٤٦٨- المقهى (مسرحية)  
 ٤٦٩- تسـى ون جـى (مسرحية)  
 ٤٧٠- بـرـدة الثـبـى  
 ٤٧١- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية روبيـرـ چـاكـ تـيـبوـ  
 ٤٧٢- سـارـةـ چـامـبـلـ  
 ٤٧٣- هـانـسـ روـبـيرـتـ يـاـوسـ  
 ٤٧٤- تـنـبـيرـ أـحـمـدـ الـهـلـوـيـ  
 ٤٧٥- يـاـنـ أـسـنـ  
 ٤٧٦- كـوـرـواـ  
 ٤٧٧- رـوـىـ مـتـحـدـةـ  
 ٤٧٨- رـفـيـعـ الـدـينـ الـمـارـادـ أـبـادـىـ  
 ٤٧٩- نـجـبةـ  
 ٤٨٠- الـذـاـكـرـةـ الـحـضـارـيـةـ  
 ٤٨١- الـرـحـلـةـ الـبـنـدـيـةـ إـلـىـ الـجـزـيـرـةـ الـعـرـبـيـةـ  
 ٤٨٢- الـتـورـةـ (رواية)  
 ٤٨٣- الـنـسـوـيـةـ وـمـاـ بـعـدـ النـسـوـيـةـ  
 ٤٨٤- جـالـائـيـ الثـلـقـىـ  
 ٤٨٥- الـحـبـ الـذـيـ كـانـ وـقـصـائـدـ آخـرىـ  
 ٤٨٦- الـذـاـكـرـةـ الـحـضـارـيـةـ  
 ٤٨٧- رـفـيـعـ الـدـينـ الـمـارـادـ أـبـادـىـ  
 ٤٨٨- الـحـبـ الـذـيـ كـانـ وـقـصـائـدـ آخـرىـ نـجـبةـ  
 ٤٨٩- مـسـلـلـ الـفـلـسـفـةـ عـلـىـ دـيـقـقاـ إـدـمـونـدـ هـسـرـلـ  
 ٤٩٠- أـسـمـارـ الـبـيـفـاءـ  
 ٤٩١- نـصـوـنـ قـصـصـيـةـ مـنـ دـوـانـ الـأـبـ الـفـرـيقـ نـجـبةـ  
 ٤٩٢- مـحـمـدـ عـلـىـ مـؤـسـسـ مـصـرـ الـحـدـيـةـ چـىـ ثـارـجـيتـ

- |                          |                                 |  |
|--------------------------|---------------------------------|--|
| محمد صالح الضالع         | مارولد بالر                     | خطابات إلى طالب الصوتيات                     |
| شريف الصيفى              | نصوص مصرية قديمة                | كتاب المتنى: الخروج في النهار                |
| حسن عبد ربه المصرى       | إدوارد تيفان                    | اللوبي                                       |
| مجموعة من المترجمين      | إيكارو بانولى                   | الحكم والسياسة في أفريقيا (ج1)               |
| مصطفى رياض               | نادية الطلي                     | الطلامية والنوع والدولة في الشرق الأوسط      |
| أحمد على بدوى            | جوبيث تاكر ومارجريت مريودز      | النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث         |
| فيصل بن خسراه            | مجموعة من المؤلفين              | تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع               |
| طلعت الشايب              | تيريز روكي                      | في مذلولتين: براسة في السيدة الثانية العربية |
| سحر فراج                 | أرثر جولد هامر                  | تاريخ النساء في الغرب (ج1)                   |
| هالة كمال                | مجموعة من المؤلفين              | أصولات بديلة                                 |
| محمد نور الدين عبد المتع | مختارات من الشعر الفارسي الحديث | مخترارات من الشعر الفارسي الحديث             |
| إسماعيل المصدق           | مارتن هايجر                     | كتابات أساسية (ج1)                           |
| إسماعيل المصدق           | مارتن هايجر                     | كتابات أساسية (ج2)                           |
| عبد الحميد فهمي الجمال   | أن تيلر                         | ريما كان قديساً (رواية)                      |
| شوقي فهمي                | بيتر شيفر                       | سيدة الماضي الجميل (مسرحية)                  |
| عبد الله أحمد إبراهيم    | عبدالباقي جلبتارلى              | الموازية بعد جلال الدين الرومى               |
| قاسم عبده قاسم           | ألم صبرة                        | اللئر والإحسان في مصر سلطان الممالك          |
| عبد الرانق عيد           | كارلو جولدونى                   | الأرملة الماكرة (مسرحية)                     |
| عبد الحميد فهمي الجمال   | أن تيلر                         | كرك مرقع (رواية)                             |
| جمال عبد الناصر          | تيموشى كوريجان                  | كتاب النقد السينمائى                         |
| فخرى ماطفى بوجلاس        | تيدي أنتون                      | العلم الجسور                                 |
| صبرى محمد حسن            | چوتان كارل                      | مدخل إلى النظرية الأدبية                     |
| سمير عبد الحميد إبراهيم  | فخرى ماطفى بوجلاس               | من التقى إلى ما بعد الحادىة                  |
| هاشم أحمد محمد           | أرنولد واشتطنون وبوفا باوندى    | إرادة الإنسان فى علاج الإدمان                |
| تحمد التنصارى            | نخبة                            | نقش على الماء وقصص أخرى                      |
| أمل الصبان               | إسحق عظيموف                     | استكشاف الأرض والكون                         |
| عبد الوهاب يكر           | جوزيانا دويس                    | محاضرات في المثلية الحديثة                   |
| على إبراهيم منوفى        | أحمد يوسف                       | الرائع الرئيس يصر من العلم إلى الشريع        |
| على إبراهيم منوفى        | أرثر جولد سميث                  | قاموس ترجم مصر الحديثة                       |
| محمد مصطفى بدوى          | أميريك كاسترو                   | إسبانيا في تاريخها                           |
| نادية رفعت               | باسيليو بابون مالدونادو         | الفن الطليطلى الإسلامى والذنجن               |
| محبى الدين متى           | وليم شكسبير                     | الملك لير (مسرحية)                           |
| جمال الجزيري             | فينيس چونسون                    | موس صيد فى سبوت وقصص أخرى                    |
| جمال الجزيري             | ستيقن كريل ووليم رانكين         | أقدم لله: السياسة البيئية                    |
| جمال الجنوى              | فيليب زين ميريقتس ووليريت كرمب  | أقدم لله: كافكا                              |
| حازم محفوظ               | طارق على وفلى إيفانز            | أقدم لله: تروتسكى والماركسية                 |
| عمر القاريق عمر          | محمد إقبال                      | بيانع العلامة إقبال فى شعره الاردى           |
|                          | ريتشارد چينو                    | مدخل علم إلى فهم النظريات الترااثية          |

٥٦١- ما الذي حدث في محدث، ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٦٢- المغارف والمستشرق	هنرى لوتش	بشير السباعى
٥٦٣- تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٦٤- الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لا با	حمادة إبراهيم
٥٦٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوى	عبد العزيز بقوش
٥٦٦- التقاليف وقيم التقدم	مسؤول هنتجتون واورانتس هارينيت	شوقى جلال
٥٦٧- للعب والدرة (شعر)	نخبة	عبد الغفار مكارى
٥٦٨- النس والآخر في قصص يوسف الشaronى	كبت دانيلر	محمد الحديدى
٥٦٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصلحى
٥٧٠- توجيهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	روف عباس
٥٧١- هي تخيل وهلاوس أخرى	خران خوسيه مياس	مروة رزق
٥٧٢- قصص متقدمة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٧٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بريجان وكريست جرات	وفاء عبد القادر
٥٧٤- أقدم لك: ميلانى كلابين	روبرت هتشل وأخرون	حمدى الجابرى
٥٧٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كروك	عزت عامر
٥٧٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٧٧- أقدم لك: بارت	فليبيل تودى وأن كروس	جمال الجازى
٥٧٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريشارد أوزينيت ويودين ثان لون	حمدى الجابرى
٥٧٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجازى
٥٨٠- أقدم لك: شكسپير	نيك جروم وبيير	حمدى الجابرى
٥٨١- الموسيقى والولة	سايمون ماندى	سمعة الخلوي
٥٨٢- قصص مثالية	ميجليل دى مرياتس	على عبد الرؤوف البىهى
٥٨٣-دخل الشعر الفرنسي الحديث والماصر	دانيلال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٨٤- مصر في عهد محمد على	غاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٨٥- الإستراتيجية الأمريكية للقاهرة والشرين	أناثالوى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٨٦- أقدم لك: جان بوريار	كريس هووريكس وندنان جينتك	حمدى الجابرى
٥٨٧- أقدم لك: الماركيز نى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبد الفتاح إمام
٥٨٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار هووريين ثان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٥٨٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبد الحق أحمد سالم
٥٩٠- ملخصة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفنوى
٥٩١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفنوى
٥٩٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٩٣- ورودة التريف (مسرحية)	خاثيتتو بيتاينيتي	صبرى محمدى التهامى
٥٩٤- عُش الفرب (مسرحية)	خاثيتتو بيتاينيتي	صبرى محمدى التهامى
٥٩٥- الشرق الأوسط المعاصر	سيبرا ج. جيدز	أحمد عبد الحميد أحمد
٥٩٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيتشوب	على السيد على
٥٩٧- الوطن المقتسب	مايكيل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٩٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

- ٥٦٩ موقع الثافة  
 ٥٧٠ دول الخليج الفارسي  
 ٥٧١ تاريخ النقد الإسباني المعاصر  
 ٥٧٢ الطب في زمن الفراخة  
 ٥٧٣ أقدم لك: فرويد  
 ٥٧٤ مصر القديمة في عين الإيرانيين  
 ٥٧٥ الاقتصاد السياسي للدولة  
 ٥٧٦ فكر ثريانتس  
 ٥٧٧ مقامات بينوكير  
 ٥٧٨ الجماليات عند كيتس وهنت  
 ٥٧٩ أقدم لك: تشومسكي  
 ٥٨٠ دائرة المعارف التولية (مع ١)  
 ٥٨١ الحق يموتون (رواية)  
 ٥٨٢ موايا على الذات (رواية)  
 ٥٨٣ الجيران (رواية)  
 ٥٨٤ سفر (رواية)  
 ٥٨٥ الأمير احتجاب (رواية)  
 ٥٨٦ السينما العربية والأفريقية  
 ٥٨٧ تاريخ تطور الفكر المسيحي  
 ٥٨٨ اختوب الثالث  
 ٥٨٩ تعikit العجيبة  
 ٥٩٠ أساطير من المزارات الشعية الفتنية  
 ٥٩١ الشاعر والملکر  
 ٥٩٢ الثورة المصرية (ج ١)  
 ٥٩٣ قصائد ساحرة  
 ٥٩٤ القلب السمين (قصة أطفال)  
 ٥٩٥ الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢)  
 ٥٩٦ الصحة المقتلة في العالم  
 ٥٩٧ مسلم غرنطة  
 ٥٩٨ مصر وكتمان وإسرائيل  
 ٥٩٩ فلسفة الشرق  
 ٦٠٠ الإسلام في التاريخ  
 ٦٠١ النسوية والمواطنة  
 ٦٠٢ ليبرتار: نحو فلسفة ما بعد حداثية  
 ٦٠٣ النقد الثقافي  
 ٦٠٤ الكراوث الطبيعية (مع ١)  
 ٦٠٥ مخاطر كوكينا المضطرب  
 ٦٠٦ قصة البردي اليهانى في مصر
- ثائر بيب  
 يوسف الشaroni  
 السيد عبد الظاهر  
 كمال السيد  
 جمال الجزييري  
 ريتشارد ابيجانس واسكار زارتى  
 علاء الدين السباعى  
 أحمد محمود  
 ناهد العشري محمد  
 محمد قدرى عمارة  
 محمد إبراهيم وعصام عبد الروف  
 محى الدين مزيد  
 باشraf: محمد فتحى عبدالهادى  
 سليم عبد الأمير حمدان  
 سهام عبد السلام  
 عبد العزيز حمدى  
 ماهر جوجاتى  
 عبدالله عبد الرحمن إبراهيم  
 محمود مهدى عبدالله  
 على عبد التواب على يصلح رمضان السيد  
 مجدى عبد الحافظ وطنى كورخان  
 بكر الطو  
 أمانى فوزى  
 مجموعة من المترجمين  
 إيهاب عبد الرحيم محمد  
 جمال عبد الرحمن  
 بيومى على قنديل  
 محمود عالوى  
 مدحت طه  
 أيمن بكر وسمير الشيشكلى  
 إيمان عبد العزizin  
 وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى  
 توفيق على منصور  
 مصطفى إبراهيم فهمى  
 محمود إبراهيم السعىنى
- هومى بابا  
 سير روبرت هاي  
 إيميليا دى ثوليتا  
 برونو أليوا  
 حسن بيرنيا  
 تجير وزر  
 أمريكا كاسترو  
 كارلو كولودى  
 أبوهمى ميزن كوشى  
 جون ماهر وجودى جريندز  
 جون فينر وبول سترجرز  
 ماريوبونز  
 هوشكك كاشيرى  
 أحمد محمود  
 محمود دولت آبادى  
 هوشكك كاشيرى  
 ليرنيت مالكموس وروى أرمز  
 مجموعة من المؤلفين  
 أنثيس كابرول  
 فيلكس ديبوا  
 نخبة  
 هوراتيوس  
 محمد صبرى السوريونى  
 بول فاليرى  
 سوزانا تامارى  
 إيكاريو بانولى  
 روبرت نيجاراله وأخرين  
 خوليو كارپاروخا  
 دونالد ريفورد  
 هرداد مهريون  
 برنارد لويس  
 ريان فوت  
 جيمس ولیامز  
 أوثر أیزابیرجر  
 پاتريك ل. آبوت  
 إرنست زینرسکى (الصفید)  
 ريتشارد هاريس

- ٦٠٧ - قلب الجزيرة العربية (ج١)
- ٦٠٨ - قلب الجزيرة العربية (ج٢)
- ٦٠٩ - الانتخاب الثنائي
- ٦١٠ - العمارنة المجنحة
- ٦١١ - التقد والأيديولوجية
- ٦١٢ - رسالة النفسية
- ٦١٣ - السياحة والسياسة
- ٦١٤ - بيت الأنصار الكبير (رواية)
- ٦١٥ - عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩١٦ إلى ١٩١٩
- ٦١٦ - أسطول ييفشاه
- ٦١٧ - الفولكلور والبحر
- ٦١٨ - نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
- ٦١٩ - مفاتيح أورشليم القدس
- ٦٢٠ - السلام الصليبي
- ٦٢١ - رياضيات الليلام (ميراث الترجمة)
- ٦٢٢ - اشعار من عالم اسمه الصين
- ٦٢٣ - نوابر جحا الإبراني
- ٦٢٤ - شعر المرأة الأفريقية
- ٦٢٥ - البرج السرى
- ٦٢٦ - مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
- ٦٢٧ - حكايات إيرانية
- ٦٢٨ - أصل الأنواع
- ٦٢٩ - قرن آخر من الهيئة الأمريكية
- ٦٣٠ - سيني الذاتية
- ٦٣١ - مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر
- ٦٣٢ - المسلمين واليهود في مملكة فالنسيا
- ٦٣٣ - الجب وفونوه (شعر)
- ٦٣٤ - مكتبة الإسكندرية
- ٦٣٥ - التثبيت والتکيف في مصر
- ٦٣٦ - حج بولندة
- ٦٣٧ - مصر الخديوية
- ٦٣٨ - الديمقratية والشعر
- ٦٣٩ - فندق الأرق (شعر)
- ٦٤٠ - الکسيار
- ٦٤١ - برتقاند رسن (مختارات)
- ٦٤٢ - أقدم لك: داروين والتطور
- ٦٤٣ - سفرنامه حجاز (شعر)
- ٦٤٤ - العلوم عند المسلمين
- صبرى محمد حسن  
صبرى محمد حسن  
شوقى جلال  
أجتر قوج  
على إبراهيم منوفى  
فخرى صالح  
محمد محمد يونس  
محمد فريد حجاب  
منى قطان  
محمد رفت عواد  
أحمد محمود  
أحمد محمود  
جلال البنا  
عادية الباچوري  
 بشير السباعي  
 محمد السباعي  
 أمير تبی وعبد الرحمن حجازی  
 يوسف عبد الفتاح  
 غادة الخطوانی  
 محمد برادة  
 توفيق على منصور  
 عبد الوهاب علوب  
 مجدى محمود الملاجي  
 عزة الخميسى  
 صبرى محمد حسن  
 يبشراف: حسن طلب  
 راتبنا محمد  
 حمادة إبراهيم  
 مصطفى البهنساوى  
 سمير كريم  
 سامية محمد جلال  
 بدر الرفاعى  
 فؤاد عبد المطلب  
 أحمد شافعى  
 حسن حبشي  
 محمد قنبرى عمارة  
 ممدوح عبد النعم  
 سمير عبدالحميد إبراهيم  
 فتح الله الشيش
- هارى سينت فيليب  
هارى سينت فيليب  
أجتر قوج  
رفائيل لوٹ جوشمان  
تيري إيجلتون  
فضل الله بن حامد الحسينى  
كون مايكل هول  
فوزية أسد  
أليس بسيرينى  
روبرت ياتج  
هوراس بيك  
شارلز فنليس  
ريتون استانتولى  
توماشه ماستاك  
عمر الخيام  
أى تشينغ  
سعيد قانعى  
نخبة  
چان جينه  
نخبة  
نخبة  
تشارلس داروين  
نيقولاس جويات  
أحمد بللو  
نخبة  
تولوس برامون  
نخبة  
روى مالكوليد وإسماعيل سراج الدين  
جودة عبد الخالق  
جناب شهاب الدين  
ف. روبرت هنتر  
روبرت بن وارين  
شارلز سيميك  
الأميرة أناكمنينا  
برتراند رسن  
چوناثان ميلر وبيرون فان لون  
عبد الماجد الدریابادی  
هوارد دنيرفر

- ٦٤٥ - السيدة للتربية التركية ومسارها الحالية
- ٦٤٦ - قصة الثورة الإيرانية
- ٦٤٧ - رسائل من مصر
- ٦٤٨ - بوخيض
- ٦٤٩ - الترف وقصص خرافية أخرى
- ٦٥٠ - الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط روجر أوبن
- ٦٥١ - ديليسين الذى لا تعرفه وثائق قيمة
- ٦٥٢ - آلهة مصر القديمة كلود تروينكر
- ٦٥٣ - درس الطفولة (مسرحية) إبريش كستر
- ٦٥٤ - أسطول شعبية من أوينستان (جا) نصوص قيمة
- ٦٥٥ - أسطول فرانكوا إيزابيل فرانكوا
- ٦٥٦ - حيز الشعب والأرض الماء (مسرحيان) الفونسو ساستري
- ٦٥٧ - محاكم التقىش والمربيسين مرثيدس غاريا أريتال
- ٦٥٨ - حوارات مع خوان رامون خيمينيث خوان رامون خيمينيث
- ٦٥٩ - قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية نخبة
- ٦٦٠ - نافقة على أحد العلم ريتشارد فايبلاد
- ٦٦١ - رواية انتلية إسلامية رطة إلى الجنر
- ٦٦٢ - داسو سالبيار امرأة عالبة
- ٦٦٣ - ليوبيل كليفتون
- ٦٦٤ - الرجل على الشاشة ستي芬 كوهان وإن راي هارك بول دافيز
- ٦٦٥ - عالم آخر قل إلى كم مرض على رحيل القطار
- ٦٦٦ - تطور الصورة الشعرية عند شكسبيه وفوججانج اتش كلین
- ٦٦٧ - الآلة القاتمة لعلم الاجتماع العربي الأثنون جولنتر
- ٦٦٨ - ثقافات العولمة فريديريك جيمسون وماساو ميشي
- ٦٦٩ - بول شوبنكا ثلاث مسرحيات
- ٦٧٠ - أشعار جوستاف أندولتو جي ستاف أندلفو بيكر
- ٦٧١ - قل إلى كم مرض على رحيل القطار
- ٦٧٢ - مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال
- ٦٧٣ - حرب الكلم (شعر) محمد إقبال
- ٦٧٤ - ديوان الإمام الخميني آية الله العظمى الخميني
- ٦٧٥ - أثينا السوداء (جا ، مج ١) مارتن برثال
- ٦٧٦ - أثينا السوداء (جا ، مج ٢) مارتن برثال
- ٦٧٧ - تاريخ الأدب في إيران (جا ، مج ١) إبروارد جرانتيل براون
- ٦٧٨ - تاريخ الأدب في إيران (جا ، مج ٢) إبروارد جرانتيل براون
- ٦٧٩ - مختارات شعرية مترجمة (جا) ولیام شکسپیر
- ٦٨٠ - المدينة الفاضلة (عيادات الترجمة) کارل ل. بیکر
- ٦٨١ - هل يوجد تنس في هذا النصل؟ ستانلى فش بن اوکری
- ٦٨٢ - نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)
- عبد الوهاب علوب
- عبد الوهاب علوب
- فتحى الشرى
- خليل كفت
- سحر يوسف
- عبد الوهاب علوب
- أمل الصيام
- حسن نصر الدين
- سمير جريش
- عبد الرحمن الخبىسى
- حليم طوسون ومحمد ماهر طه
- ممنوع البستوى
- خالد عباس
- صبرى التهامى
- عبداللطيف عبد الحليم
- هاشم محمد محمد
- صبرى التهامى
- صبرى التهامى
- أحمد شافعى
- عصام زكريا
- هاشم محمد محمد
- جمال عبد الناصر ومحمد العيار وجمال جاد الرب
- على ليلة
- ليلي الجبالي
- نسيم مجلى
- ماهر البطوطى
- على عبدالعزيز صالح
- ابتهاج سالم
- جلال الحفناوى
- محمد علاء الدين منصور
- باشراف: محمود إبراهيم السعدى
- باشراف: محمود إبراهيم السعدى
- أحمد كمال الدين حلمى
- أحمد كمال الدين حلمى
- توفيق على منصور
- محمد شفيق غربال
- أحمد الشيمى
- صبرى محمد حسن

- صبرى محمد حسن
- رنق أحمد بهنسى
- رنق أحمد بهنسى
- سحر توفيق
- ماجدة العنانى
- فتح الله الشيخ وأحمد المصاوى
- هنا عبد الفتاح
- رمسيس عوض
- رمسيس عوض
- ريشardon أبيجانسى وأوسكار زاريت
- جمال الجبىرى
- حمدى الجبىرى
- إمام عبد الفتاح إمام
- جمال الجبىرى
- بسملة عبد الرحمن
- منى البرنس
- عبد العزىز فهمى
- أمين الشواربى
- محمد علاء الدين منصور وأخرون
- عبدالحميد مذكور
- عزت عامر
- وفاء عبدالقادر
- روفيف عباس
- عادل نجيب يشرى
- دعاء محمد الخطيب
- هنا عبد الفتاح
- سليمان البستانى
- سليمان البستانى
- حناء صاوى
- أحمد فتحى زغلول
- نخبة من المترجمين
- نخبة من المترجمين
- نخبة من المترجمين
- جميلة كامل
- على شعبان وأحمد الخطيب
- تى. م. الوكو
- أوراثيون كيروجا
- أوراثيون كيروجا
- ماكسين هونج كنجزتون
- فتانة حاج سيد جوادى
- فليپ م. تور وريشardon أ. موار
- تايلروش روجيفيتش
- (مختارات)
- (مختارات)
- ريشardon أبيجانسى وأوسكار زاريت
- حاميم برشت وأخرون
- چيف كولينز وبيل مابيلين
- ديف روينسون وجودى جروف
- ديف روينسون وأوسكار زاريت
- روبرت ويفن وجودى جروف
- لورى سبنسر وأندرزونجى كرند
- إيفان وارد وأوسكار زاريت
- ماريو بارجاس يوسا
- وليم روڈ فيليان
- چوستينيان
- إيلوارد جرانثيل براون
- مولانا جلال الدين الرومى
- الإمام الفزالي
- چونسون ف. يان
- موارد كالجىل وأخرون
- دونالد ماكولوم ريد
- القريد اندر
- إيان هاتشبى وجوموان - إيليس
- ميرزا محمد هادى رسوا
- هوميروس
- هوميروس
- لامانيا
- إدمون بيمولان
- مجموعة من المؤلفين
- مجموعة من المؤلفين
- مجموعة من المؤلفين
- م. جولدبريج
- دونام چونسون
- ـ٦٨٣ سكين واحد لكل رجل (رواية)
- ـ٦٨٤ الأسس التصصبة الكاملة (أنا كذلك) (ج١)
- ـ٦٨٥ الأسس التصصبة الكاملة (الصراوة) (ج٢)
- ـ٦٨٦ امرأة محاربة (رواية)
- ـ٦٨٧ محبوبة (رواية)
- ـ٦٨٨ الانجارات الثلاثة العظمى
- ـ٦٨٩ الملل (مسرحية)
- ـ٦٩٠ محاكم التقىش فى فرنسا
- ـ٦٩١ ألبرت آينشتين: حياته وغرامياته
- ـ٦٩٢ أقدم لك: الوجودية
- ـ٦٩٣ أقدم لك: القتل الجماعى (المحرق)
- ـ٦٩٤ أقدم لك: دريدا
- ـ٦٩٥ أقدم لك: رسول
- ـ٦٩٦ أقدم لك: روسو
- ـ٦٩٧ أقدم لك: أرسطو
- ـ٦٩٨ أقدم لك: عصر التغريب
- ـ٦٩٩ أقدم لك: التحليل النفسي
- ـ٧٠٠ الكاتب وواقعه
- ـ٧٠١ الذاكرة والحداثة
- ـ٧٠٢ میرة چوستینیان فی الفقه الیهانی (میراث الترجمة)
- ـ٧٠٣ تاریخ الادب فی ایران (ج٢)
- ـ٧٠٤ فیہ ما فیہ
- ـ٧٠٥ فضل الانام من رسائل حجة الإسلام
- ـ٧٠٦ الشلتة الوراثية وكتاب التحولات
- ـ٧٠٧ أقدم لك: فالتر بیتمان
- ـ٧٠٨ فراعنة من؟
- ـ٧٠٩ معنى الحياة
- ـ٧١٠ الأطفال والتكنولوجيا والثقافة
- ـ٧١١ درة الناج
- ـ٧١٢ الإلایاذة (ج١) (میراث الترجمة)
- ـ٧١٣ الإلایاذة (ج٢) (میراث الترجمة)
- ـ٧١٤ حديث القلوب (میراث الترجمة)
- ـ٧١٥ سر تقدیم البکلیڈ السکنین (میراث الترجمة)
- ـ٧١٦ جامعة كل المعارف (ج٢)
- ـ٧١٧ جامعة كل المعارف (ج٢)
- ـ٧١٨ جامعة كل المعارف (ج٢)
- ـ٧١٩ مسرح الأطفال: قلسة وطربة
- ـ٧٢٠ مدخل إلى البحث في تعلم اللغة الثانية

- مصطفى لبيب عبد الفتى  
الصفاقسي أحمد القطري  
أحمد ثابت  
عبد الرحمن  
من مقدمة  
مرأة محمد إبراهيم  
وحيد السعيد  
أميرة جمعة  
هوديما عزت  
عزت عامر  
محمد قنرى عماره  
سمير جريش  
محمد مصطفى بدوى  
أمل الصبان  
محمد محمد مكى  
شعبان مكارى  
توفيق على منصور  
محمد عواد  
محمد عواد  
مرفت ياقوت  
أحمد هيكل  
بنقى بهنسى  
شوقى جلال  
سمير عبد الحميد  
محمد أبو زيد  
حسن الشفيعى  
إيمان عبد العزيز  
سمير كريم  
باتسى جمال الدين  
باشراف: أحمد عثمان  
علاه السباعى  
نمر عاروى  
محسن يوسف  
عبدالسلام حيدر  
على إبراهيم منوفى  
خالد محمد عباس  
أمال الروبي  
عاطف عبدالحميد
- هـ. أ. والفسون  
يشار كمال  
إفرايم نيمنى  
بول روشنсон  
چون فيتكس  
غييرمو غرثابليس برسنو  
باچين  
موريس آليه  
صادق زباقلام  
آن جاتى  
مجموعة من المؤلفين  
إنجو شولتسه  
وليم شيكسبير  
أحمد يوسف  
مايكل كورسون  
هوارد زن  
باتريك ل. أبوت  
جيبار دى چودج  
جيبار دى چودج  
بارى هندس  
برنارد لويس  
خوسىه لاكونرا  
روبرت أوتجر  
محمد إقبال  
بيك الدينلى  
جوزيف أ. شومبيتر  
ترىشور وايتوك  
فرانسيس بويول  
ل.ج. كاثى  
هوميروس  
الإلياذة  
إسراء والمعراج في ثراه الشعر الفارسي  
آمانيا بين عقدة الذنب والخوف  
إسماعيل سراج الدين وأخرين  
التنمية والقيم  
الشرق والغرب  
تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين أندرو ب. بيكتى  
إنريكي خاردييل بوتشيلا  
باتريشيا كورن  
بروس روينز
- ٧٢١- فلسفة المتكلمين في الإسلام (مج ١)  
٧٢٢- الصحفية وقصص أخرى  
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية  
٧٢٤- اليسار الترويدى  
٧٢٥- الاضطراب النفسي  
٧٢٦- للروسكيين في المغرب  
٧٢٧- حلم البحر (رواية)  
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنفوذ  
٧٢٩- الثورة الإسلامية في إيران  
٧٣٠- حكايات من السهل الأقرقية  
٧٣١- النوع: الكل والأش بين التميز والاختلاف  
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)  
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)  
٧٣٤- بونابرت في الشرق الإسلامي  
٧٣٥- فن السيرة في العربية  
٧٣٦- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (جا)  
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)  
٧٣٨- دمشق من مصر ما قبل التاريخ إلى الدولة العثمانية  
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية الشاشية حتى البلاط العثماني  
٧٤٠- خطابات السلطنة  
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر  
٧٤٢- أرض حارة  
٧٤٣- الثقافة: منظور دارويني  
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)  
٧٤٥- المأثر السلطانية  
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادي (مج ١)  
٧٤٧- الاستعارة في لغة السينما  
٧٤٨- تدمير النظام العالمي  
٧٤٩- إيكولوجيا لغات العالم  
٧٥٠- الإلياذة  
٧٥١- إسراء والمعراج في ثراه الشعر الفارسي  
٧٥٢- آمانيا بين عقدة الذنب والخوف  
٧٥٣- إسماعيل سراج الدين وأخرين  
٧٥٤- الشرق والغرب  
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين أندرو ب. بيكتى  
٧٥٦- ذات العيون الساحرة  
٧٥٧- تجارة مكة  
٧٥٨- الإحساس بالعزلة

- ٧٥٩- التشر الأردى  
 ٧٦٠- البن والتصور الشعبي للكون  
 ٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)  
 ٧٦٢- المسلم عنِّي و صديقًا  
 ٧٦٣- الحياة في مصر  
 ٧٦٤- بيان غالب الذهلي (شعر غزل) غالب الذهلي  
 ٧٦٥- بيان خواجة الذهلي (شعر تسوف) خواجة مير درد الذهلي  
 ٧٦٦- الشرق المتخيّل  
 ٧٦٧- الغرب المتخيّل  
 ٧٦٨- حوار الثقافات  
 ٧٦٩- أحياء أحياه  
 ٧٧٠- السيدة بيرفيكتا  
 ٧٧١- السيد سيميوندو سوميرا  
 ٧٧٢- بريخت ما بعد الحادّة  
 ٧٧٣- دائرة المعارف البوابية (ج٢)  
 ٧٧٤- البيوغرافية الأمريكية: التاريخ والتراث مجموعة من المؤلفين  
 ٧٧٥- مرأة العروس  
 ٧٧٦- منظومة مصيّب تامه (ميج)  
 ٧٧٧- الانقجار الأعظم  
 ٧٧٨- صحفة المدح  
 ٧٧٩- خيط التنكبوت وقصص أخرى نخبة  
 ٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠ غلام رسول مهر  
 ٧٨١- الطريق إلى يكين هدى بدران  
 ٧٨٢- المسرح المسكون مارفن كارلسون  
 ٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية في克 چورج بول ولاندنج  
 ٧٨٤- الإسامة للطفل بيشد أ. بولف  
 ٧٨٥- تأملات عن تطور نقاء الإنسان مارجريت أتروود  
 ٧٨٦- المذنبة (رواية)  
 ٧٨٧- العودة من فلسطين جوزيه بوفيه  
 ٧٨٨- سر الأهرامات ميروسلاف فرنر  
 ٧٨٩- الانتظار (رواية)  
 ٧٩٠- الفرانكونية العربية مونيك بوتنو  
 ٧٩١- العطير ومعامل العطير في مصر القديمة محمد الشيشي  
 ٧٩٢- تراسات حول التمسن للتصوير لإبريس ديفنز مني ميخائيل  
 ٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل چون جريفيش  
 ٧٩٤- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج٢) هوارد زن  
 ٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (جا) نخبة  
 ٧٩٦- آفاق جديدة في دراسة اللغة والمعنى نعم تشومسكي

- طلعت شاهين  
سميرين جيلارد ودافيد جيلارد  
عبد الحميد فهمي الجمال  
عبد الجوارد توفيق  
باشراف: محسن يوسف  
شرين محمود الرفاعي  
عزبة الخيمى  
داينيل هيرفيه-لوبجي بجان بول ولام  
طاهر البررى  
محمود ماجد  
خيري دومة  
أحمد محمود  
محمود سيد أحمد  
محمود سيد أحمد  
حسن النعيمي  
فريد الزاهى  
نورا أمين  
أمال الربيى  
مصطفى لبيب عبدالفتاح  
بدر الدين عرودى  
محمد لطفى جمعة  
ناصر أحمد وياسى جمال الدين  
ناصر أحمد وياسى جمال الدين  
طانيوس أفندي  
عبد العزيز يقوش  
محمد نور الدين عبد المنعم  
أحمد شانفى  
ربيع مفتاح  
عبد العزيز توفيق جاريد  
عبد العزيز توفيق جاريد  
محمد على فرج  
رمسيس شحاته  
مجدى عبد الحافظ  
محمد علاء الدين منصور  
محمد النادى وعلية عاشور  
حسن النعيمي  
محسن التمرداش  
محمد علاء الدين منصور
- نخبة  
آن تيلر  
ميشيل ماكارشى  
تقرير دولى  
ماريا سوليداد  
توماس پاترسون  
سوسيولوجيا الدين  
من لا عزاء لهم (رواية)  
الطبيعة العليا المصرية  
يعى حق: تشرح مفکر مصرى  
الشرق الأوسط والولايات المتحدة  
تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)  
تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)  
تاريخ التحليل الاقتصادى (مـ٢)  
ندل للعلم: السيرة والأسلوب في الحياة الاجتماعية  
لم آخر من ليلى (رواية)  
الحياة اليونانية في مصر الرومانية  
هـ. ١. ولفسين  
ثيليب روچيه  
أفلاطون  
أندرية ريمون  
أندرية ريمون  
هللت (مسرحية) (ميراث الترجمة)  
نور الدين عبد الرحمن الجامي  
نخبة  
نخبة  
دافيد برتش  
ياكوب بوكهارت  
ياكوب بوكهارت  
دونالد پ. كوك وثيرا تركى  
أبرت أينشتين  
إرشت دينان وجمال الدين الأفغاني  
حسن كريم بور  
أبرت أينشتين وأليوبولد إنغلد  
جوزيف أشوبىتر  
فرنر شميدرس  
نبیع الله منقا
- الرؤية في ليلة معتقة (شعر)  
الإرشاد النفسي للأطفال  
سلم السنوات  
قضايا في علم اللغة التطبيقي  
نحو مستقبل أفضل  
مسلسل غرناطة في الآداب الأوروبية  
التغيير والتنمية في القرن العشرين  
سوسيولوجيا الدين  
كانز إيشيجورو  
ماجدة بركة  
ميريام كوك  
بيثيد دابليو ليش  
لير شتراوس وجوزيف كروپسى  
لير شتراوس وجوزيف كروپسى  
جوزيف أشوبىتر  
ميشيل ماكينزلى  
أنى إينز  
نافثال لويس  
هـ. ٢. ولفسين  
ثيليب روچيه  
أفلاطون  
أندرية ريمون  
أندرية ريمون  
ويلم شكسپير  
هفت بيكر (شعر)  
فن الرياعى (شعر)  
وجه أمريكا الأسود (شعر)  
لغة الدراما  
سر النهاىى ليطانيا (جا) (ميراث الترجمة)  
سر النهاىى ليطانيا (جا) (ميراث الترجمة)  
لدولسوج ببروستيتين وآتيليان سلطان  
النظرة التنسية (ميراث الترجمة)  
منظرة حول الإسلام والعلم  
رق العشق  
تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)  
تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)  
الفلسفة الألمانية  
كتز الشعر

- علاه عزمى  
ممنوع البستوى  
على فهمى عبدالسلام  
لبنى صبرى  
جمال الجزيري  
فروزية حسن  
محمد مصطفى يدعى  
محمد محمد يوسف  
محمد علاء الدين منصور  
سمير كريم  
طلعت الشايب  
عادل نجيب بشرى  
أحمد محمود  
عبد الهاوى أبو ريدة  
بدن توفيق  
جاير عصفور  
يوسف مراد  
مصطفى إبراهيم فهمى  
على إبراهيم متوفى  
على إبراهيم متوفى  
محمد أحمد حمد  
عائشة سويلم  
كامل عويد العامرى  
بيوبي قنديل  
مصطفى ماهر  
عادل صبحى تكلا  
محمد الخولي  
محسن الدمرداش  
محمد علاء الدين منصور  
عبد الرحيم الرفاعى  
شوقي جلال  
محمد علاء الدين منصور  
صبرى محمد حسن  
ساعد باقري و محمد رضا محمدى  
محمد علاء الدين منصور  
شوقي جلال  
حمادة إبراهيم  
حمادة إبراهيم  
محسن فرجانى
- بيتر أوريان  
مرثيدس غاراثيا  
ناتاليا فيك  
نعم شومسكى  
ستبورات سين وبورن ثان لون  
جوتواولد ليسينج  
وليم شكسبير  
فريد الدين العطار  
نخبة  
كريمة كريم  
نيكولاوس جويات  
الفريد أدلر  
مايكل ألبرت  
يوليوس فلهابنن  
وليم شكسبير  
مقالات مختارة  
كلاود بيرنار  
رويشارد دوكنز  
باسيليوس بايون مالدونادو  
باسيليوس بايون مالدونادو  
چيرارد ستيم  
فرانتيسكو ماركيث يانو بيانو  
أندرى بريتن  
ثيون هرمانز  
إيف شيميل  
فان بلان  
چين سميث  
أرتور شينتسلر  
على أكبر دافى  
دورين إنجرامز  
تيرى إيجيتون  
رسائل خمس فى الأفاق والأنفس مجموعة من المؤلفين  
ديفيد مايلو  
ساعد باقري و محمد رضا محمدى  
روين دوبثار وأخرين  
نخبة  
نخبة  
لاروس
- تشيخوف: حياة فى صور  
بين الإسلام والغرب  
عنكبوت فى المصيدة  
فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى  
أتقىكم الك: النظرية النقدية  
الخواتم الثلاثة  
هملت: أمير الدانمارك  
منظومة مصيبيت نامه (مج ٢)  
من روائع القصيد الفارسى  
دراسات فى الفقر والعملة  
غياب السلام  
الطبقة البشرية  
الحياة بعد الرأسمالية  
تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)  
سونينيات شكسبير  
الخيال، الأسلوب، الحداثة  
الطب التجربى (ميراث الترجمة)  
العلم والحقيقة  
المسارة فى الثقلين: مارة للمن والمسرين (بع)  
المسارة فى الثقلين: مارة المن والمسرين (بع)  
فهم الاستعارة فى الأدب  
القصيدة المورييسكية من وجهة نظر أخرى  
ناتاجها (رواية)  
جوهر الترجمة: عبود الحبوب الثقافية  
السياسة فى الشرق القديم  
مصر وأدريبا  
الإسلام والمسلمون فى أمريكا  
بيغاء الكاكاباو  
لقاء بالشعراء  
أوراق فلسطينية  
فكرة الثقافة  
المهمة الاستوائية (رواية)  
الشعر الفارسى المعاصر  
نظر النشافة  
عشر مسرحيات (ج ١)  
عشر مسرحيات (ج ٢)  
كتاب الطاو

- ٨٧٣ معلمون لدراسات المستقبل
- ٨٧٤ النهر الحالد (مع ١) جاودي إقبال
- ٨٧٥ النهر الحالد (مع ٢) جاودي إقبال
- ٨٧٦ دراسات في الموسيقى الشرقية (جا) هنري جورج فارمر
- ٨٧٧ أدب الجدل والدفاع في العربية موريتس شتيتشتير
- ٨٧٨ ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ما، مجا) تشارلز دوتي
- ٨٧٩ ترحال في صحراء الجزيرة العربية (جا، مجا) تشارلز دوتي
- ٨٨٠ الواحات المفقودة أحمد حسنين بك
- ٨٨١ المستيريون : خدمة وخيانة جلال آل أحمد
- ٨٨٢ أغاني شيراز (جا) (میراث الترجمة) حافظ الشيرازي
- ٨٨٣ أغاني شيراز (جا) (میراث الترجمة) حافظ الشيرازي
- ٨٨٤ تعلم الأطفال الصغار باريرا تيزار ومارتن هيوز
- ٨٨٥ روح الإرهابCHAN بودريار
- ٨٨٦ الترجمة والإمبراطورية نوجلاس روينسون
- ٨٨٧ غزليات سعدى (شعر) سعدى الشيرازي
- ٨٨٨ أزهار مسلك الليل (رواية) مریم جعفری
- ٨٨٩ سارتوس (میراث الترجمة) ولیم فوکنر
- ٨٩٠ منتخبات أشعار فراغی مخدومقلی فراغی
- ٨٩١ مقاوضات مع الموتى مارجريت أونوند
- ٨٩٢ تاريخ المسيحية الشرقية عزيز سوریال عطیة
- ٨٩٣ عبادة الإنسان الحر برتراند راسل
- ٨٩٤ الطريق إلى مكة محمد أسد
- ٨٩٥ وادي الفوضى (رواية) فریدریش دورینمات
- ٨٩٦ شعر الضفاف الأخرى Nخبة
- ٨٩٧ اختراق الجزيرة العربية دیشید چورج هوجارث
- ٨٩٨ الإسلام والعلم بویز امیر علی
- ٨٩٩ الدبلوماسية الفاعلة بیتر مارشال
- ٩٠٠ تيارات نقدية محدثة مقاولات مختارة
- ٩٠١ مختارات من شعر لی جاو شینج لی جاو شینج
- ٩٠٢ آلهة مصر القديمة وأساطيرها رویرت ارنولد
- ٩٠٣ أفلام ومناهج (١) بیل نیکلزا
- ٩٠٤ أفلام ومناهج (٢) بیل نیکلزا
- ٩٠٥ تراث البدج. ث. جارات
- ٩٠٦ أسس الحوار في القرآن هیریرت بوسه
- ٩٠٧ أثر... متعة الحياة (رواية) فرانسواز جبرد
- ٩٠٨ الحالة النقدية دیشید کونتز هوی
- ٩٠٩ الفنون والأداب تحت ضغط المولدة چووست سمایرذ
- ٩١٠ برومیثیوس بلا قیود دافید س. لیننس
- بهاء شاهین ظهور أحمد ظهور أحمد أمانتي النباري صلاح محجوب صبرى محمد حسن صبرى محمد حسن عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه سلوى عباس إبراهيم الشواربى إبراهيم الشواربى محمد رشدى سالم بدر عرودىكى ثائز نيب محمد علاء الدين منصور هويدا عزت ميخائيل رومان الصيفصافى احمد القطورى عزة مانز اسحاق عبيد محمد قدرى عمارة رفعت السيد على يسرى خيس زين العابدين فؤاد صبرى محمد حسن محمود خيال أحمد مختار المجال جابر عصفور عبد العزيز حمدى مروة الفقى حسين بيوسى حسين بيوسى جلال السعيد الحذارى أحمد هويدى فاطمة خليل خالدة حامد طلعت الشايب من رفعت سلطان

- ٩١١- غبار النجوم  
 ٩١٢- ترجمات يحيى حقي (ج1) (میراث الترجمة)  
 ٩١٣- ترجمات يحيى حقي (ج2) (میراث الترجمة)  
 ٩١٤- ترجمات يحيى حقي (ج3) (میراث الترجمة)  
 ٩١٥- المرأة في أثينا: الواقع والقانون  
 ٩١٦- الجليلة الاجتماعية  
 ٩١٧- موسوعة كمبريدج (ج1)  
 ٩١٨- موسوعة كمبريدج (ج4)  
 ٩١٩- موسوعة كمبريدج (ج9)  
 ٩٢٠- خليل جبران: حیات وعلمه  
 ٩٢١- الله الامر (رواية)  
 ٩٢٢- البريسكين في إسبانيا وفي المتنى  
 ٩٢٣- ملحمة حرب الاستقلال (شعر)  
 ٩٢٤- حتشپسون: عظمة وسحر وغموض  
 ٩٢٥- رسميس الثاني: فرعون المعجزات  
 ٩٢٦- ترحال في صحراء البنية (جا، مجا)  
 ٩٢٧- ترحال في صحراء البنية (جا، مجا)  
 ٩٢٨- سجون الضوء  
 ٩٢٩- نشأة الإنسان (مجا)  
 ٩٣٠- نشأة الإنسان (مج.2)  
 ٩٣١- نشأة الإنسان (مج.3)  
 ٩٣٢- حلقات السر في يقائق الشعر (میراث الترجمة)  
 ٩٣٣- اللاعقلانية الشعرية  
 ٩٣٤- محة الكاتب الأفريقي  
 ٩٣٥- تاريخ الفن الألماني  
 ٩٣٦- بيولوجيا الجحيم  
 ٩٣٧- هيأ تحكى (قصص أطفال)  
 ٩٣٨- الأنطولوجيا السياسية من مارتن هيدجر  
 ٩٣٩- سجن القتل  
 ٩٤٠- اليابان الحديثة: قضايا وأراء  
 ٩٤١- الجماليات لم يولدن بعد  
 ٩٤٢- القرن الجديد
- عزت عامر  
 يحيى حقي  
 يحيى حقي  
 يحيى حقي  
 منبيرة كروان  
 سامية الجندي وعبد العظيم حمار  
 إشراف: أحمد عثمان  
 إشراف: فاطمة موسى  
 إشراف: رضوى عاشور  
 فاطمة قنديل  
 ثريا إقبال  
 جمال عبد الرحمن  
 محمد حرب  
 فاطمة عبد الله  
 فاطمة عبد الله  
 صبرى محمد حسن  
 صبرى محمد حسن  
 عزت عامر  
 مجدى الليجى  
 مجدى الليجى  
 مجدى الليجى  
 إبراهيم الشواربى  
 على منفى  
 طلعت الشايب  
 علاء عادل  
 أحمد فوزى عبد الحميد  
 عبدالحى سالم  
 سعيد المليمن  
 أحمد مستجير  
 علاء على زين العابدين  
 صبرى محمد حسن  
 وجيه سمعان عبد المسيح
- جون جريبيت  
 روایات مختارة  
 مسرحيات مختارة  
 ديزموند ستيفارت  
 روجر جست  
 أنور عبد الملك  
 نخبة  
 نخبة  
 نخبة  
 جين جبران وخليل جبران  
 أحmed كوريما  
 ميكيل دي إيبالتا  
 نظام حكمت  
 كريستيان دي روش نوبلكلور  
 كريستيان دي روш نوبلكلور  
 تشارلز بوتي  
 تشارلز بوتي  
 كيتى فرجسون  
 تشارلس داروين  
 تشارلس داروين  
 تشارلس داروين  
 رشيد الدين العمري  
 كارلوس بوسينيو  
 تشارلز لارسون  
 فولكر جيبهارت  
 إد ريجيس  
 أحمد نذالو  
 بيتر بورديو  
 ستيفن چونسون  
 مجموعة مقالات  
 آئى كويشى أرماد  
 إريك هويسبيوم



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ٢٢١٦٩





هذا الكتاب محاولة جادة للمساهمة في  
جعل المستقبل أكثر إشراقاً من الماضي حيث  
إن التنبؤ بالمستقبل لا بد أن ينهض بالضرورة  
على معرفة الماضي والسعى للحد من مشاكله  
وصعبياته وأخطائه.

وهذا يتجلّى من خلال المحادثة التي  
عقدها المؤلف مع مراسل صحيفة لا ريبابليكا  
الإيطالية في لندن: أنطونيو بوليتتو، الذي أسمهم  
بإيجابته الموجزة والدقيقة عن الأسئلة المطروحة  
عن القرن الجديد متعرضاً لمختلف القضايا  
وشتى المعضلات في جميع مجالات الحياة  
في نسج حياة أفضل ومستقبل ساطع بالأمل  
في تخطي عقبات العولمة.

